3 APR 1986
Library
UNIVERSITY

٢٥ر٢ شاقل جديد

الكاتب ٧٢

للثقافة الإنسانية والتقدم

العدد
الثاني والسبعون
نيسان - ١٩٨٦

- ازمة المعارضة الوطنية بين الفكـ
والممارسة حول المفهوم الثورى
"للانعطاف نحو الجماهيـر"
- اليمن : الصراع بين طريق التطو
الرأسمالي وطريق التوجه الاشتراكي
وموقع قضية الوحدة اليمنية بينهم
- محاولة في فهم نضال الطبق
العاملة البحرانيـة .
- العلاقة الديالكتيكية بين الحزب
والنقابـات .
- النظرية الماركسية في المعرفة .
- تركيا تحت سيطرة طغمة الجنرالات
- هيئة ادارية جديدة لاتحاد الكتاب
- قصتان من "المعطف القديم"
- اللصوص في رواية " عبدالله تايه"
"الذين يبحثون عن الشمـس"
- ثلاث قصص قصيـرة .
- " انـي لو يحزقـل ".

الأهمية التاريخية لوثائق الحزب الشيوعي السوفيتي

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المراسلون
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor -
Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

هيئة التحرير

بسام الصالحي — تيسير عاروري
جميل السلحوت — فضل البورنو
محمد البطراوي — محمود الشيخ

السكرتارية: يحيى شقير

صف وطباعة: منير أبو غزلة

الاشتراكات:

بالبريد - أربعة أعداد سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار
بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار
بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

المراسلات:

الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس
تلفون ٨٥٦٩٣١

Digitized by Birzeit University Library

سياسة :

. سليمان النجاب
- الاهمية التاريخية لوثائق الحزب الشيوعي السوفييتي ٢
. ميشيل كامل
- ازمة المعارضة بين الفكر والممارسة.حول المفهوم الثورى "للانعطاف نحو الجماهير" ١٠
. د . محمد علي الشهارى
- اليمن : الصراع بين طريق التطور الرأسمالي وطريق التوجه الاشتراكي وموقع قضية الوحدة اليمنية منهما . ٢٢
- تركيا تحت سيطرة طغمة الجنرالات . ٧٤

قضايا نقابية

- محاولة في فهم نضال الطبقة العاملة البحرانية ٣٢
. ابراهيم بكرى
- العلاقة الديالكتيكية بين الحزب والنقابات ٥٣

دراسات وابحاث

. محمد مناصرة
- النظرية الماركسية في المعرفة (الجزء الاول) ٦١

أدب ونقد ادبي

. ابراهيم العلم
- قصّتان من المعطف القديم" ١٠٢
. عزّت الغزّاوى
- اللصوص في رواية "عبدالله تايه "الذين يبحثون عن الشمس" ١٠٥

قصة :

. محمود شقير
- ثلاث قصص قصيرة ١١٣
. صبحي شحروري
- "أنسي لو يحزقل" ١١٧ ١١٧

متفرقات :

- هيئة دارية جديدة لاتحاد الكتاب ٩٦

شهريات :

- قاموس مصطلحات الاشتراكية العلمية ١١٩
- أصداء ثقافية ١٢٣

Digitized by Birzeit University Library

الأهمية التاريخية لوثائق الحزب الشيوعي السوفييتي *

بقلم : سليمان النجاب **

موضوع الندوة هو مناقشة مشروع برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي – الصياغة الجديدة، وكذلك مشروع النظام الداخلي للحزب. ان صاحب الوثائق هو الحزب الشيوعي السوفييتي حزب لينين طليعة الحركة الشيوعية والعمالية والثورية العالمية، الحزب ذو الخبرة التاريخية الرائدة ،والذي شق طريقا بكرا غير مطروقة امام البشرية كلها . ونسأل اية وثائق هي موضوع المناقشة ؟

كما هو معروف يسترشد الحزب الشيوعي في حياته كلها ، كما يسترشد بالبوصلة، بوثيقتيه الرئيسيتين : البرنامج والنظام الداخلي اللذين يصاغان على الاساس النظري للماركسية اللينينية. ووظيفة البرنامج هي ان يعلل بصورة علمية اهداف الحزب الرئيسية ومهامه واستراتيجيته وتاكتيكه طبقا للمرحلة التي يمر بها . ان البرنامج هو اساس الوحدة الفكرية والسياسية للحزب. واشار لينين الى ان البرنامج يعني الاعلان عن كل ما يريد الحزب احرازه وعما يناضل من اجله ، بايجاز ووضوح ودقة .

ويحدد النظام الداخلي المبادئ التنظيمية لبناء الحزب وقواعد حياته الداخلية وأشكال ممارسته العملية وأساليبها . وعلى حد تعبير

---

* نص مداخلة قدمها الكاتب في ندوة نظمتها مجلة " النهج" في شهر شباط الماضي في مدينة دمشق موضوعها : وثائق الحزب الشيوعي السوفييتي .

* "مناقشة مشروع برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي – الصياغة الجديدة ومشروع النظام الداخلي للحـــزب .

** عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطينـــي .

Digitized by Birzeit University Library

لينين فان النظام الداخلي هو القرار العام بشأن اشكال التنظيم الحزبي واصوله . ان النظام الداخلي يكون اساس الوحدة التنظيمية لصفوف الحزب وتلاحمها . وينطلق النظام الداخلي من مبادئ البرنامج .

وبسبب الاهمية الكبرى لبرنامج الحزب ونظامه الداخلي ، فانهما يُقرّان في مؤتمر الحزب ، أي في أعلى هيئة في الحزب وقد قرر المؤتمر السادس والعشرون للحزب الشيوعي السوفييتي تكليف اللجنة المركزيّة للحزب باعداد صياغة جديدة للبرنامج والنظام الداخلي. وسيقوم المؤتمر السابع والعشرون للحزب ، الذي سيفتتح بعد ايام في العاصمة السوفييتية موسكو، باقرارهما نهائيا. وهذا الامر يضفي اهميّة خاصّة على هذا المؤتمر، بالاضافة الى امور اخرى ، وتجعل منه مؤتمرا مميزا ومعلماً بارزاً على الطريق المجيد الذي قطعه حزب لينين . وهذا يفسر سبب الاهتمام الكبير بهذا المؤتمر على الصعيد العالمي وترقّب نتائجه .

وعبر مسيرته التاريخية الظافرة، أقرّ الحزب الشيوعي السوفييتي ثلاثة برامج ، يخص كل منها بمرحلة تاريخية معينة وبمهمات تلك المرحلـــة .

فقد اقر البرنامج الاول للحزب في مؤتمره الثاني الذي عقد عام ١٩٠٣ ،وهو برنامج الاطاحة بالحكم القيصري ، ومن ثم بالنظام الرأسمالي في روسيا . وقد انجزت الطبقة العاملة الروسية بقيادة حزب البلاشفة ،وبالتحالف مع الفلاحين ومع جميع الشغيّلة في روسيا ، هذه المهمة بثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، وبأخذها لزمام السلطة وتشكيلها لدولة العمال والفلاحين لاول مرة في التاريخ البشـــرى .

وأقرّ البرنامج الثاني في المؤتمر الثامن للحزب عام ١٩١٩ ،وكان برنامج بناء الاشتراكية. وبتنفيذه اصبحت الاشتراكية واقعا في الاتحاد السوفييتي .

وأقر المؤتمر الثاني والعشرون عام ١٩٦١ البرنامج الثالث للحزب بصيغته السابقة. وهو برنامج تحددت فيه الاتجاهات الاساسية للبناء الشيوعي في الاتحاد السوفييتي ، اى بناء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية وصياغة العلاقات الاجتماعية الشيوعية وتربية الانسان الجديـــد .

وفي سياق تنفيذ هذا البرنامج حقق الشعب السوفييتي نجاحات كبيرة. ودخلت البلاد مرحلة الاشتراكية المتطورة. وتعاظم دور الاتحاد السوفييتي كعامل جبار للنضال ضد سياسة الاستعباد والامبريالية والعدوان والحرب وفي سبيل السلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعي .

والبرنامج الثالث في صيغته الجديدة الحالية هو برنامج استكمال الاشتراكية المنهاجي والشامل وتقدم المجتمع السوفييتي اللاحق نحو الشيوعية على اساس تعجيل التنمية الاجتماعية ـ الاقتصادية للبلاد .

انه برنامج النضال في سبيل السلام والتقدم الاجتماعي .

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما الذي يدعو لاعادة صياغة البرنامج الثالث للحـــزب ؟.

في خطابه امام اجتماع اللجنة المركزية

Digitized by Birzeit University Library

للحزب الشيوعي السوفيتي بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥. أحاب الرفيق ميخائيل س. غورباتشوف الامين العام للحزب، على ذلك بما يلي :

"ليس الهدف من اعادة الصياغة اجمال حصيلة ماانجز وحسب ، ان الحياة اكدت صواب المضمون الرئيسي للبرنامج الثالث للحزب. والاحكام النظرية والسياسية والاساسية للبرنامج الثالث لا تزال باقية في صياغته الجديدة ايضا . لقد قمنا على نحو انتقادي باعادة التفكير في صيغه التي لم تصمد لاختبار الزمن ". واستشهد غورباتشوف بما قاله لينين بهذا الصدد من ان " انتقاد بعض الاحكام والصيغ المنهاجية هوامر مشروع وضروري تماما في كل حزب حي". وواصل الرفيق غورباتشوف : " اننا نتصور الان بشكل افضل وأدق سبل استكمال الاشتراكية وبلوغ الهدف المنهاجي،الشيوعية ".

اما بالنسبة للنظام الداخلي للحزب الشيوعي السوفيتي، فقد جرى تعديله وتطويره اثنتا عشرة مرة منذ ان جرى اقراره لاول مرة في المؤتمر الثاني للحزب عام ١٩٠٣ وفي كل تعديل، كان يجرى تثبيت التجربة المكتسبة، وتجاوز الثغرات والنواقص.

وفي المشروع الحالي للنظام الداخلي، أخذ هذا المبدأ بالاعتبار، اضافة الى ما يلي:

" تطرح سعة نطاق وعمق وتعقد المهام التي يجرى انجازها سواء في السياسة الداخلية او الدولية مطالب عديدة عالية جديدة ازاء مستوى القيادة الحزبية، وتملي ضرورة اتخاذ المواقف الجديدة حيال كافة جوانب العمل الحزبي . هذا كله ينبغي ان يجد انعكاسه في النظام الداخلي للحزب ـ قانون الحياة الحزبية ".

وتستهدف التغييرات المقترحة في النظام الداخلي، مواصلة توسيع الديموقراطية في صفوف الحزب وتطوير مبادرة وسائط الشيوعيين، وكافة منظمات الحزب وبالدرجة الاولى منظمات القاعدة. وكذلك ترسيخ تنظيم الحزب على مبادئ المركزية الديموقراطية واعلاء الدور القيادي للحزب في مواجهة المهام الجديدة الشاخصة امام البلاد .

وتدقيق للمبادئ الاساسية لقيادة الحزب للمؤسسات الرسمية، اي مؤسسات الدولة والمنظمات الاجتماعية. وهذه القيادة الحزبية هي ذات طابع سياسي دقيق وليست بديلا لهذه المؤسسات في مزاولة وظائفها . اعلاء سمعة ومكانة وأهمية عضو الحزب ودوره كمناضل سياسي ومنظّم للجماهير، ومسؤوليته عن تنفيذ الخط العام للحزب وتوجيهاته. الرقابة الحزبية على جميع المنظمات الحزبية بلا استثناء ، فلا هيئة حزبية او شخص فوق هذه الرقابة، والتشدد تجاه الذات وتجاه الرفاق ووحدة القول والعمل .

يتضح مما تقدم ان دواعي اعادة النظر، وتجديد صياغة برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي ونظامه الداخلي، مرتبطة ،ومشتقة من دو رالحزب ومهماته، ومستندة الى تراثه وتقاليده الثورية، وبما يخدم هذا الدور ويعجّل في انجاز هذه المهمات .

وهذه المسألة ليست طارئة على حياة حزب لينين، وليست منبثقة من فراغ كما انها ليست ثورة جديدة كما يحلو للبعض تسميتها . انها عملية التوارث والاستمرارية .توارث التوجيهات النظرية والسياسية الاساسية للحزب الشيوعي السوفييتي وتعاقبها

Digitized by Birzeit University Library

،توارث مبدئية الحزب النظرية والاستقامة والامانة للماركسية اللينينية. وكماقال الرفيق غورباتشوف بحق " فما كان للحزب الشيوعي السوفييتي ان يحرز مثل هذه المكانة الرفيعة في الحركة الشيوعية العالمية، وهذا القدرمن ثقة الشعب السوفييتي، لوأنه تناول بمسؤولية غير كافية ،الاستنتاجات النظريّة والتقديرات السياسيـــة ".

ان الثبات والتوارث النظرى يفترضان حتما تطوير النظرية واغناءها بصورة خلاقة بالاحكام المبدئية طبقا للخبرة التاريخية. والاستمراريّة كما فهمها لينين تعني التقدم المطرد وتشخيص وحل القضايا الجديدة والغاء كل ما يعيـــق التقـــدم .

مهمـات الحـزب الشيوعـي السوفييتي الوطنيـة والامميـة

في الفصلين الثاني والثالث من صيغة البرنامج الجديدة، تتحدد مهمات الحزب الشيوعي السوفييتي الوطنية والاممية . وواضح ان لا فاصل بينهما ، وانما تربطهما علاقة جدليّة عميقة وتأثير متبادل كبير .

وفي مداخلتي هذه سأمر سريعا على المهمات الاولى، بينما اتوقف عند بعض المهمّات الثانيـــة .

على الصعيد الوطني، تتحدد مهمات الحزب الشيوعي السوفييتي على انها " "مهمات استكمال الاشتراكية والانتقال تدريجيا الى الشيوعية . وهذا يتطلب ضرورة تعجيل التنمية الاجتماعية الاقتصادية . وهي موضّحة بتفصيل في البرنامج تحت عنوانيْ :

١) استراتيجية الحزب الاقتصادية.
٢) سياسة الحزب الاجتماعية . وواضح ان هدف التنمية الاقتصادية هو خير ورفاه الانسان السوفييتي ، والتحسين المطرد لظروف حياة وعمل السوفييتيين ، وضمان التطبيق الاوفى لمبدأ العدالة الاجتماعية الاشتراكية، والتقريب بين الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية وتخطّي الفوارق الجوهرية بين العمل الذهني واليدوي، وبين المدينة والريف ، وتطوير العلاقات القوميّة وتعزيز الصداقة الاخوية بين جميع امم الاتحاد السوفييتي وشعوبه .

ان مهمات الحزب الشيوعي السوفييتي الوطنية، ونجاحاته في انجازها وسيره على طريق استكمال الاشتراكية وتقدمه اللاحق نحو الشيوعية ،تهمنا جميعا . كماان تعاظم قوة وجبروت الاتحاد السوفييتي تعني بالنسبة لجميع قوى التقدم في العالم مزيداً من الضمانات لصيانة سلام العالم ولجم تطاولات قوى الامبريالية والعدوانية، ومزيدأمن الدعم لقوى الحرية والتقدم والسلم في العالم .

أما فيما يتعلق بمهمات الحزب الشيوعي السوفييتي الاممية،فقد حددها البرنامـــج فيما يلـــي :-

- تأمين الظروف الخارجية المؤاتية لتطوّر المجتمع الاشتراكي وتقدم الاتحاد السوفييتي نحو الشيوعية واستبعاد خطر نشوب حرب عالمية وتحقيق الامن الشامل ونزع السلاح .
- مواصلة توسيع وتعميق تعاون الاتحاد السوفييتي مع البلدان الاشتراكية الشقيقة والاسهام بكل الوسائل في تعزيز المنظومة الاشتراكية العالمية وتقدّمها .

Digitized by Birzeit University Library

- تطوير العلاقات القائمة على التكافؤ والصداقة مع البلدان المتحررة .
- اقامة العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والبلدان الرأسمالية على اساس التعايش السلمي والتعاون المتبادل النفع والعمل وتطويرهـا .
- التضامن الامين مع الاحزاب الشيوعية والديموقراطية الثورية ومع الحركة العمالية العالمية ونضال الشعوب الوطني التحرري

هذه هي مبادئ سياسة الاتحاد السوفيتي الدولية ، وكما قال الرفيق غورباتشوف " ان هذه السياسة من الممكن تماما التكهن بها ، اذ لا اثر فيها للغموض او الالغاز " .. كما قال . " ان برنامج حزبنا هو تعبير عن تضامنا الثابت مع نضال القوى التقدميّة واحتراما لوجهات نظرها وسعيا نحو تعزيز وحدتها ، والتأكيد على الوحدة الديالكتيكية للعالم الاشتراكي والحركة الشيوعية والعمالية العالمية والحركة الوطنية التحررية وكافة الحركات المناهضة للرجعية والعدوان والمساندة للسلم والتقـدم " .

ان مهمات الحزب الشيوعي السوفيتي الاممية ، هي مهماتنا المشتركة ، مهمات قوى عصرنا الثورية قوى السلم والتقدم الاجتماعي والحرية . وتوقفنا عند بعضها ، هو لهذا السبب بالذات ، اى لنرى ايضا ما هو دورنا ، بقدر حجمنا بالطبع ، ومن خلال موقعنا في جبهة هذه القوى الثورية العظيمة . ومن الضروري التأكيد على هذا الطابع المشترك لمهماتنا ، الطابع المشترك لمصالحنا ، لان في هذا يكمن بالضبط الاساس السياسي الراسخ لتحالفنا مع الاتحاد السوفيتي .

١ ـ مهمة صيانة السلام العالمـي وتوطيـــده :

كما جاء في الصيغة الجديدة للبرنامج . فان الحزب الشيوعي السوفيتي ينطلق من انه مهما كان كبيرا الخطر على السلام الذي تشكله سياسة الاوساط الامبريالية العدوانية . فان الحرب العالمية ليست قدرا محتوما .. وفي الامكان تفادي الحرب وانقاذ البشرية من الكارثة . وفي ذلك تقوم الرسالة التاريخية للاشتراكية ولجميع القوى التقدميّة والمحبّة للسلام في كوكبنـا " .

ان قضية وقف سباق التسلح النووي ونزعه تشكل الحلقة المركزية في عملية صيانة السلام العالمي . وهذا ما يفسر الجهد الكبير والنشاط والمبادرات التي يطرحها القيادة السوفيتية لحل هذه المسألة ذات الاهمية القصوى .

في الخامس عشر من كانون الثاني الماضي ،طرح الرفيق ميخائيل غورباتشوف ، باسم المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ، برنامجا متكاملا لنزع السلاح النووي واتلاف المخزون منه بشكل نهائي وكامل حتى عام ٢٠٠٠ ، وقد جرى توجيه هذا البرنامج المقترح في وقت واحد الى الولايات المتحدة الامريكية والدول النووية الاخرى ، والى جميع شعوب العالم قاطبـــة .

ويتميز هذا البرنامج ، بانه واقعي ، وعملي وواضح ... وهو يطرح امام البشرية هدفا سامياً ، وبطريقة توحي بالثقة بامكانية تحقيقه . وبهذا المعنى ، يسلّح هذا البرنامج قوى السلم في العالم بسلاح معنوي ودليل عمل يوحّد ويوجّه جهودها المشتركة ، كما يعطي لجميع الجهود المبذولة من اجل نزع السلاح ، غايتها المنشودة ، ومؤشر توجيهها ومقياس

Digitized by Birzeit University Library

نجاعتها وتقدمها .

ويرد هذا البرنامج بشكل مقنع تماما على برنامج السلام الامريكي المزعوم ، برنامج حرب النجوم السيء الصيت. فهذا البرنامج يدعو الى نقل السلاح النووي الى الفضاء الخارجي وبهذا كما يزعمون تتآكل وتتقزم الاسلحة النووية على الارض، دون ان يشيروا الى ما سينجم من مخاطر مهلكة عن نقل السلاح النووي للفضاء ! والبرنامج السوفيتي يطرح المسألة ببساطة : فلننزع السلاح النووي واسلحة الابادة الكيماوية وغيرها من الارض، وهذا كل شـــيء .

ويربط البرنامج السوفييتي لنزع السلاح النووي بين هذه العملية ، وبين انجاز مهمات كبيرة تواجه العالم بأسره ، وهي مهمات حماية البيئة والبحث عن مصادر جديدة للطاقة ، ومكافحة المجاعات والامراض، وحل مشكلة الديون .. انه يربط بين نزع السلاح والتنمية وبهذا يتبدّى المعنى الانساني العميق لمشروع السلام السوفييتي ، فهو يسعى الى حماية الحياة البشرية على الارض، بنزع السلاح النووي والكيماوي، ويسعى الى تخصيص المبالغ الموفرة من اجل التنمية ، أي من اجل ان تكون الحياة البشرية ، حياة سعيدة .

ورفض المقترحات السوفييتيه ربط مسألة نزع السلاح بما يسمى بـ " النزاعات الاقليمية" وهذه تسمية امبريالية لسياسة التدخل والعدوان التي تمارسها ضد الشعوب والبلدان المستقلّة ، كما يجرى في افغانستان والشرق الاوسط، وحماية العدوان الاسرائيلي . واستمرار التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة ، وكما يجري في انغولا وموزامبيق ونيكاراغوا وغيرها .. وفي هذا الموقف المبدئي للاتحاد السوفييتي ، تأكيد على ان صيانة سلم العالم وضمان حريات الشعوب ووقف تطاولات الامبريالية عليها ، هما وجهان لعملية واحدة، ولا يمكن ان يكون انجاز الواحدة على حساب الاخرى . بل العكس هو الصحيح ، فاستتباب السلام في العالم ، والالتزام بمبادىء التعايش السلمي اعطى ويعطي الشعوب المجال والقدرة لحماية مكتسباتها وتطويرها ، كما ان انتصار حرية الشعوب يخدم السلام العالمي ويعززه .

ولنأخذ مثالا ملموسا على ذلك : قضية الشعب الفلسطيني العادلة ونضاله من اجل انتزاع حقه في تقرير مصيره واقامة دولته الوطنية المستقلة .

معروف ان القوى الامبريالية والصهيونية تبذل جهودا هائلة من اجل تصفية قضية شعبنا الوطنية. وتقوم من اجل ذلك بنشاطات تخريبية واسعة ، وتطرح المبادرات. ولا يتوقف هدف حكام واشنطن عند تصفية قضية الشعب الفلسطيني ، بل يعتبر ذلك مدخلا من اجل الوصول الى هدف الاجهاز الاستراتيجي في المنطقة ، هدف تشكيل حلف عسكري سياسي بين اسرائيل والدول الرجعية العربية ، بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، بعد التخلص من العقبة والعقدة الفلسطينية. وهذا يعني تحويل منطقة الشرق الاوسط الى منصة تنتصب عليها الصواريخ العابرة للقارات الامريكية والموجهة ضد حصن السلام العالمي الاتحاد السوفييتي.

ان نضال الشعب الفلسطيني، وفواه الوطنية المخلصة ، دفاعا عن قضيته الوطنية وحقوقه المشروعة ، يندمج ويخدم بشكل مباشر النضال في سبيل السلام العالمي. وبمقدار ما تنجح القوى الوطنية الفلسطينية ، بوحدتها ،وتعزيز تحالفها الكفاحي مع القوى المعادية

Digitized by Birzeit University Library

للامبريالية في المنطقة، وبخاصة مع سورية، في احباط مخططات الامبرياليين والصهاينة وأصحاب كامب ديفيد وحماية قضيتها الوطنية ،بمقدارما تسهم في خدمة السلام في العالم. والعكس صحيح. ومن هنا هذا التداخل الموضوعي والعميق بين مهماتنا الوطنية والاممية. الامر الذي يتطلب من القوى الوطنية والتقدميّة الفلسطينية ان تدركه بشكل اعمق وان ترسم سياساتها الصائبة على اساس ذلك.

ان المقترحات السوفييتية المقدمة عام ١٩٨٤ لحل النزاع في الشرق الاوسط، تمثّل نموذجا واضحا ودقيقا للربط بين صيانة السلم ، وضمان حقوق الشعب الفلسطيني العادلة. ولذلك تحظى هذه المقترحات بتأييد شعبنا بأسره. وهي تشكل الان سلاحا بيد القوى الوطنية الفلسطينية لمواجهة المخططات الامبريالية . ويجرى طرح مسألة المؤتمر الدولي ، كما جاءت في المقترحات السوفييتية ، وبمشاركته ومشاركة منظمة التحرير الفلسطينية على اساس مستقل ومتكافئ مع الاطراف الاخرى، كبديل للمظلة الدولية أوالندوة الدولية التي يريد من ورائها حكام واشنطن واسرائيل ، ايجاد ستار دولي للمفاوضات المباشرة بين اسرائيل والبلدان العربية كل على انفراد على غرار ما جرى في كامب ديفيد

٢ ــ مسألة تضامن الحزب الشيوعي السوفييتي مع قوى التقدم في العالم

ان مبدأ التضامن الاممي من جانب حزب لينين المجيد مع القوى التقدمية في العالم ، هو مبدأ راسخ ومتوارث منذ نشأة الحزب اللينيني ، وجزء مكون لطبيعة هذا الحزب ومميز له عن الكثير من الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية في حينـــه .

ولكن اسمحوا لي بالتوقف عند هذا الموقف المبدئي ، الذى جرى التأكيد على استمراريته ، وتطويره واغنائه في الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي

ان محاولات التشكيك بمبدئية الموقف السوفييتي المساند لنضال قوى التقدم في العالم ، هي نهج ثابت لدى الدوائر والاوساط الامبريالية، ووسائل اعلامها ومنظّريها . واسباب ذلك معروفة. فلم تتمكن هذه القوى الامبريالية من تصفية حساباتها مع أية قوة تقدميّة في العالم ، الا بعد ان نجحت في عزلها عن الاتحاد السوفييتي. ولا يرغب الامبرياليين شيئا أكثر من وحدة وتلاحم القوى الثوريّة العالمية في القول والممارسة. ولذلك تبقى زعزعة وحدة هذه القوى هدفا استراتيجيا ثابتا لقوى الامبريالية ، بمقدار ماهو ثابـــت موقف الحزب الشيوعي السوفييتي والحركة الشيوعيـة العالميّة في العمل من اجل توحيد هذه القوى .

ولا يمكننا القول بأن الدعاية الامبريالية قد فشلت في تحقيق اغراضها دائما. وللاسف ، لاقت دعايتها المعادية للسوفييت ، نجاحات وأربكت بعض القوى التي خالطتها ظلال من الشك حول المواقف المبدئية والثابتة للاتحاد السوفييتي ،والتي تلقفت طُعم الدعاية الامبريالية عن " القوى الكبرى" والاطماع السوفييتية ، والتبعية لموسكو الى آخر ما هنالـــك ...

Digitized by Birzeit University Library

وفي قناعتي انه ليس من عذر لهذه القوى ، اذ لا يكفي لتبرير ذلك التذرّع بعدم الاطلاع على وثائق الحزب الشيوعي السوفييتي الاساسية ، وبالذات برنامجه. ان ممارسات الاتحاد السوفييتي والوحدة المبدئية بين القرار السياسي وتطبيعه ،والتجربة الطويلة لذلك ، وتطبيقها على جميع القضايا العالمية، وفي جميع ارجاء العالم ، واضحة ومفتوحة امام الجميع .

ولا تقتصر، مع الاسف ، القوى المشككة بمبدئية الاتحاد السوفييتي في تضامنه الاممي مع قوى الحرّية والتقدم في العالم ، على قوى الامبريالية وحدها ، بل تلجأ اليها في بعض الاحيان قوى "حليفة" ، وبالضبط حينما تبدأ في التفكير في الارتداد عن المواقف المشتركة للتحالف ، اي في اتجاه المساومة على اهدافها الوطنية مع قوى الامبريالية والرجعية.

في هذه الايام بالذات ، وكما في السابق ، يتمسك الاتحاد السوفييتي بحزم بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة ، وهي حقوقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلّة ، وهو بموقفه المبدئي هذا ، يسند بقوة جميع القوى الوطنية الفلسطينية التي تناضل من اجل انجاز هذه الحقوق. وفي ذات الوقت نرى ان هناك قوى طبقية فلسطينية ، متنفّذة في قيادة م.ت.ف. تدخل في لعبة المساومة على هذه الحقوق . ولذلك لا نستغرب ابداً ان تبدأ هذه القوى في عملية تشكيك في مواقف الاتحاد السوفييتي المبدئية، ولكنها عملية لامستقبل لها على الاطلاق. فالوقائع عنيدة كما يقال، والشمس لاتغطى بغباءة. ورغم ذلك من الضروري ، وواجب كل وطني فلسطيني ، ان يتصدّى لها ويعرّي اهدافها التي لا تخدم بحال اهداف نضالنا الوطني.

قبل ايام اجاب الرفيق ميخائيل سيرغيفيتش غورباتشوف على سؤال لمراسل صحيفة "لوماتيتيه" جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي الشقيق ، بما يلي :

" اننا اليوم في الثمانينات نطرح مهمة تعجيل العمل الذي باشره الحزب البلشفي قبل حوالي سبعين عاما تعجيلا كبيرا". نعم تلك هي القضية .. وكما انجز البلاشفة ذلك النصر التاريخي بصورة اكتوبر بالعزيمة والطهر الثورى والاندفاع البلشفي ، فسينجز حزب لينين ، ابناء واحفاد البلاشفة هذه المهمة العظيمة،على قاعدة الوثيقتين الاساسيتين في حياة الحزب اللينيني : البرنامج والنظام الداخلي اللتين بين ايدينا .

Digitized by Birzeit University Library

أزمة المعارضة الوطنية
بين الفكر... والممارسة
حول المفهوم الثوري "للإنعطاف نحو الجماهير"

بقلم : ميشيل كامل

نعود مجددا الى ارتياد الطريق الوعر "المفخخ" بالالغام، لنخوض حوارا - ثقيل على النفس - مع القيادات الوطنية واليسارية ،يطيب علينا التزام بالمسئولية ازاء جماهير شعبنا الكادحة . وننطلق من قناعة راسخة بأن اضعف الحلقات في نضالنا الوطني - الاجتماعي تتركز في تفاقم " ازمة قيادة الحركة الوطنية". في ظروف تتميز بتصاعد المد الثوري ونهوض الحركة الجماهيرية، وافتضاح وعزلة شاملة للنظام. وهكذا تصبح قضية تحقيق المهام الثورية في مصر رهن بتوفير العنصر الذاتي والتصدي لهذه الازمة بالتحديد، وبحسم وعزيمة لا يتزعزعان تحت وطأت حملات التهجم والتشهير .

لا شك ان التسليم بواقع الاصابة بحالة مرضية ما هو خطوة ايجابية على طريق التغلب على الداء. الا ان العلاج الناجع منه، يمر بالضرورة عبر تشخيص سليم لمصادر العلة، والجدية في العمل على استئصال جذورها، لا الاكتفاء بالتصدي للاعراض السطحية والمضاعفات الناشئة عنها .

نشير هنا الى الظاهرة الصحية لنزعة المراجعة النقدية لدى مختلف قيادات المعارضة الوطنية. فبعد سنوات من الصراع الفكري والسياسي والتجربة الحية في مجال الممارسة العملية، اقرت اهم فصائلها - السرية والشرعية - بوجود خلل جسيم ، يؤثر على مصداقيتها وفاعليتها، وان تباينت التصورات والتعليلات بين ما هو شكلي ثانوي وما هو جوهري. تقوى اليسار تعترف بتعرضها لازمة بنيوية شاملة فكرية وسياسية وتنظيمية، والقيادات الوطنية الديموقراطية تشعر بوقع المأزق والمنزلق. وتطرح اهم فصائلها - حزب التجمع الوطني - موضوعة " ازمة المعارضة كلها" . وتتحدث بشجاعة عن واقع " اننا لا نملك بعد الجماهير التي تبقى معنا وتتحرك تحت قيادتنا، مع اننا نرعم اننا خير من يعبر

Digitized by Birzeit University Library

عن مطالبها ويدافع عن مصالحها" (مشروع التقرير السياسي المقدم الى اللجنة المركزية في دورة ٢٣/٢٤ — ١) .

ان الاستنتاج الصحيح عن " تخلف كل الاحزاب السياسية في مصر " عن " حركة الجماهير نفسها " هو تخلف سياسي في الجوهر، وليس مشكلة" تواجد" او علاقة اتصال" ميكانيكية" دون محتوى . فالحل لا يكمن في الانتقال الى مواقعها ، ولكن فيما ننقله اليها من فكر وما نحمله لها من ذخيرة للتوعية السياسية. اذ ما جدوى التغلغل بين الجماهير الشعبية اذا ما جاءت من جانب قوى، تبث افكارا تشيع الخدر في اوصالها والوهن في بنيتها وعزيمتها — مهما صدقت النوايا — !! " فمرض الجفاف الجماهيري" لدى الاحزاب — طبقا لتعبير الزميل لطفي الخولي — لم ينشأ عن جدب التربة ، بل عن نوعية البذور التي تغرس فيها، فتذوى وتتآكل ،وتلفظ شعبيـــا .

استقطاب " افقي" داخل المعارضـة :

ان اشكاليات قصور" العمل الجماهيري" وواقع الاغتراب والعزلة عن الحركة الشعبية وحالة التيبس والشلل والضمور السياسي والبيروقراطي لاحزاب وقوى المعارضة هو انعكاس لازمة فكرية سياسية شاملة. لذلك نجد مظاهرها وتفاعلاتها تمتد الى داخل هذه الاحزاب ، فالوجه الاخر للعملة يتمثل في أن القيادات متخلفةالى حد كبير عن قواعدها وكوادرها الوسيطة . وتزداد شقة التمايز بينهما، وترتفع وتيرة الاستقطاب والصراعات الداخلية الى حد الازدواجية والانقسام .

ولعل اهم ظواهر الصراع الطبقي والحياة السياسية في مصر في الحقبة الاخيرة هي عملية تشكل تيارين اساسيين داخل الحركة الوطنية فيمجموعها ،بغض النظر عن الانتماء التنظيمي الرسمي. احدهما تلتقي فيه اطروحات ومواقف القيادات على اختلاف منطلقاتها وتصنيفاتها ، والاخر يجمع بين غالبية قواعد مختلف هذه الفصائل ، ويبلور التوجه الاكثر نضالية وثورية، الاول "يقترب" من المواقع الايديولوجية للبرجوازية الحاكمة، والثاني يتباعد عنها ويتنافر معها ، ويكتسب قدرامتزايدا من الاستقلالية والوضوح الفكري والسياسي، وهو المؤهل لتشكيل البديل الثوري، الكفيل بشل تردد بعض العناصر القيادية والمؤهل للالتحام بحركة الجماهير وتنظيمها وتعبئتها وقيادتها على اسس خطة ثورية متكاملة، والقادر على انجاز مهام المرحلة الاستراتيجية القادمة عبر التغيير الثوري، لا اجهاضها بالترشيد الاصلاحي .

ان التصدي للقصور والسلبيات والعمل على صياغة خط سياسي سليم وانتهاج الاساليب الثورية في نضالنا، هي مهام تواجه جميع القوى الوطنيةوالتقدمية بلا استثناء . وتقتضي التحلي بروح التسامح وباتساع الصدر لتحمل وتقبل النقد المتبادل ، خاصة ونحن نتنقد انفسنا بقسوة تفوق ماتوجهه من نقد لرفاق الطريق وحلفاء المعركة المشتركة — حتى يتهمنا البعض "بجلد الذات" — كما اننا لا نستثني فصيل دون آخر من المسؤولية، ولدينا قناعة راسخة بأن التيارين الاساسيين (الاصلاحي والثوري) متواجدان داخل مختلف احزاب وقيادات المعسكر الوطني. وهو أمر طبيعي اذ تواجه مهام واحدة في مرحلة التحرر

Digitized by Birzeit University Library

من التبعئة والنضال المشترك من اجل اقامة نظام ـ بديل ـ وطني ديموقراطي .

ونحن اذ نستبشر خيرا بالبدايات الصحيحة للاقرار بالواقع والتشخيص السليم لحالة العزلة عن الجماهير، الا اننا نخشى التوقف عند هذا الحد، دون الغوص في اعماق المشكلة، والتعرف على جوهرها، او الاكتفاء برد فعل عاطفي، يتصور الحل السحري في مجرد " النزول للجماهير" تحت شعار ـ لا نختلف عليه ـ " من اجل الانعطاف نحو الجماهير وتبني قضاياها ". بل ربما يؤدي الى نتائج اكثر سلبية . فطالما ان هناك اقرار بأن " الحركة السياسية لمختلف القوى والاحزاب السياسية ـ ومنها حزبنا ـ ما زالت متخلفة الى حد بعيد عن حركة الجماهير نفسها " تبرز مخاطر لجم و "قرملة" حركتها وجذبها الى المواقع" الاكثر تخلفا"، او تحجيمها في اطار مطلبي اصلاحي. فالعبرة ليست في عملية " الاتصال بالفئات الشعبية المختلفة وتبني مطالبها " ـ رغم اهميتها ـ ولا في مجرد اللحاق بركبها " الاكثر" تقدما" ، اذ تظل هذه الحركة تلقائية متخلفة عاجزة عن تحقيق المهام الرئيسية للمرحلة، وتعوزها القيادة الواعية والطليعة المتفاعلة معها ، المعبئة والموجه لحركتها. فجوهر القضية هنا ليس " الانعطاف نحو الجماهير" في حد ذاته ، اوالتواجد " المكاني" بينها، وانما صياغة وتبني الخط السياسي السليم ، ليترجم في ممارسات ثورية، لا تتوقف عند حدود النضال ـ الضروري ـ من اجل المطالب اليومية الملحة ، بل يتجاوزه ويرتقي به الى المستوى السياسي الهادف الى التغيير الشامل . وهو ما يقتضي اولا، وقبل اى شيء آخر، اعادة النظر في السياسات والمواقف الفكرية والسياسية والاعلامية والتنظيمية في ضوء مهام التحرر الوطني والاجتماعي .

وفي واقعنا المتميز تتوفر الظروف الموضوعية لاستمرار ونضج عملية الفرز هذه، داخل مجمل الحركة الوطنية ـ رغم تعدد وتنوع احزابها وتياراتها . ويرجع ذلك الى تجانس البنية الاجتماعية لها جميعا، الى حد كبير ، اذ تتشكل في الاساس من البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى. بينما يغلب على قيادتها الانتماء لشرائحها العليا، فهي مقطوعة الصلة بجمهرة العمال والفلاحين، تهيمن عليها الايديولوجية البرجوازية والبلبلة الفكرية والنهج التوفيقي الاصلاحي .

ان المنبع للحياة الداخلية في مختلف الاحزاب ـ وداخل التيار الناصري ـ من واقع ادبياتها ومؤتمراتها مواقفها وممارساتها العملية، يمكن ان يتبين بوضوح معالم التيارين الرئيسيين داخلها جميعا ! وقد ازدادت شقة الخلاف واتسعت اثناء وبعد الانتخابات البرلمانية الاخيرة. واشتد الاستقطاب مع تفاقم حدة التناقضات واحتدام الازمة الاقتصادية ـ الاجتماعيةوالسياسية، وابغال النظام في سياسة التبعية والعداء للجماهير .

بلورة رؤية ثورية مشتركة

تشكلت رؤية مشتركة اكثر نضجا وتقدما بين الكوادر الوسطى وقواعد الاحزاب والقيادات الوطنية، تبلورت تدريجيا عبر الخبرات والمعاناة اليومية ومن خلال انهيار

Digitized by Birzeit University Library

اوهام الاطروحات اليمينيةوالتوفيقية والديماجوجية على ارض الواقع الذى لا يرحم ولا يساوم . لم " نستورد من الخارج" او تعكس (الاعتراف) كما يزعم بعض المرتدين ، وانما نبتت ونمت من اعماق الحركة الثورية . ومن مجموع تلك الخبرات ــ مجسدة في مواقف وقناعات في مختلف مجالات الحياة ــ برزت مفهومات اولية مترابطة لورؤية سياسية ثورية . ويرى من المفيد القاء الاضواء على بعض عناصرها الجوهرية من واقع ما نشر في جريدة الاهالي (٢٩ /٥/ ــ ٦/٥ /١٩٨٥) عن القرارات التي حصلت على شبه اجماع في مؤتمرات المحافظات ، نموذجا كنموذج لاتجاه عام ساد بين قواعدوكوادر مختلف الاحزاب والقوى السياسية الوطنية والتقدمية بلا استثناء : " رفض فكرة ترشيد الرأسمالية والمطالبة باعادة النظر في الموقف من مؤسسة الرئاسة " " سقوط وهم الدور المتميز لمؤسسة الرئاسة " . " ان الانفتاح الانتاجي كالاستهلاكي شكل من اشكال التبعية للامبريالية تعبر عن مصالح الرأسمالية الكبيرة " " تعمق هذه الطبقة يتعمق باستمرار ، والحديث عن مرحلة تحقيق الطفيلية ، حديث عن مرحلة وهمية يؤدي الى تاخير النضال .. ولا يمكن ان تفصل عملية تحقيق الطفيلية والفساد والسعي عن عملية انجاز الثورة الوطنية الديموقراطية ذات البعد الاجتماعي " و" ان قوى النضال الوطني والديموقراطي لا يمثل اي من شرائح الرأسمالية الحاكمة طفيلية او متحققة ، فجميعها يمثل القاعدة الاجتماعية للسعي " و" ليس من مهام حزبنا ان يسعى لطرح الحلول اللازمة للرأسمالية كي ترشد نفسها .. تطرد ترشيد الرأسمالية مخالفة لكافة المفاهيم النظرية ومستحيل فهمها واقعيا" "السمة الاساسية للرأسمالة المصرية ليست في انقسامها الى طفيلية ومنتجة وانما في حقيقة كونها تابعة ، مما يطرح ضرورة التعامل معها انطلاقا من هذه الحقيقة ، خاصة وان او ضاع التبعية هي التي هيأت لظهور النشاط الطفيلي ، ومن ثم فان المهمة الاساسية هي مواجهة تبعية الرأسمالية المصرية كلها" ... "الرأسمالية كلها طفيلية ، ولا يجوز تقسيمها الى طفيلية ومنتجة ، فهناك درجة من الطفيلية في كل نشاط رأسمالي " .. الخ .

ويمتد التمايز ليشمل رؤية اصوب للوضع الدولي والعربي فيرفض" ما جاء بالتقرير السياسي حول تقسيم العالم الى شمال وجنوب" ويؤكد على " ان الصراع في العالم هو بين قوى النظام الاشتراكي والتحرر الوطني والطبقات العاملة في البلدان الرأسمالية المتقدمة من جانب والنظام الرأسمالي العالمي والانظمة الرجعية والفاشية والعنصرية الموالية له من جانب آخر" ويطالب" باعادة صياغة مشكلة افغانستان" "وموقف واضح من الصراعات الفلسطينية" و" الالتفاف الاردني ــ الفلسطيني" ويرفض اطروحة " عودة مصر للعالم العربي .. لانه لم يحدد عودة لمن؟ ولماذا ؟ والعودة بالشكل الحالي تخدم المخططات الاستعمارية في المنطقة .. على ارضية كامب ديفيد ..." .. الخ . وهو النقيض المباشر لجوهر ما تطرحه القيادات ، فيما عدا الحزب الشيوعي المصري (راجع البيان السياسي الاخير ــ مارس ١٩٨٥) .

ونؤكد مرة اخرى ان هذه الرؤية لا تخص حزب التجمع الوطني وحده ، وانما انعكاسا قرارات مؤتمرات محافظاته ، لانها جرت في

Digitized by Birzeit University Library

صاح دستوراطي وفي اطار العلنية. كما ان شكل الحزب من مختلف الفصائل الوطنية والتقدمية يجعل اكبر دلالة على الاتجاه السائد سياسيا .

تراجعات تتناقض مع المعطيات السياسية

وتتدافع اوامر القيادات الوطنية والمبادرة الى تعميق وتوسيع عملية الاستقطاب في صفوف مجاهدة من الانضمام عن الجماهير والقواعد، والتخلي عن مواقع اساسية في تراجعها السياسية ، والانتباه من ساحات البرجوازية الحاكمة، والانحراف الى مواقع اكثر تعقيدا، تسعى موضوعيا العديد من اطروحات السلطة في المشكلات الجوهرية وتسعى لتحديد واجهاء سراب الحلول المعلبة السلطوية. وتجري " التعطية " على هذه التراجعات . باشكال معارك " اعلامية" حول قضايا لا تمس الجوهر .

وتبدو المفارقة الفاجعة في طغيان هذه النزعة، في تعارض فظ مع المعطيات العديدة لافتضاح طبيعة النظام وانعدام قاعدته سياسية في تعويم وترسيخ قيود التبعية لرأس المال والقيود الاجتماعي ، والاستكبار والخنوع المتزايد للهيمنة الامبريالية ، الامر الذي يشهد عليه بادلة دامغة احداث الاشهر الاخيرة .

الامثلة عديدة ولكننا نكتفي بنموذجين :

– اعداق صكوك الوطنية وبراءات القومية على قطاع واسع من شخصيات ومؤسسات السلطة والاحزاب الرجعية (قوى الثورة المضادة) بسخاء لم يسبق له مثيل . وتضييق اطار التبعية لينحصر في " عناصر طفيلية" مبعثرة هامشية وتضخيم مفتعل للتناقض بينها وبين المؤسسات الرئيسية للسلطة .

– خلق البلبلة وتوسيع الوعي وتوسيع وطمس معالم الحدود الفاصلة بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة ، مما يسمح بادانة المعسكر الوطني واخضاعه لغرو جحافل التراجل الرجعي العمل .

ويجسد هذا الاتجاه بأخطر صوره في الاستجابة عمليا لمفهوم ومنطق وشكل الجهد التي تدعا اليها عبد الرحمن الشرقاوي ، بامعار من السلطة، رغم تصدي حزب التجمع لفضحها بحسم في حينه ، بمقالات وحججمفحمة كتبها الرفيق حسين عبد الرازق ولطفي واكد ود . فؤاد مرسي . والعرب ان يسهل التراجع حزب التجمع الوطني نفسه ، وعلى لسان بعض من تصدى لاطروحات الشرقاوي.

ويعلق آخر على عودة هيكل للكتابة (قبل التراجع عنها) بانها جاءت (في اطار محاولات محمر للتخلص من التبعية .." وردا على " فشل الكتابة والصحافيين في الصحف القومية في ان يجسدوا من تريده السلطة التي اصبح واضحا انها متضررة بالاخلاق والوطنية ....".

السلطة تقود معركة التحرر !!

فقد تدفق كم هائل من الكتابات والتصريحات تعبر هذه الاتجاليل ، وهي صادرة عن قادة جميع الاحزاب والقوى الوطنية تنشر فيما يلي مقتطفات منها ودون الاشارة الى اصحابها او مصادرها (التي نحتفظ بها) ،حرصا على علاقتنا مع قوى وشخصيات ، لا يشكل نقدنا لبعض تصرفاتها وآرائها تشكيكا او

Digitized by Birzeit University Library

بخسا لدورها التاريخي. فان ما يعنينا هو نقد الظاهرة والتحذير من عواقبها .

تطالعنا مانشتات عريضة على الصفحة الاولى من صحيفة وطنية بالعنوان التالي : حلف الطفيليين يحاصر السلطة من كل الجهات، يهدّد كل القوانين، يفتح ابواب الفساد، يجبر الحكومة على التراجع عن اى اصلاح.. يحرّض الرئيس ريجان على الرئيس مبـــارك ...".

ويكتب احد ابرز قادة الحزب ــ الذى يصدرها ــ ناصحا الحكومة بأن تعتمد على حركة الجماهير لكي تقف في وجه امريكا سياسيا واقتصاديا" ويستطرد " في تقديرى وتقدير حزب (...) ان الرئيس حسني مبارك شخصية وطنية لا شك فيها . وان المشكلة في عناصر مافيا الانفتاح في الحزب الوطني".. و" حزب الوفد توجد فيه عناصر من مافيا الانفتاح، ولكن قواه الاساسية وطنية وديموقراطية، وعندما الملمّات نتخذ خطا وطنيا واضحا ..".

ويتحدث قائد مرموق من الحزب عن " المهام الملحّة التي تتصل بصميم مسئولية جميع الاحزاب العاملة في الساحة وفي مقدمتها الحزب الحاكم ... لبلورة ابعاد المعارك الحقيقية في مجتمعنا .. وهي قادرة على ذلك بمقدار التحامها بالجماهير .. وبادارة حوار عقلاني يتسم بالروح الجبهوية .." ليخلص الى الدعوة " لتكوين مجلس للحوار الوطني يضم ممثلين لجميع قيادات الاحزاب والتيارات السياسية .. الخ " .. وهو صاحب الدعوة الثليدة " للمصالحة التاريخية" في كافة العصور والعهود .

ويكتب رئيس تحرير جريدة وطنية معارضة اخرى ــ في اعقاب حملة الوعيد والتهديد التي شنّها الرئيس ــ " ان المبادئ التي يعلنها الرئيس مبارك تتفق الى حد كبير مع ما يعلنه الحزب... من منطلق الوطنية المصرية ومن منطلق الانتماء العربي والسلامي.."وان"

"اختلاف مواقعنا من العمل الوطني لا يتعارض مع حقيقة اننا جميعا فريق قومي ..."

ويقول احد قادة هذا الحزب بأن " "الرئاسة في مصر وطبقا للمعادلات المرحلية السائدة هي الاجدر والاقدر على القيام بالدور الكبير والمرجّح في استعادة مصر للمصريين والمصريين لمصر .." مقترحا ان يدعو الرئيس " لمؤتمر موسع للانقاذ الوطني "!.

وتعلن احدى الشخصيات القياديّة المنتمية لتيار وطني رئيسي " نحن نؤيد سياسات الرئيس مبارك .. ونحن ايضا جنوده خارج الحزب الوطني .. ان الرئيس مبارك يحاول من خلال مجموعة ــ السياسات والتوجهات اصلاح الاخطاء والاقتراب بمصر من خطها القومي العربي وخطها الاشتراكي الاجتماعي .."! وتتساق زعامات من اليسار الى ترديد نفس المعاني، باعتبار البيان الصادر عن الاحزاب الخمس واللقاء مع مبارك نموذج على العمل الجبهوى، يدعون الى تطويـــره .

بين تشويش الوعي ووعيـد السلطـة

وهكذا .. تختلط الامور وتسود بلبلة لا عقلانية وتهدر كل الخبرات والقوانين الموضوعية للحياة، وينقلص مسكر الاعداء ويكاد ينقرض الى عناصر وجيوب معثرة ،

Digitized by Birzeit University Library

ولكنها تملك قدرات خفيّة خارقة على التحكم في كل شيء ، ويتسع اطار الوطنية ويترهّل ليضمّ الجميع .. الرئاسة والحكومة والسلطة والنظام وكافة الاحزاب (بما فيها الحزب الوطني) .. وتتراجع المصالح الطبقيّة وتتحطم على صخرة الجدل الهادئ البنّاء " "العقلاني" في مجلس " ينرطي للحوار، تحت مظلة " السلام الاجتماعي "[١١].

رغم ذلك .. فالرئيس غاضب مهتاج ، يهدد ويتوعد بأسلوب يعيد للاذهان " "الادبيات الساداتية" وترات " ابن المقفع" يتهم المعارضة" بخلق الاكاذيب وترويج الاباطيل لمجرد اثارة المشاعر .. والعبث والتجنّي والخداع وافتعال الروابع .." واقتراف " تجاوزات لن تردّ الا الى صدور من يريدون الهاب النار وتخريب الديار" متوعداً " ان الشعب (١) لا يرحم ولن يرحم .. من يقود شعباً ويسعى الى فتنة" [١] (خطاب مبارك في مؤتمر اكاديمية البحث العلمي ٢/٣) .

ان النظام يرتعد رعبا امام حركة النهوض الجماهيري، خاصة وان كل المعطيات تؤكد انها ستتفجر من جديد في موجات متصاعدة الاتساع والعنف، في مواجهة الازمة الطاحنة وتفاقم الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفقدان الكامل لاى ثقة في السلطة ومؤسساتها . ولن يتردد النظام في اللجوء الى ابشع اساليب الارهاب الوحشي لقمعها ، فالقاعدة المتعارف عليها، هي ان الحريات الجزئية اذا لم تحقق القمع بالاحتواء ، فالعنف المباشر هو البديل .

فحطة التخويف والزجر والوعيد ، ليست مجرد رد فعل انفعالي من جانب السلطة ، ولكنها خطة وسياسة موجهة للتأثير على اتجاهات المعارضة، التي لن يحميها الا الحركة الجماهيرية من موقع الالتفاف بها على اسس مبدئية سليمة، وحط ثوري حقيقي، متحرر من الاوهام والنزعات التوفيقية .

وضوح الرؤية .. ركائز الخط الثوري السليم :

وكما اوضحنا من قبل، فان ازمة حركة التحرر المصرية ـ مثل العديد من حركات التحرر العربية ـ هي في الجوهر " أزمة قيادة وليس من المتوقع ان تحل ذاتيا ـ اي في اطارها العلوي ـ وانما في تفاعل ديناميكي بين القيادات والقواعد في معترك الصراع الطبقي والحركة الجماهيرية، وعبر عملية فرز تشمل كل القوى الوطنية والتقدمية، يلعب الشيوعيون فيها دورا رائدا ، تزداد فاعليته بقدر تعمق جذورهم في الطبقة العاملة .

والمراجعة النقديّة المطلوبة والملحّة لا تقتصر على الموقع الجغرافي، وانما اولا وقبل اى شيء آخر الموقف الفكري والنهج السياسي. وهنا تواجهنا مجموعة من الاولويات والبديهيات، تشكل المدخل والمنطلق لفكر ومفاهيم وخط سياسي يخدم مهامنا النضاليّة، ويبدد الاوهام والبلبلة اخطر اسلحة التحالف الامبريالي ـ الرجعي وأشدها فتكا، ونستعرض فيما يلي بعض هذه البديهيات :

ـ ان التحرر من التبعيّة وتحقيق الاستقلال الوطني هوعملية ثوريّة وتحوّل نوعي في المجتمع ، لا يمكن انجازه الا على انقاض النظام الحالي، بانتقال السلطة الى تحالف القوى الوطنية الديمقراطية، اى بطريق الثورة وليس " التطور التدريجي الصاعد" او " "العبور السلمي" من التبعية الى الاستقلال في اطار " السلام الاجتماعي " .

Digitized by Birzeit University Library

ان " النزعة الاصلاحية " كبديل عن فكرة الثورة هي أخطر سلاح تستخدمه البرجوازية لحماية مصالحها ولتحويل قوى المعارضة الى ذيل هزيل مستوعب، ينحصر نضاله في " ترقيع النظام " بدلا من " تغييره ".

وهو الخط السائد الذى تدعو له معظم القيادات الوطنية تحت شعار "الانقاذ الوطني" استنادا الى موقف قومي موحّد" يجمع كل القوى في السلطه وخارجها والاحزاب الست ـ بما فيها الحزب الوطني ـ " لاعادة التوازن والانتاجية الى النظام الرأسمالي القائم .. وتحديثه و " عصرنته" وترشيد الاداء الاقتصادى مع ضمان الحد الادنى من المعادلة الاجتماعيّة.. ودعم القطاع الخاص المنتج في مواجهة اعمال التخريب والفساد التي يمارسها النشاط الطفيلي .. الخ " (مثال لطفي الخولي ـ الاهرام ١/٢٥).

وهنا تبرز اهمية التفرقة بين " النهج الاصلاحي" المسخّر في خدمة التحالف الامبريالي الرجعي الحاكم وبين الموقف الثورى من النضال الضرورى من اجل " الاصلاحات" وتحسين الاوضاع المعيشية وانتزاع اكبر قدر من الحقوق في مختلف مجالات الحياة، مع ادراك حقيقة ان كل مكاسب تنتزع في ظل النظام القائم، لن تكون ثابتة ولا جذريّة او جوهريّة، مادامت سلطة رأس المال قادرة على ابطال مفعولها بيسر بمختلف الاساليب . ودور القوى الثورية هواستغلال هذه التحسينات والمكاسب من اجل مواصلة النضال بمزيدمن القوة وصولا الى انجاز الاهداف الاستراتيجيّة الجذريّة بطريق الثـــورة ...

حـوار عقلانـي .. ام مصالح طبقيـة

ـ ان العامل الحاسم في تحديد المواقف السياسية هو المصالح الطبقية. والائتلاف الحاكم الذى يتشكل من مختلف فصائل الرأسمالية الكبيرة، تلتقي مصالحه وتندمج مع رأس المال الامبريالي، لكونه السبيل الوحيد لحماية مصالحه وامتيازاته الطبقية. وليس اشد ابتذالا من تصوير سياسة التبعية التي يمارسها النظام بأنها مجرد اجتهادات وقناعات فكرية مجرّدة، يمكن التخلّي عنها وتجاوزها " بالحاحها بواقع الجماهير ومشاكلها الحية من ناحية وبادارة حوار عقلاني . يتسم بالروح الجيهوية "!! (المرجع السابق) او بقوة المنطق ووجاهة الحجة؟ او كما يقول عادل حسين فالقضية لا تخرج عن كونها " اختلاف مواقعنا من العمل الوطني، لا يتعارض مع حقيقة اننا (فريق قومي) ويسهل التوصل الى قناعات مشتركة" بكلمة سواء بيننا وبينكم "!!

ـ ضرورة تحديد علمي ومبدئي، حاسم وواقعي لقوى الثورة في تمايز عن القوى المضادة للثورة. وتجنب كل خلط او تمييع للحدود الفاصلة بينهما . واذ يصعب التلاعب في تحديد القوى الاجتماعية التي تشكل المعسكر الوطني، بحكم وضوحها ورسوخها ، تنصب جهود التضليل والخداع في مجال التطبيق على خلط الاوراق بواسطة التهرب من التحديات العلمية، واستبدالها بمفاهيم وتعريفات مضلّلة غير علميّة للطبقات والفئات الاجتماعية، تعتمد المعايير القانونية والاخلاقية بديلا عن الاسس الطبقية، الاجتماعية ـ الاقتصادية والعلاقات بقوى الانتاج

Digitized by Birzeit University Library

، يهدم طمس معالم العدو الرئيسي والسماح بتسلله داخل اطار " الوطنية" باصباغ هذه الصفة على من اطلقت عليهم مصطلح " "الرأسمالية المنتجة" بغض النظر عن حجمها ومجالات نشاطها وارتباطاتها برأس المال الاحتكاري العالمي، في مقابل تقليص العدو الى عناصر " التخريب والنهب والفساد .. وغابة الطفيليين وحرّاس مهرّبي العملة والمخدرات وتكوين الثروات الحرام على

حساب مصالح كل المنتجين" (نفس المصدر السابـــــق).

ـ ويمتد التشويه الى مفهوم الدولة، سواء باضفاء صفة حياد مجلل بالضباب عليها ـ بدعوى الخصوصية المصرية ـ او نظرية تنوع الولاءات بداخلها وبين مؤسساتها بين الوطنيوالتابع . وان كان الاتجاه في المرحلة الاخيرة ينحو الىتعميم تشخيص الوطنية، وحصر " التبعية في "عناصر" مافيا الانفتاح، التي تنتشر بين كل الطبقات !! ويجحد التحليل العلمي للدولة ويجرى تجاهل طبيعتها ودورها باعتبارها اداة الطبقة السائدة في تحقيق وحماية مصالحها ، ومصالح شركائها (رأس المال الامبريالي).

وتطمس حقيقة التمسك الاساسي للتشكيلة الاجتماعية للائتلاف الرأسمالي الحاكم والطابع الكلّي الشمولي لهيمنته، وان مختلف مؤسسات السلطة، اقتصادية وسياسية وايديولوجية ترتبط وتتمازج في عملية السيطرة الطبقية وواقع ان التناقضات الداخلية بين اقسامها المختلفة يدور في اطار ناعوى في النصارع على مواقع اقوى في السلطة ،تكفل الحصول على نصيب اكبر من الفائض الاقتصادى بينما تظل الخلافات محصورة حول افعل الاساليب في الحكم لمصلحتها المشتركة ،دون مساس بالجوهر .

حـــول مفهـــوم الانفتاح والترشيـــد !

ـ اختراع مرحلة وسيطة" للانفتاح الوطني" تسبق مرحلة انجاز المهام الوطنية الديموقراطية. والغريب في ان برنامج " الحد الادنى" الترشيدى الذى يُطرح، يكاد يكون اكثر طموحا من البرنامج الاستراتيجي (الثورة الوطنية الديموقراطية) اذ تتضمن اهدافه المعلنة " انقاذ الوطن من هوة التبعية، واستبدال سياسات الردة والاستسلام لسياسة

واستبدال سياسات الردة والاستسلام لسياسة

وطنية تخلص البلاد من كامب ديفيد وذيولها" او طبقا لاعلان آخر "تحرير الارادة الوطنية واستعادة السيادة الوطنيةواسترجاع الاستقلال الوطنيوالسياسي والاقتصادى .. وتحقيق تحول ديموقراطي شامل وتحقيق المطالب الاقتصادية والاجتماعية للجماهير .." الخ .

ولا نعتقد ان طموح هذا البرنامج ـ كحد ادنى ـ يرجع الى " نظرف يسارى"، وانما يفضح ديماجوجية هذا الطرح وعدم جديته ، خاصة اذا ما وضعنا في اعتبارنا ان هدف جعله برنامج حد ادنى، هو توسيع نطاق القوى الموكول بها تحقيقه، لتشمل قطاعات عريضة من البرجوازية الحاكمة و أحزابها . ولعل الغرض الكامن الخفيّ يتضح من الشعارات

المرتبطة بتنفيذه والدعوة لان تتم " في اطار النظام القائم" وتستهدف " القضاء على الطفيلية(او الساداتية) وليس النظام"، والانفتاء بانه لا يجوز المساس بالملكية الخاصة او

Digitized by Birzeit University Library

طرح شعار التأميم في هذه المرحلة !! اما كيف تتحقق كل هذه الاهداف دون مساس بالعلاقات الاجتماعية، فأمر في علم اللـه وحـــده !!.

ان عملية " الترشيد " الوحيدة التي اجريت للرأسمالية في تاريخ مصر (بالمعنى المطروح) تمت بعملية جراحية، بواسطة الانقلاب الثوري الناصري. والظروف الجديدة للهيمنة الامبريالية تؤكد الحاجة الى جراحة اكبر، من قوى ـ وبأساليب ـ اكثر راديكالية.

ان البرجوازية، من اجل التغلب على أزمتها البنيوية، تتجه للاندماج الوثيق مع رأس المال العالمي، كشريك وتابع، بوصفه المخرج الوحيد من اجل الحفاظ على مصالحها وامتيازاتها الطبقية وحماية سلطتها.

وتصور امكانية " الترشيد " ـ بمعنى التحرر من التبعية ـ او مجرد تخفيف وطأتها ،هو وهم ساذج او تضليل واع، اذ يتناقض مع أولويات الفكر العلمي. ومهما بلغ حجم الاصلاحات و" الترقيعات " في ظل علاقات الانتاج الراهنة والنظام القائم، فالنتيجة الحتمية هي تكريس وتعميق التبعية واعادة انتاج علاقاتها بصورة اكثر حدّة وضراوة. اي برنامج للتحرر من التبعية يتحول الى مهزلة حمقاء ومشروع مخادع ،اذا لم يتضمن ضرب المواقع الاستراتيجية لرأس المال الكبير ، الاجنبي والمحلي والمشترك ، بالتأميم ، والغاء اتفاقيات كامب ديفيد . ولن يتم ذلك كما يتوهّم او يروّج البعض " في ظل النظام القائم " وانما على يد بديل وطني ديموقراطي ـ لقد ارتفعت نغمة التزلف لمبارك والاشادة بوطنيته في المرحلة الاخيرة، رغم افتضاح مدى خضوعه وخنوعه امام الامبرياليين وتنازلاته لاسرائيل ،وحمايته ،منقطع النظير في خدمة مصالح الامبريالية في المنطقة، ونشاط وتفان يحسد عليه في قيادة وحماية مصالح الائتلاف الحاكم، وضراوة عدائه وحقده لجماهير الشعب ، وأي معارضة جادة .

تعميق وتفاقم اوضاع التبعية

لقد روجت الاوهام حول وطنية السادات لمدة الست سنوات الاولى من حكمه، باعتباره " يمين وطني "، او ممثل للجناح "المتهادن" ـ الوسط ـ في الائتلاف قبل انه يجمع بين البرجوازية الوطنية والمتهادنة والخائنة.. واعتبر خلافنا مع هذا التحليل من شطحات " الطفولة اليسارية" .. وجاء مبارك، ليمنح " فترة سماح" وأصبحت المعارضة "بتكسة" خداعية جديدة فهل اصبح قدرا علينا ان نعيش في مملكة الوهم ست سنوات اخرى، لمجرد تمايز شكلي ومحدود في الاساليب دون المحتوى ؟!

ويندرج تحت بند التحريجات الانتهازية ،احياء امال زائفة حول " مؤسسة الرئاسة" ونزعات الرئيس للتخلص من "التركة الثقيلة" التي ورثها " عنوة" !! بينما كل الشواهد تؤكد انه كان شريكا اساسيا وفاعلا اصيلا في عصر السادات، بل تجزم كل سياساته منذ توليّه مقاليد السلطة على تعميق التبعية بصورة لم يسبق لها مثيل . فلقد اضاف الوارث للتركة اضعافا مضاعفة من القيود الجديدة .

كذلك طرحت المعادلة الخبيثة عن " الاقتراب والابتعاد "... "كلما ابتعد مبارك عن الساداتية اقتربنا منه".. و" بقدر اقترابنا منه (وعودة العرب الى مصر !!!)

Digitized by Birzeit University Library

تعزز قدرة النظام على الابتعاد عن الغرب الامبريالي .. والطفيلية "!" ولعبت المعارضة دور المحلل لهذه المعادلة على المستوى العربي والمحلي .

وكانت المحصّلة الطبيعيّة .. مزيد من الاندماج في قيود التبعيّة، ودور اكثر فاعلية في خدمة المصالح الامبريالية على المستوى العربي .. واقتراب المعارضة موضوعيا من السلطة .. وابتعادها عن الحركة الشعبيّة .

ان انزلاق النظام في عهد مبارك الى مواقع اكثر تبعية واستسلاما للهيمنة الامبريالية ليس في حاجة الى اثبات، فالوقائع اليومية دامغة، وقائمة التفريط والتنازلات اقدح بكثير مما كانت في عهد السادات . لا يحتاج الامر للخوض في تفاصيل . يكفي بعض المؤشرات .. فالديون – اخطر اليات السيطرة – قد ارتفعت من نحو ١٦ مليار دولار في بدء حكم مبارك الى نحو ٤٠ مليار دولار في نهاية العام الماضي . والخضوع لشروط صندوق النقد الدولي بلا قيد او شرط يتفاقم، خاصة فيما يتعلق بالالغاء المتسارع لدعم السلع الاساسية ورفع الاسعار وخفض سعر الجنيه المصري من ٨٩ قرشا من اغسطس عام ١٩٨٠ الى ١٥٦ قرشا في سبتمبر ١٩٨٥ ليقفز مؤخرا الى نحو ١٨٥ قرشا، بما لذلك من آثار وخيمة مباشرة على مستوى المعيشة وتدهور معدلات التبادل في التجارة الخارجية، بخاصة من وظائف عمليّة الاستنزاف والنهب هذه، تصدير ارباح البنوك والاستثمارات الاجنبيّة للخارج لتبلغ ٧٫٦ مليار دولار في العام الماضي، واستشراء نفوذ رأس المال الامبريالي – خاصة المصرفي – ومؤسساته مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وهيئة التنمية الامريكية واللجان المشتركة لرجال الاعمال .. الخ والسخاء في منح الاعفاءات والامتيازات، والاعتماد المتزايد على استيراد الغذاء والسلع الوسيطة ... الخ .

اداة الاستراتيجية الامريكيـــة – الصهيونيـــــة :

ويزداد الاعتماد على المعونات العسكرية والتسليح الامريكي والسيطرة المطلقة على مشروعات التصنيع الحربي، والتوسع في المناورات المشتركة ليتضخّم حجم المشاركة الامريكية (١٠ الاف في المناورات الاخيرة) ولتصم اطرافا من قوات حلف الاطلنطي الاوروبية والقواعد والتسهيلات العسكرية، وتمركز قوات الانتشار السريع في سيناء، والسماح بمرور السفن النوويّة في قناة السويس (مد منتصف يناير)، والاحتواء داخل الاستراتيجية التوسعية الامريكية في المنطقة، الى حد تصريح مبارك بأن خروج المارينز من بيروت" تكبة .. لا يجوز السماح بوقوعها "!" وتبريره للغزو الاسرائيلي للبنان "انتم العرب سبب مشكلة لبنان، حيث تم التحرش باليهود .. والعرب احتلوا لبنان قبل ان تحتله اسرائيل" .. وعندما يسأل عن موقفه اذا جرى استفتاء شعبي يقر مطلب الغاء اتفاقيات كامب ديفيد، يجيب بأن عليهم" ان يبحثوا عن غيرى لالغائها "!!" .

Digitized by Birzeit University Library

ولسنا بصدد الخوض فيما هو احدث من التطورات . منذ قصف اسرائيل لمقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وعملية القرصنة الامريكية لخطف الطائرة المصرية و

"عنتريات" مذبحة مالطة، باشراف فريق امريكي .. والحشود والتحركات العسكرية الاسفزارية على حدود ليبيا . وغيرها من الاحداث القريبة للاذهان التي تفضح الخنوع المخزي امام السادة الامريكان .

وهناك قبول مصر بالتحكيم بالنسبة لقضية طابا وما يعقبه من تفريط في حق ثابت في ارض مصرية ، ثم الاستسلام لشروط ربط هذا التنازل ، بما هو ادهى .. الشروط الـ (١٤) " "لحل قضايا العلاقات الثنائية" ولبعلن مبارك " ان سياستنا لا تعرف الرفض المطلق .. هناك نقاط بنّاءة ونقاط لنا تحفظات عليها" !! .. وتجري المفاوضات مع الوفد الاسرائيلي في اليوم التالي مباشرة على جريمة القرصنة التي اقترفتها اسرائيل ضد الطائرة المدنية الليبية ! وتشكل لجنتان متزامنتان لبحث قضية طابا والعلاقات الثنائية. ويستقبل مبارك الجنرال وليم كرو رئيس هيئة اركان حرب الجيش الامريكي، اثناء اجراء المناورات الامريكية البحرية الاسفزارية ضد ليبيا، " لبحث اوجه التعاون العسكري "!.

ولن نستطرد في رصد كل ما تحفل به القائمة السوداء للسياسة المصرية في الساحة العربيّة وازاء القضية الفلسطينية .. وفي افريقيا .. في خدمة مصالح الامبريالية .. ولن نتطرق الى الاوجه الاخرى للتبعية في المجالات التكنولوجيّة والايديولوجية والثقافيّة والاجتماعيّة ...

اعادة الاعتبار للنهج العقلاني الثوري

ما يعنينا هو التأكيد على حقيقة ان التبعيّة تترسخ وتتعمق في ظل النظام الرأسمالي القائم ، بغض النظر عن "اسالب الحكم" وحجم الاصلاحات .. وان الخلاص منها لن يتأتى إلا على انقاض هذا النظام .

وبغض النظر عن حسن نوايا البعض فحقيقة الامر ان الاوهام ليست قضيّة سوء تقدير بقدر ما هي شرط رئيسي لاستمرار وحماية الهيمنة الامبريالية والمصالح الطبقية للرأسمالية الكبيرة وحلفائها وسلطتها ، حتى تظل الطبقات المضطهَدة في وعي اجتماعي وسياسي مشوّه . وهو الدور الذي تقوم به الاجهزة الايديولوجية للطبقة المسيطرة .. ونجاحها رهن بكسب قطاعات وقيادات رئيسية للحركة الوطنيّة واستيعابها واستخدامها (بوعي او بغير وعي) في الترويج لهذه الايديولوجية .

ومن هنا فان اهم عناصر الخروج من الازمة واستعادة استقلاليّة ومصداقيّة قيادة حركة التحرر الوطني والاجتماعي ، تكمن في التحرر من الكم الهائل المتراكم للفكر التوفيقي الاصلاحي واعادة الاعتبار للنهج العقلاني الثوري ولقوانينه ومفاهيمه العلميّة الفعليّة التي تحكم حركة التاريخ .. حينئذ يصبح " "الانعطاف نحو الجماهير" ، والالتحام بها ، قوة عملاقة مؤهّلة لاقتلاع جذور التبعيّة .

لسنا معنيين " بجبهة انقاذ " لترشيد" النظام وانتشاله من مأزقه ،وانما تشتد حاجتنا الى انقاذ الحركة الوطنية و"تثوير" فكرها " "ترشيد ممارستها .

(عن اليسار العربي)

Digitized by Birzeit University Library

اليمن: الصراع بين طريق التطور الرأسمالي وطريق التوجه الاشتراكي وموقع قضية الوحدة اليمنية بينهما...

بقلم: د. محمد علي الشهاري

تمر اليمن بشقيها بمرحلتي انتقال متمايزتين كل التمايز، كامل الاختلاف. فبينما تزحف اليمن الديموقراطية في طريق التوجه الاشتراكي، تتحرك اليمن الشمالية في طريق التطور الرأسمالي. وكما ان التركيب التحتي الطبقي ـ الاجتماعي في كل من شطرى اليمن متباين كل التباين، فان البناء الفوقي السياسي ـ الايديولوجي في كل منهما متناقض كامل التناقض.

وكما هو الحال في كل مرحلة انتقالية فان المرحلة الانتقالية التي يمر بها كل من شطرى اليمن تحمل بعض السمات والعناصر والاجزاء من المرحلة السابقة لها، وبعض السمات والعناصر والاجزاء من المرحلة اللاحقة.

ففي شمال اليمن اخذ المجتمع الاقطاعي ـ القبلي في التحلل التدريجي، وفقدت المؤسسة الاقطاعية القبلية الهيمنة السياسية الكاملة التي كانت تتمتع بها منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الذى اجهض ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، واخذت البرجوازية، وخاصة البرجوازية الكمبرادورية، في الظهور، والى جانبها ظهرت البرجوازية البيروقراطية التي اصبحت تضم حتى اولئك الذين شاركوا في قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢.

حقا ان علاقات الانتاج الاقطاعية ما تزال هي السائدة في الريف. غير ان نمط الانتاج الرأسمالي، بل ونمط الحياة البرجوازية عموما هو السائد في المدينة، وعدا ذلك فان اسلوب الانتاج الرأسمالي اخذ يغزو الريف، واصبح التجار يملكون اراضي فيه تدار وفق الطريقة الرأسمالية، بل ان بعض الاقطاعيين غدت بعض اراضيهم خاضعة لهذا النمط الرأسمالي من الانتاج، ناهيك عن الاموال الاخرى المودعة في البنوك او المستثمرة في بعض المشاريع التجارية والعقارية وغيرها من المشاريع ذات الصيغة الرأسمالية.

ولكن كما ان الطبقة الاقطاعية الاخذة في التفتت والتحلل لم تعد هي صاحبة السيادة الاجتماعية والكلمة العليا في البلاد، فان الطبقة البرجوازية الاخذة في التشكل والنمو لم تصبح بعد صاحبة الامر والنهي في المجتمع والدولة.

Digitized by Birzeit University Library

لقد نشأت بفعل ذلك حالة من التقاطب الطبقي والتوازن الاجتماعي بين الطبقتين الاقطاعية والبرجوازية صعبت معها امكانية ان تنفرد احداها بالسلطة السياسية، كما صعبت معها امكانية قيام تحالف طبقي وسياسي راسخ بينهما ، كما صعب في نفس الوقت الحفاظ على وحدة الطبقة الاقطاعية ذاتها ، هذه الوحدة التي تحققت بفضل حدوث انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الرجعي الاقطاعي والتي ما لبثت ان اخذت في التصدع ، مما افسح المجال ـ بفعل ذلك كله ـ لاحتلال المؤسسة العسكرية سدة الحكم منذ حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ التي تزعمها المقدم ابراهيم محمد الحمدي الذي سقط في ١١ اكتوبر ١٩٧٧ ضحية مؤامرة رجعية سعودية استعمارية نظرا للسياسة الاصلاحية المستنيرة المعبرة عن مصالح البرجوازية الوسطى في البلاد التي كان قد شرع في تطبيقها وللتعاون المحدود الذي كان قد اخذ ينشأ بين نظامه والنظام الديموقراطي في جنوب الوطن .

غير ان سقوط حكم المقدم الحمدي لم يعن سقوط حكم المؤسسة العسكرية، حيث استقرت السلطة الان في يد الجناح اليميني بين يدي الارتباطات الفلاحية ـ القبلية .

هكذا يمكن القول ان وجود المؤسسة العسكرية على رأس السلطة كان نتاجا طبيعيا لتحلل ونفسخ المؤسسة التقليدية القروسطية، المؤسسة الاقطاعية ـ القبلية ونتاجا طبيعيا لضعف تكوين الطبقة البرجوازية، ومن ثم نتاجا طبيعيا لحالة التوازن الطبقي بين هاتين الطبقتين الاجتماعيتين .

ذلك يعني بوضوح ان الحكم القائم اليوم في صنعاء يمثل حالة استثنائية لم تعرفها البلاد من قبل، حيث ان الحكم هنا لا يعبر عن مصالح الاقطاع كطبقة، كما انه لا يجسد تجسيدا طبقيا اصلا مصالح البرجوازية كطبقة .

بل انه يمكن القول ان حكم المؤسسة العسكرية يحتفظ بشيء من الاستقلالية تجاه هاتين الطبقتين، ويبدو الدولة في ظله مستقلة نسبيا عنهما .

ان هذا الوضع المتميز يتيح للمؤسسة العسكرية قدرا هائلا من السيادة السياسية والهيمنة العسكرية على المجتمع والدولة، ويتيح فوق ذلك فرص هذا القدر او ذاك من السيطرة السياسة على كل من الطبقة الاقطاعية والبرجوازية .

ولكن هذا الحكم الشمولي العسكري الذي تبدو معه الدولة تابعة للمؤسسة العسكرية لا يعني قطعا ضد الاقطاع او البرجوازية .

ان مهمته انتقالية ليس الا فهو يعمل موضوعيا على تسهيل حركة المجتمع في الاتجاه البرجوازي على تطويع الاقطاع ودفعه في هذا الاتجاه، كما يعمل موضوعيا على توفير الشروط السياسية لنمو وتطور البرجوازية .

والمؤسسة العسكرية ذاتها ،حتى وان كانت في الاصل من منحدر فلاحي قبلي الا انها غدت تتشكل مع الموظفين الكبار فئة برجوازية بيروقراطية من مصلحتها دفع حركة تطور المجتمع في الاتجاه البرجوازي .

وتمثل البيروقراطية البرجوازية المدنية الحليف الاقرب والاوثق للبيروقراطية البرجوازية العسكرية الممسكة بزمام السلطة.

غير ان ذلك لا يعني ان طبقة الاقطاع الاخذة في التحلل وطبقة البرجوازية الاخذة في النشوء قد حرما تماما من المشاركة في السلطة ،او وضعا خارجها ان لهما نصيبا فيها

Digitized by Birzeit University Library

ولكن يظل للمؤسسة العسكرية نصيب الاسد. ان لها نصيبا في مختلف مؤسسات الدولة، ولكنه يظل نصيبا هامشيا عند مقارنته بذلك القدر غير المحدود من السلطة والنفوذ اللذين تتمتع بهما المؤسسة العسكرية، وعلى رأسها رئيس الدولة العقيد على عبدالله صالح

ومن قلب المؤسسة العسكرية الحاكمة اخذ ينشأ في البلاد ما يمكن تسميته بمؤسسة الرئاسة التي تمسك بخيوط الحكم وتملك سلطة عليا على الحكومة وعلى جميع الاجهزة الادارية التابعة لهـا.

ولتوسيع قاعدتها الاجتماعية واحكام قبضتها على المجتمع اكثر فأكثر المؤسسة العسكرية على اقامة تنظيم سياسي في البلاد اسمته "المؤتمر الشعبي العام"، كما وضعت ما اسمته ايضا "الميثاق الوطني" الذي اعتبرته الوثيقة الثانية ـ بعد القرآن ـ الملزم لجميع المواطنين.

ولكن المؤتمر الشعبي العام الذي انتخب العقيد على عبدالله صالح امينا عاما له لا ينظر اليه كحزب للنظام له ما للاحزاب العادية من حقوق وصلاحيات، وانما ينظر اليه كمجرد اطار للعمل السياسي لجميع المنتمين له وكناد للحديث حول اهمية الميثاق الوطني، ومنبر ايديولوجي للدعاية للنظام القائم ورئيسـه.

وكما ان الحزبية محرمة ويدافع المنتمون الى اى حزب ثورى بالخيانة الوطنية العظمى وبعدم الولاء للوطن وبالعمالة للاجنبي، فان تعدد الاراء أوالسماح بالرأى الاخر داخل حزب النظام مستبعد تماما.

غير ان تحريم الحزبية لا يسرى من الناحية العملية على حزب الاخوان المسلمين الذى يمارس نشاطا واسعا في البلاد ويعمل من خلال حزب النظام على ترسيخ مواقعه اكثر فاكثر، والذى اصبحت له الان وزارات في البـلاد.

غير ان ذلك لا يعني ان المؤسسة العسكرية تنبنى بالضرورة ايديولوجية الاخوان المسلمين ولا يعني انه ليس هناك تناقضات محددة ومحدودة بينهما.

فالاخوان المسلمون في اليمن جزء من حركة سياسية اشمل للوجود ملموس في اكثر من بلد عربي واسلامي، ولهم استراتيجيتهم الواسعة التي تتجاوز اليمن، بينما لا تتجاوز استراتيجية المؤسسة العسكرية في صنعاء حدود اليمـن.

ورغم ان الرجعية السعودية تتخذ الاخوان المسلمين عصا غليظة لقمع الحركة الوطنية اليمنية، شأن ما يحدث في كل مكان للاخوان المسلمين فيه وجود، الا انه لا الرجعية السعودية ولا الاستعمار يريان ان حكم الاخوان المسلمين هوالبديل الافضل للانظمة العسكرية الرجعية الحاكمة اليوم في شمال اليمن وفي السودان وفي العراق، وفي العديد من البلدان الاسلامية الاخرى.

لقد اثبتت انظمة الحكم العسكرية انها اقدر على ردع وضرب الحركات الوطنية وعلى افساح المجال لتغلغل النفوذ الاستعماري.

وذلك ما اثبته حكم المؤسسة العسكرية في صنعاء التي غدت تمثل درعا سميكا لحرية النظام السياسي الرجعي القائم والتي تعمل على تأمين مضيه في طريق التطور الرأسمالي الطفيلي والتابع، كما غدت سيفا مصلتا ضد الحركة الوطنية اليمنية.

وعدا ذلك فان الحرب التي تشبت في

Digitized by Birzeit University Library

مارس ١٩٧٩ بين شطرى اليمن اثبتت انه لا غنى عن وجود المؤسسة العسكرية على رأس السلطةفي صنعاء ، لتكون الخيمة التي يستظل بها النظام ويأمن بها من مخاطر النظام الديموقراطي في جنوب الوطن من جهة، ولتكون اداة ابتزاز وتهديد له من جهة اخرى.

قد تكون هناك تناقضات محدودة ومكتومة بين حكم العقيد على عبدالله صالح وبين النظام السعودى الذى تمكن منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ وحتى عهد العقيد صالح من ترسيخ اقدامه في البلاد ومن الامساك بخيوط كل القوى السياسية اليمينية والتقليدية الفاعلة داخل النظام وخارجه، بدءا من عناصر من البيروقراطية العسكرية والمدنية، مرورا بشيوخ الاقطاع ورؤساء العشائر البارزين وأوساط البرجوازية، ولا سيما البرجوازية الطفيلية التي تمارس تجارة التهريب للبضائع القادمة من السعودية الى البلاد ،وانتهاء بحزب الاخوان المسلمين وبعناصر مؤثرة من رجالات الدين ومن المثقفين الاصلاحيين.

ان هذا النفوذ الواسع الذى حققه النظام السعودى يغريه بالعمل على استبدال رؤساء البلاد، عندما يتأكد له انهم لم يعودوا قادرين على تقديم ما هو اكثر مما قدموه له من التنازلات وعلى الاستمرار في تصعيد حمى التوتر مع النظام الديموقراطي في جنوب اليمن.

ومن هنا ذلك الدور الذى لعبته الرياض في ازاحة القاضي عبد الرحمن الارياني من رياسة الدولة، بعد ان اعلن عجز نظامه عن الاستمرار في محاربة النظام الثورى في عدن، ومن هنا تلك المؤامرة التي حبكتها الرجعية السعودية مع الاوساط الرجعية العسكرية والمدنية وبالاتفاق مع القوى الاستعمارية والتي انتهت بقتل رئيس الدولة المقدم ابراهيم الحمدى الذى كان قد شرع في تقليم اظافر رجالات السعودية في البلاد، وسعى جاهدا الى الحد من النفوذ السعودى المستشرى فيها ودخل في حوار محدود مع القوى الوطنية، وعمل على تحسين العلاقات مع النظام الثورى في جنوب الوطن.

في ضوء هذه الحقائق التاريخية فانه ليس من المستبعد ان تعمل الرياض على اقصاء رئيس النظام الحالي العقيد على عبدالله صالح من السلطة والاتيان بخليفة له من داخل المؤسسة العسكرية ذاتها وليس من خارجها او من حزب الاخوان المسلمين ــ كما يخيل الى البعض خطأ ــ.

اما لماذا قد تفعل الرياض ذلك، فلان العقيد صالح قد اتيح له من القوة والرسوخ في الحكم ما لم يتح لمن سبقوه من الحكام، وذلك ما لا تريده السعودية التي تؤثر ان ترى على رأس الحكم في صنعاء حكاما ضعافا يستمدون القوة السياسية منها لا من ذات انفسهم، ولانه بعد حرب مارس ١٩٧٩ مع النظام الثورى في جنوب الوطن اليمني ادرك جيدا انه لا يستطيع الاستمرار في محاربته وان ما هو احوج اليه هو توطيد دعائم نظامه في شمال اليمن اولا وقبل كل شيء واقامة دولة مركزية حديثة قوية قادرة على الوقوف في وجه الحركة الوطنية هناك وعلى تركيبها، وقادرة من ثم على الصمود السياسي والتحدى الاستراتيجي للنظام التقدمي في اليمن الديموقراطية.

ويبدو ان الدول الامبريالية، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية، غدت اليوم اميل ما

Digitized by Birzeit University Library

تكون الى دعم استراتيجية العقيد صالح وطاقمه. وفي هذه القضية بالذات ربما اختلفت السياسة الامريكية تجاه اليمن مع السياسة السعودية تجاهها. فبينما تريد السعودية حكاما ضعافا في صنعاء يستمدون القوة السياسية ـ الى جانب القوة المالية منها، ويضلون بالخضوع الكامل لها ولاستراتيجيتها العدوانية المتشددة ازاء اليمن، فان واشنطن تريد حكاما اقوياء يستمدون قوتهم من رسوخ نظامهم في الداخل ومن تعزز مكانته السياسية في مواجهة الحركة الوطنية اليمنية والنظام الثوري في جنوب اليمن، باعتبار ذلك المدخل الاساسي والصحيح لتنفيذ الاستراتيجية الامريكية البعيدة المدى تجاه اليمن وجنوب البحر الاحمر.

وفي ضوء هذه الاستراتيجية الامريكية تجاه اليمن يسهل علينا فهم تلك السرعة غير الاعتيادية التي تم بها اكتشاف البترول من قبل شركة هانت الامريكية في حوض مارب، الجوف بالسهل الشرقي من البلاد، ومسارعة حكومة صنعاء فور ذلك مباشرة الى منح الاحتكارات الامريكية حقوق الامتياز في البحث عن البترول في مناطق واسعة من السهل الغربي للبلاد وعلى الساحل للبحر الاحمر.

لماذا كان حظ شركة هانت الامريكية في اكتشاف البترول هذه المرة افضل من حظ شركة شل التي اوقفت اعمالها في منتصف السبعينات تحت التأثير السعودي، وكيف امكن ان تتغلب واشنطن على معارضة الرياض التقليدية للبحث عن البترول في اليمن ؟.

الاجابة البديهية على ذلك تفسرها الاستراتيجية الامريكية السابقة الذكر تجاه اليمن، والثبات السياسي النسبي الذي غدا يتمتع به نظام صنعاء، ورغبة واشنطن في تعزيز مواقعه ومنحه ثمنا اكبر وقوة اعظم من خلال ايجاد قاعدة اقتصادية مع اليمن الديموقراطية ومن تلميع واجهة النظام الاجتماعية وتحويله الى مركز جذب للرأي العام اليمني،

وعلى عكس الاستراتيجية السعودية التي تتعجل الامور، وتريد اقحام نظام صنعاء في حرب اهلية مع النظام الديموقراطي في جنوب اليمن قبل الاوان، او على الاقل ابقاء العلاقات بينهما في حالة توتر دائم، والتهاب مستمر، فان الاستراتيجية الامريكية ترى ان الصراع بين النظامين صراع استراتيجي بعيد المدى، متعدد الاشكال، وانه بقدر ما يكون نظام صنعاء قويا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا بقدر ما يتمكن من التأثير على الاوضاع في جنوب اليمن، وان الزج بهذا النظام في حرب مكشوفة مع النظام الثوري في اليمن الديموقراطية يتطلب الاعداد والاستعداد الكافيين والضروريين.

ومن نافلة القول الاشارة الى ان النفوذ الاستعماري عموما، والامبريالي الامريكي خصوصا، الذي غزا البلاد بعد انقلاب ٥نوفمبر الرجعي عام ١٩٦٧ قد تصاعد منذئذ، وان اكتشاف الاحتكارات الامريكية للبترول في البلاد سيشدد ويوسع من مدى هذا النفوذ، ويعزز ويرسخ تبعية نظام صنعاء للامبريالية الامريكيـــة.

ان العلاقات التقليدية القائمة بين هذا النظام وبين الاتحاد السوفييتي وبقية البلدان الاشتراكية الاخرى لا تؤثر على ميل هذا النظام نحو الارتباط اكثر فاكثر بعجلة الاستعمار العالمي وبعجلة الامبريالية الامريكية بالدرجة

Digitized by Birzeit University Library

الاولـــى .

لقد نصت ديباجة معاهدة الصداقة والتعاون التي ابرمها في ٩ اكتوبر ١٩٨٤ في موسكو مع الاتحاد السوفييتي ـ نصت صراحة على انها امتداد لمعاهدة الصداقة والتعاون التي ابرمها النظام الملكي مع الاتحـــاد السوفييتي في نوفمبر ١٩٢٨ وابرمها النظام الجمهوري معه في مارس ١٩٦٤ .

وهناك عوامل جديدة عززت اقتناع نظام العقيد علي عبدالله صالح بجدوى عقد هذه المعاهدة منها تعزيز موقعه في صراعه الداخلي الثانوي والمحدود مع حزب الاخوان المسلمين وبعض المشائخ الاقطاعيين الذين يبدون غير راضين عن ذلك القدر المحدد من السلطة الذي سمح به لهم الحكم العسكري ، ومنها نزاع العقيد صالح المكتوم مع السعودية وخشيته من اقدامها على استبداله بآخر سواء ممن يشاركونه السلطة من العسكريين ،ومنها رغبته في كسر حدة اتهام الحركة الوطنية اليمنية له بأنه يسير في ركاب الرجعية السعودية والامبريالية الامريكية ، ومنها ميله الى مجاراة ومباراة اليمن الديموقراطية التي كانت قد عقدت معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتي في اكتوبر ١٩٧٩ .

ولا حاجة الى ذكر الفارق الجوهري الحاسم بين اسس وطبيعة وآفاق كل من المعاهدتين . فبينما لا تعدو المعاهدة التي عقدها العقيد صالح مع الاتحاد السوفييتي ان تكون معاهدة محدودة التأثير وامتدادا تقليديا لمعاهدة الصداقة والتعاون التي عقدها معه الامام يحيى في نوفمبر عام ١٩٢٨ ، والتي كانت اول معاهدة تعقدها دولة عربية معه ، والتي جددها الامام احمد في اكتوبر ١٩٥٥ وان تكون استمرارا طبيعيا لمعاهدة الصداقة والتعاون التي عقدها في مارس ١٩٦٤ رئيس الجمهورية العربية اليمنية المشير عبدالله السلال ، فان معاهدة الصداقة بين جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية والاتحاد السوفييتي تقوم على اسس جديدة تماما .

فهي تتجاوز ليس فقط معاهدات صنعاء مع الاتحاد السوفييتي ، وانما ايضا كل معاهدات الصداقة والتعاون التي عقدتها الانظمة الوطنية العربية ، والتي اما نقضتها ـ كما فعل نظام السادات المرتد اولم تتقيد بها ـ كما فعل النظام الفاشي في العراق = او بقيت فعاليتها في حدود معينة كما هو الحال مع المعاهدة المبرمة بين سوريا والاتحاد السوفييتي .

فمعاهدة الصداقة بين اليمن الديموقراطية والاتحاد السوفييتي تقوم بين رفيقي درب نضالي واحد ، بين شريكي معركة اجتماعية واحدة ، وتستند استنادا وثيقا على ايديولوجية واحدة ، وبالذات على اسس الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية .

ان ذلك ينقلنا مباشرة الى الحديث عن طبيعة المرحلة التاريخية والتي تمر بها اليمن الديموقراطي ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ بفضل اعتمادها على قاعدة اجتماعية عريضة ضمت العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة والوسطى ، وبفضل قيادتها من قبل تنظيم سياسي هو الجبهة القومية ، وبفضل امتلاكها رؤية وطنية واضحة تحاد الاستعمار وعملائه ، وهي ذات المقومات التي كانت تفتقدها ثورة ٢٦ سبتمبر .

ويفعل تجذر وتبلور هذه المقدمات عبر الكفاح الثوري امكن لثورة ٤ اكتوبر ان تنقلب

Digitized by Birzeit University Library

على الحياد السلبي في الجبهة القومية الذي حاول الانحراف بالثورة عن مسارها الوطني التحرري ، واقامة حكم البرجوازية الوطنية ذات النزعة الاصلاحية اللبرالية والمعادية الى التحالف مع القوى الاقطاعية والكمبرادورية على اتقاض التحالف الطبقي الجماهيري، والى التهادن والتعاون مع الاوساط الرجعية الغربية والاستعمارية .

لقد مثل قيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ نقطة تحول حاسمة في تاريخ الثورة انتقلت بها من مرحلة التحرر الوطني الى مرحلة تثبيت الاستقلال الوطني، وتحقيق التحرر الاقتصادي وتعبئة كافة المجتمع للحسم والتقدم، واقامة نظام وطني ديمقراطي ثوري .

وخلال هذه المرحلة عقدت طبقة الاقطاع العسكري واقيم اصلاح زراعي جذري بمشاركة الفلاحين انفسهم، وضربت البرجوازية الكمبرادورية، وامم المصالح والشركات الاجنبية، وحجمت البرجوازية الوطنية، وعقدت التجارة الخارجية حكرا على الدولة، ووضعت الخطط الاقتصادية المرحلية التي بدأت بها عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المنظمة، ووثقت العلاقات الكفاحية مع المعسكر الاشتراكي، وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي، ومع الاحزاب التقدمية والقوى الديمقراطية في الغرب، ومع الاحزاب التقدمية وحركات التحرر الوطني العربية والعالمية .

وما كان في الامكان المضي في هذا المنحى التاريخي الثوري لولا انفتاح الجبهة القومية على آفاق الفكر الاشتراكي العلمي، ولولا سعيها الحثيث مع الاحزاب التقدمية الاخرى المعاضدة لها الى توثيق التعاون فيما بينها، وتعزيز لحمها الكفاحية، والى ايجاد الاطار التنظيمي المعبئ والموحد لنضالها، والعمل على تحويل وثورة بنية تحويله الى حزب طليعي من طراز جديد، ولولا ترصين وتعبئة التحالف الجماهيري للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والقوى الكادحة الاخرى، واقامة المؤسسات الجماهيرية والنقابية النوعية التي سرعت تتحول شيئا فشيئا الى جسور ربط بين التنظيم السياسي القائدوبين الجماهير العريضة .

وبفضل ذلك كله امكن للتجربة الديموقراطية الثورية لا ان تصمد وتنتصر في الحربين اللتين فرضهما عليها نظام صنعاء الرجعي عام ١٩٧٢ وعام ١٩٧٩، ولا ان تحبط وتفشل جميع المؤامرات والمكائد الرجعية والاستعمارية التي اشهدتها ،بل وان تتخلص من الخطر الداخلي الذي ووجهت به والذي تمثل في نزق وطيش رئيس الدولة والامين العام المساعد للتنظيم سالم ربيع علي الذي مارس سياسة يسارية طفولية متطرفة في اول الامر ما لبث ان انتصح جوهرها اليميني آخر الامر، حين رفض تطوير التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية الذي كان قد تشكل في اكتوبر ١٩٧٥ بمقتضى اتفاق ٥ فبراير من نفس العام بين الفصائل الثورية الثلاث : الجبهة القومية، والاتحاد الشعبي الديموقراطي، وحزب الطليعة الشعبي حين رفض تطويره الى حزب طليعي من طراز جديد يقوم على مبادئ الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية وحين سعى الى تقليص العلاقات مع الاتحاد السوفييتي، وحين اقام صلات خفية كشفت مع

Digitized by Birzeit University Library

الرجعية السعودية، وحين قام بمغامرته الانقلابية على التنظيم في ٢٥ يونيو ١٩٧٨ التي انتهت في اليوم الثاني بتصفيته وزمرته البرجوازية الصغيرة المسعورة .

لقد فتح انتصار ٢٦ يونيو ١٩٧٨ على هذه الزمرة الارهابية الخطرة الطريقة امام ترسيخ التجربة الديموقراطية الثوريةوالمضي بها في طريق التوجه الاشتراكي، وتحويل التنظيم السياسي الموحد ـ الجبهة القومية الى حزب طليعي من طراز جديد، حزب يقوم على مبادئ الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية، هو الحزب الاشتراكي اليمني الذي اعلن عن قيامه في اكتوبر ١٩٧٨ .

ويمكن القول ان اليمن الديموقراطية تمر اليوم بمرحلة انتقالية بالغة الحساسية والدقة بمرحلة انجاز كامل مهام الثورة الديموقراطية وتحويلها من ثم الى ثورة اشتراكية .

ويمكن القول ان التجربة الثورية الديموقراطية اخذت تكتسب الان ملامح الثورة الديموقراطية الشعبية وتتحرك في طريق التوجه الاشتراكـــي .

ان ذلك يعني انها لم تكمل نهائيا بعد المهام الديموقراطية ولم تدخل بعد المرحلة الاشتراكيـــة .

فهي تقيم اليوم الجسور الموضوعية والذاتية التي بها وعبرها يمكن الانتقال الى الاشتراكية، ويمكن من ثم تحويل الثورة الديموقراطية نهائيا الى ثورة اشتراكية .

ان من هذه الجسور اقامة القاعدة المادية والتكنيكية واولا وقبل كل شيء التنقيب عن ثروات البلاد الطبيعية كالبترول والمعادن واستخراجها وتصنيعها بمساعدة الاتحاد السوفييتي وهناك من البشائر ما يدل على ان بلوغ هذاالهدف لن يتأخر طويلا .

ومن هذه الجسور تطوير ومكننة الزراعة. وجعل القطاع الزراعي التابع للدولة مثلا نموذجيا في مستوى انتاجيته، والتطوير المتواصل للتعاونيات الزراعية .

ومن هذه الجسور تعميم الثورة الثقافية بحيث تشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية بدءا من محو الامية وانتهاء بايجاد الكوادر المتخصصة في كل مجال من مجالات الدولة والمجتمع، وهو ما يتحقق اليوم بخطوات متسارعـــه .

ومن هذه الجسور تطوير الاداة القيادية لمجمل التجربة الثورية، والممثلة في الحزب الاشتراكي اليمني، عن طريق رفد الحزب بالدماء الجديدة، واولا وقبل كل شيء بابناء العمال والفلاحين وبالمثقفين الثوريين، وتمكينهم من احتلال مواقعهم القيادية في الحزب، والعمل في نفس الوقت على تحصين وتعميق وحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية، والتخلص من كل شوائب ايديولوجية البرجوازية الصغيرة وبقايا الفكر القبلي والاقليمي والفئوي .

وعبر هذه المرحلة الانتقالية سيعمل الحزب شيئا فشيئا على الحد من دور القطاع الخاص، في الزراعة، والتجارة، والمقاولات، وغيرها، كما سيعمل على التقليل باستمرار من استيراد السلع من السوق الرأسمالية، وتوسيع عملية التبادل التجاري مع البلدان الاشتراكية

وبفضل عملية التنمية الاقتصادية المستقلة والمخططة وبالدعم الشامل والتعاون المتعدد الاوجه مع المعسكرالاشتراكي، وفي طليعته الاتحاد السوفييتي ستحقق البلاد النهوض الاقتصادي والتقدم الاجتماعي، والتطور

Digitized by Birzeit University Library

الثقافي وتمضي حثيثا في طريق التوجه الاشتراكي وتنطلق صوب افق الاشتراكية.

والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة هو ما هو السبيل لتحقيق الوحدة اليمنية، بينما يسير كل من شطرى اليمن في طريقين متعاكسين ومتعارضين تماما ؟.

يجب التأكيد هنا ان الوحدة اليمنية كانت احد مطامح واهداف الحركة الوطنية اليمنية منذ نشوئها في منتصف الخمسينيات ، وانها كانت مطلبا اساسيا من مطالب ثورة ٢٦ سبتمبر وثورة ١٤ اكتوبر .

غير ان انتكاس ثورة ٢٦ سبتمبر واستيلاء الاقطاع من جديد على السلطة في صنعاء بالانقلاب ، نوفمبر ١٩٦٧ الرجعي ، ثم هيمنة البيروقراطية البرجوازية العسكرية والمدنية عليها ، ودفعها شمال اليمن في طريق التطور الرأسمالي الطفيلي المشوه والتابع — ان كل ذلك قد وضع عقبات كأداء في طريق الوحدة اليمنيـــة .

وليس في الامكان بلوغ هذا الهدف الوطني النبيل والمشروع والذى تتطلع الى تحقيقه كافة جماهير الشعب اليمني الا بأزاحة هذه العقبات ، الا بثورة جديدة تطيح نهائيا بحكم البيروقراطية البرجوازية ، وتقضي على الطبقة الاقطاعية والطبقة الكمبرادورية وتستأصل النفوذ الرجعي السعودى، والنفوذ الامبريالي، وتقيم نظام حكم ثوريا وطنيا ديموقراطيا في شمال الوطن والخياليون والعاطفيون وقصار النظر والمتخلفو التفكير هم وحدهم الذين لا يرون الفارق الحاسم بين طبيعة كل من النظامين في شطرى اليمن، ويتوهمون ان حب السلطة والتمسك بها هو وحده الذى يحول دون تحقيق الوحدة اليمنيـــة .

فالوحدة قضية وطنية واجتماعية في وقت واحد ، وهي بعد من ابعاد الثورة الوطنية الديموقراطية ، وهي لا تتحقق الا بتفجير مثل هذه الثورة في شمال الوطن ،حتى يتسنى له اللحاق بجنوب الوطن الذى يوشك ان ينجز الاهداف الاساسية لهذه الثورة، والذى يسير اليوم بالفعل في طريق التوجه الاشتراكي.

والرجعيون وحدهم هم الذين من مصلحتهم ابقاء هذه المسيرة التاريخية الظافرة باسم تحقيق الوحدة اليمنية اوعلى امل تحقيقها .

ان الطريق الوحيد لتحقيق الوحدة اليمنية يشبه الى هذا الحد او ذاك الطريق الفيتنامي لتحقيق وحدة فيتنام .

بطبيعة الحال لا بد من مراعاة الظروف المحلية الخاصة باليمن ،والظروف العربية المحيطة بها ولكن لا بد عند معالجة قضية الوحدة اليمنية من الانطلاق من الواقع والوقائع الثورية .

ففي اليمن نظام ديموقراطي ثورى يسير في طريق التوجه الاشتراكي وينتبنى في نفس الوقت قضية الوحدة اليمنية. ومثل هذا النظام لا يمكن التفريط فيه، والتضحية به، ومجرد وجوده هو شرط اساسي من شروط تحرير شمال الوطن من الرجعية اليمنية الحاكمة له، ومن النفوذ الرجعي السعودى والامبريالي.

وفي اليمن حزب اشتراكي يمني، وجبهة وطنية ديموقراطية، يسعيان حثيثا من اجل تحقيق الوحدة اليمنية ،شريطة ان تقوم على اسس وطنية ديموقراطية .

ليس هناك تعارض بين السعي الى تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي وبين التكتيكات

Digitized by Birzeit University Library

اللازمة التي تقتضيها الظروف المحلية والعربية والدولية، وتحتم من ثم تطبيع العلاقات وجعلها عادية بين شطرى اليمن — للحيلولة دون اندلاع الحرب بينهما من جديد، وهو ما تخطط له الرجعية السعودية والاستعمـــار —

ومن غير الصحيح الزعم القائل بأن ذلك القدر المحدود من التفاهم والتعاون في بعض المشاريع الاقتصادية المشتركة بين شطرى اليمن جاء كبديل لهدف الوحدة اليمنية او على حسابها وحساب نضال الجبهة الوطنية الديموقراطية في شمال اليمن .

ان اليمن الديموقراطية في حاجة الى فسحة من الزمن حتى تتمكن من بناء اقتصادها الوطني ومن بلورة نموذجها الثورى، وجعلها اكثر جاذبية لجماهير الشعب اليمني، وتلك هي القضية المركزية والحلقة الوسطى في السلســـة .

والجبهة الوطنية الديموقراطية في حاجة ايضا الى فسحة من الزمن من اجل اعادة بناء نفسها تنظيميا وجماهيريا وسياسيا وايديولوجيا ومن اجل توسيع اطارها .

وحزب الوحدة الشعبية اليمني الذى يمثل العمود الفقرى لهذه الجبهة هوفي حاجةكذلك الى هذه الفسحة من الزمن لتحقيق ذات الفرض .

ان بناء اليمن الديموقراطية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، ومضيها في طريق التوجه الاشتراكي وتعزيز مكانتها العربية والدولية وان اعادة بناء الجبهة الوطنية الديموقراطية وتطوير اوضاع حزب الوحدة الشعبية اليمني — ان كل ذلك يمثل شروط موضوعية وثابتة لا غناء عنهالتصعيد النضال الثورى في شمال اليمن من اجل اسقاط حكم الطغمة العسكرية الديكتاتورى والقضاء على الاقطاع والكمبرادور والبيروقراطية البرجوازية ، واقامة نظام وطني ديموقراطي فيه يمثل قيامه المدخل الطبيعي والتاريخي والوحيد لبزوغ فجر الوحدة اليمنية ، ولنهوض اليمن الديموقراطي الموحد ذى التوجه الاشتراكي، والافق القومي — العربي التقدمي .والرؤية الاممية الثورية .

Digitized by Birzeit University Library

محاولة في فهم ..

نضال الطبقة العاملة البحرانية

لجنة التنسيق بين النقابات واللجان العمالية في البحرين

ناضلت الطبقة العاملة البحرانية اسوة بالطبقة العاملة في البلاد الاخرى، منذ نشوئها من اجل التشكيل النقابي، وقدمت الكثير من التضحيات في هذا السبيل، فقد شكلت" اتحاد عمال البحرين" اثناء حركة ١٩٥٤ ــ ١٩٥٦ واستطاعت ان تنتزع مكسبا تشريعيا مهما، حيث اقر قانون العمل البحراني الصادر سنة ١٩٥٧ ،بحق الطبقة العاملة في تشكيل تنظيماتها النقابية. ومع ان هذا القانون لم يطبق، الا ان طبقتنا العاملة واصلت نضالاتها من اجل وضع القانون فيما يخص النقابات حيز التطبيق. وتوالت نضالاتها الى ان جاءت انتفاضة ١٩٦٥ وبعدها انتفاضة ١٩٧٢، التي اكدت من جديد اهلية طبقتنا العاملة في قيادة الجماهير الكادحة الاخرى، والتي من خلالها حققت انتصارا هاما هو قيام المجلس الوطني سنة ١٩٧٤ .

وفي هذه الظروف ونتيجة لخبرة طبقتنا العاملة المتراكمة ، استطاعت ان تستفيد من الديموقراطية الشكلية التي اتاحها الدستور، وان تشكل تنظيماتها المختلفة وفي مختلف مواقعها، فارضة بذلك تطبيق قانون العمل لسنة ١٩٥٧ ، وفاتحة عهدا نضاليا جديدا. فمع ان تلك الفترة كانت جد قصيرة، الا ان كثافة التحركات العمالية تحت قيادة نقاباتها كانت كبيرة جدا، واستفادة طبقتنا العاملة كانت غنية ومتنوعة وتنظيم تلك التحركات كان من العمق لدرجة ارعبت السلطة الرجعية، مما دفعها الى توجيه ضربة الى طبقتنا العاملة. فبعداغتيال الديموقراطية باغلاق المجلس الوطني، ضربت السلطة اول ما ضربت التنظيمات النقابية، واعتقلت خيرة عمالنا النقابيين الذين افرزتهم تلك الفترة محاولة بذلك تجريد طبقتنا العاملة من سلاحها وحقها المشروع في النضال من اجل تحسين اوضاعها .

ومرة اخرى اثبتت طبقتنا العاملة انها قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة، وتغيير اساليب نضالها، فمن الظروف العلنية التي تحققت لفترة قصيرة، استطاعت ان تخوض نضالاتها بشكل سري، حيث شكلت تنظيماتها العمالية السرية، وبدأت في خوض نضالاتها في ظروف ارهابية وقمعيـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

واستطاعت حتى في هذه الظروف ان تفرض على السلطة الرجعية تنازلات واحدة تلو الاخرى. فمن تشكيل لجان التشاور ، التي اريد لها ان تكون بديلة عن النقابات المغتصبة، وشلها من قبل طبقتنا العاملة فيما بعد وما ترتب عليه من كشف الوجه القبيح لوزارة العمل ، الى اللجان المشتركة المشكلة بالانتخابات ومنها الى تشكيل اللجنة العامة لعمال البحرين .

ان خبرة طبقتنا العاملة قد مكنتها من الاستفادة من كل مكسب حققته وكل فرصة متاحة لها من ان تدفع نضالاتها الى مواقع متقدمـــة .

منذ الهجمة الرجعية ، على مكتسبات طبقتنا العاملة والى الان حدثت تطورات اثرت بشكل مباشر على اوضاع عمالنا المعيشيـــة .

فالهجمة اتسعت لتشمل المجال الاقتصادي، حيث فتحت السلطة الرجعية ابواب البلاد للاحتكارات الاجنبية لنهب خيراتها وثرواتنا الطبيعية واستغلال طبقتنا العاملة شراستغلال ، وبالاشتراك مع البرجوازية التجارية وكبار المقاولين والبرجوازية المالية، التي بدأت تثبت موقعها أكثر فأكثر في السياسة العامة في البلاد ، مما ادى الى تدهور معيشة طبقتنا العاملة البحرانية. فمن جهة بقيت الاجور على ما هي عليه في حين ارتفعت اسعار المواد الاستهلاكية الاساسية بشكل جنوني ومعدلات فاقت في بعض الاحيان الدول الرأسمالية المتقدمة. فاستنادا الى دراسة اعدتها وزارة الصحة ـ قسم الاغذية تقول (الملاحظ بأن ارتفاع اسعار المواد الغذائية باستثناء تلك المدعومة من قبل الحكومة تراوحت ما بين ١٠ ٪ و ٣٠ ٪ لسنة ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨) (١) وبالرجوع الى احصائيات وزارة التجارة والزراعة، يتضح بأن معدل ارتفاع اسعار المواد الغذائية كان ٣٦ر٥٪ سنة ١٩٨١ ـ ١٩٨٢، ٣١ ٪ سنة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ " نفس المصدر السابق" اى ان ارتفاع اسعار المواد الغذائية منذ سنة ١٩٧٧ الى ١٩٨٣ كان ما مجموعه ١٩٠ ٪ ومن جهة اخرى ونتيجة لهذه السياسة ، فقد زاد الطلب على الايدى العاملة، مما ادى الى اغراق السوق المحلية بالايدى العاملة الاجنبية الرخيصة، حيث زادت هذه العملية في خلال ١٢ سنة بمعدل ٢٩١ ٪ .

فبعد ان كانت تشكل ٣٧ر٧ ٪ من مجمل الايدى العاملة في سنة ١٩٧١، اصبحت تشكل ٥٨ر٥٪ في سنة ١٩٨٢ ، الشيء الذى اثر على معدل الاجور وخفض قيمتها ، وأدى ذلك الى ارتفاع الاسعار ليس للمواد الاستهلاكية وحسب ، وانما شمل الارتفاع الايجارات الذى بدوره رفع قيمة الاراضي ومستلزمات البناء وكل ذلك على حساب طبقتنا العاملة .

في هذه الظروف لم تستكن طبقتنا العاملة، وانما راحت تكثف من نضالاتها من اجل تحسين اوضاعها واعادة الكيانات النقابية المغتصبة الديموقراطية .

وقداخذت نضالاتها اشكالا مختلفة من كتابة العرائض والشكاوى والتحركات والمناوشات الجزئية والمحدودة، كلها صبت في اتجاه تحسين اوضاعها ورفع الاجور. ومن البديهي ان غياب التشكيل النقابي قد اعاق طبقتنا العاملة عن اداء دورها هذا، الا انها استوعبت وبشكل سريع ان تصعيد النضال المطلبي وتحقيق اكثر ما يمكن من هذه المطالب حتى ولو كانت بسيطة سوف يهيء ويخلق الظروف من اجل التشكيل النقابي. وبالمقابل فانه لا زالت هناك فئات عمالية ليست قليلة لم تستوعب هذه الحقيقة ومدى سعة الظروف والاوضاع العمالية، وان كان شائعا بينهم بان اولويات

Digitized by Birzeit University Library

النضال يجب ان يوجه من اجل رفع الاجور فقط .

الا ان هذا جانب واحد من الموضوع حيث ان الاوضاع العمالية تشمل بالاضافة الى هذا الجانب المهم ، جوانب ومجالات كثيرة في حياة العامل التي يجب ان تأخذ اهمية وحيزا كبيرا من تفكير طبقتنا العاملة عند الشروع في نضالهـــا .

لذا فان اهمية معرفة الظروف التي يجب النضال من اجل تحسينها ، والفروع التي تندرج تحت موضوع الظروف العمالية ، تصبح من المهمات الملحة لحركتنا ، والتي يجب العمل على نشرها وتوضيحها لعمالنا ودفعهم للنضال من اجل تحقيقها . وهدف هذه الدراسة هو هذه المجالات المختلفة ،والتعرض لها بالتفصيل ، وما انجز منها وما لم ينجز الى الان . ونستطيع ان نوردتعريفا لظروف العمال وهو كل ما يؤثرويتفاعل مع حياة العامل سواء في مكان العمل او خارجه وللتحديد فان المجالات الاتية تعتبر من اهم المجالات التي تؤثر في حياة العامل :

١) الاجور ٢ ظروف العمل ٣) الخدمات العمالية ٤) التأمينات الاجتماعية

موضوع الاجور من الموضوعات الرئيسية في حياة العمال ، فهو يمس العامل ويؤثر على حياته تأثيرا مباشرا ، ويمكن اعتبار الاجور كنافذة يمكن النظرمن خلالها الى احوال العمال ومعرفة مدى سوء احوالهم او العكس .

ولمعرفة واقع الاجور في البحرين ، فانه من الضرورى معرفة واقع الحد الادنى للاجور المعمول به والحد الادنى المطلوب في ارتفاع الاسعار ، ومن ثم واقع الاجور الفعلية للطبقة العاملة البحرانية . يمكن تعريف الحد الادنى للاجور بأنه الاجر الذي يلبي متطلبات العامل الفيزيائية والعائلية والتأهيلية (التدريب على العمل) جنبا الى جنب مع المستلزمات الاجتماعية ـ الثقافية وهو ما يعبر عنه بقيمة قوة العمل غير الماهرة . وبناء على هذاالتعريف فما هو واقع الحد الادنى للاجور في البحرين ؟ .

نصت المادة ٧٧ من قانون العمل على ان يكون " تحديد الحد الادنى للاجور بقرار من مجلس الوزراء بناء على عرض وزير العمل والشؤون الاجتماعية" . وبالنظر في هذه المادة يلاحظ بانها لم تأت لتحدد الحد الادنى للاجور ومواكبا لارتفاع الاسعار والتغييرات الحاصلة في الوضع الاقتصادى ، وانما جاءت لتبطل وتشل مفعول الحد الادنى للاجور فالمادة اولا تستثنى العمال اصحاب الحق من المشاركة في تحديد الحد الادنى للاجور . ثانيا ، لا تحدد فترة زمنية معينة مثل كل ستة شهور او في بداية او منتصف كل سنة ، لدراسةاحوال السوق ومتطلبات العمال ، ومن ثم مراجعة الحد الادنى للاجرة الاخيرة المعمول بها ، مما يعني ان اجر العامل يبقى جامدا فترة طويلة تبعا لارادة الحكومة وعدم حصول العامل على احتياجاته الاساسية ، في ظروف ارتفاع الاسعار ، خاصة في البحرين ، حيث ارتفاع تكاليف المعيشة يعتبر من الامور المسلم بها وذات ارتفاع مستمر . بمعنى آخر فان العامل يحصل على ما هوادنىمن احتياجاتهالضرورية .. ثالثا ، انها لا تحدد القواعد التي يجب ان يلتزم بها من قبل الجهةالمختصة في تحديد الحد الادنى للاجور ، مثلا متابعة احوال السوق وحركة الاسعار ومدى الزيادة الحاصلة ، ودراسة الوضع الاقتصادى في البلاد ، مما يعني ان

Digitized by Birzeit University Library

النتائج الصادرة عن هذه الجهة لن تكون مطابقة للواقع المعاش للعمال .

رابعا : انها لا تلزم اصحاب الاعمال بالتقيد بالحد الادنى للاجور ، كما انها لا تشير الى ضرورة متابعة تطبيقه لا في هذا البند ولا في البنود الاخرى لقانون العمل ، مما يعني ترك عمالنا عرضة للعرض والطلب في السوق . وأخيرا ، فحتى تعريف الحد الادنى للاجور غير وارد في هذا البند ، مما يفسح المجال واسعا لتفسيرات واجتهادات كثيرة تكون دائما في خدمة اصحاب الاعمال والشركات الاحتكارية الاجنبية .

وبعقد مقارنة بين هذا البند (٧٧) في قانون العمل البحراني وغيره من القوانين حتى تلك المعمول بها في اكثر الدول فاشية نجد ان قانون العمل البحراني يضاهي في رجعيته رجعية القوانين لاخرى . فمثلا قانون العمل في الارجنتين يعرف الحد الادنى للاجور على انه " الاجر المطلوب في كل مقاطعة لتمكين العامل واسرته من الحصول على غذاء مناسب ، وسكن معقول وكساء وتعليم لاولاده ورعاية طبية وتنقل واجازات واستجمام وتأمين وادخار . كما ان القانون يعطي لجان الاجور المشكلة من ممثلي العمال وأصحاب الاعمال صلاحية تحديد الحد الادنى للاجور دون الحاجة الى استحصال موافقة الدولة ودون تدخل الدولة في وضع القرارات . كما ينص قانون العمل الفرنسي في بنده الثاني على ان ضمان القوة الشرائية للعمال قليلي الاجر يتم بواسطة جدولة الاجر الادنى المتزايد مع تطور المؤشر الوطني لاسعار السلع الاستهلاكية الذي يصدر به قرار مجلس الوزراء بعد أخذ رأي اللجنة العليا للاتفاقات الجماعية .

ومتى وصل هذا المؤشر الى مستوى ارتفاع (٢٪) في الاقل بالنسبة للمؤشر السابق عند تحديد الحد الادنى للاجور ، فان الاجر الادنى يرتفع بنفس النسبة منذ اليوم الاول من الشهر التالي على نشر الارتفاع في الاسعار فبالاضافة لاعطاء دور كبير للجنة العليا للاتفاقيات الجماعية فان قانون العمل الفرنسي يجعل ارتفاع الحد الادنى للاجور تلقائيا بتفسارتفاع الاسعار متى ما وصلت هذه النسبة ٢ ٪ .

يتضح مما تقدم بان الحد الادنى للاجرة في البحرين لا وجود له . فمنذ سنوات طويلة وتحديدا في بداية السبعينات حددت الحدود الدنيا للاجور بـ ٣٦ دينارا في القطاع الاهلي ، و ٨٠ دينارا في القطاع الحكومي وبقي الحد الادنى هذا حوالي ١٠ سنوات ، في الوقت الذي ارتفعت فيه الاسعار اضعافا مضاعفة ، الشيء الذي جعل عمالنا يعيشون عيشة الكفاف أي انهم يلبون احتياجاتهم الغذائية في ادنى حدودها ، بحيث يحصلون على ما يبقيهم احياء لاداء عملهم المطلوب . ووجود هذا البند (٧٧) في قانون العمل ما هو الا للاحتماء به في المحافل الدولية ، واخفاء سياسة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية المساندة لسياسة اصحاب الاعمال والشركات الاحتكارية . ولبرهان ذلك يكفي ان نستعرض احد تصريحات وزير العمل والشؤون الاجتماعية الشيخ خليفة بن سليمان بن محمد الخليفة ، والذي يكشف فيه بكل صراحة عن هذه السياسة ففي رده على شكاوى المقاولين يقول الوزير " نحن هنا في البحرين لا نستطيع بحكم طبيعة النظام الاقتصادي المعمول به (أي نظام اقتصادي يقصد ؟؟ فهو بالطبع ليس اشتراكيا) ان نتدخل لتحديد اجور العمال في المهن المختلفة ، والمسألة متروكة لظروف السوق ومتطلبات العرض والطلب ... ويتابع

Digitized by Birzeit University Library

... ان هناك آراءا اخرى (يقصد كبار المقاولين وتحديدا احمد منصور العالي) تفهمت الامور فهما صحيحا فقالت ان تحديد الاجور مشكلة وقد يضر العامل وصاحب العمل ايضا" ثم يستتبع الوزير" البلد فيها انفتاح ومشاريع كبيرة .. اذ أطالب بترك مسألة تحديد الاجور للعرض والطلـــــــب "(٢).

يقينا بأن هذا التصريح لا يحتاج الى أى تعليق فالوزير يعلن بصراحة وبلا مواربة وبوضوح ما بعده وضوح عن سياسة الوزارة المعبرة عن رغبات اصحاب الاعمال والشركات الاحتكارية. فهو ضد تحديد الاجور، لانه اولا يضر باصحاب الاعمال ، ثانيا ، سوف يؤدى الى هروب المشاريع الكبيرة ، الشيء الذى سوف يؤدى الى الاضرار بمصالح برجوازيتنا على اختلاف فئاتها . ومن التصريح يتضح بأن الوزير يتكلم عن تحديد الاجوروهو يفصل بين الاجوروالحد الادنى للاجور. ومن الامور المسلم بها انه كلما زاد الحد الادنى للاجور (سعر قوة العمل غير الماهرة) كلما زادت الاجور الاخرى (سعرقوة العمل الماهرة) . وهذا ما تحاول السلطة الرجعية عندنا جاهدة تجنبه ، وكبت كل محاولة لتحديد الحد الادنى للاجور، وبهذا الخصوص نذكر على سبيل المثال ، تصريح الوزير السابق (٣) حين طالب بأن لا يقل الحد الادنى للاجر عن ٩٠ دينارا . ونأمل باذن الله ان تتم الموافقة عليه. ولكن يبدو ان هذه لم تتعدى ان تكون اماني وأحلاما ذهبت ادراج الرياح مع ذهاب الوزير ، ولم يتم تحديد الحد الادنى للاجور الى يومنا هذا .

والان لنلقي نظرة على واقع الحد الادنى للاجور في البحرين والحد الادنى المطلوب والهوة التي تفصل بينهما. كما قلنا سابقا فان الحد الادنى للاجور حدد بـ ٣٦ دينارا في القطاع الاهلي و ٨٠ دينار في القطاع الحكومي ، وبقي هذا الحد ثابتا في الوقت الذى ارتفعت فيه اسعار المواد الغذائية والاستهلاكية الاخرى الى معدلات خيالية ادت بدورها الىارتفاع الحد الادنى للاجرة المطلوبة. ولتحديد الحد الادنى للاجرة المطلوبة ، فانه ينبغي معرفة احتياجات الفرد من الغذاء الذى يجب ان يحتوى على ٢٥٠٠ سعرة حرارية كمعدل الاسعار لسنوات ٧٧ ــ ١٩٨٣ من مصادر وزارة التجارة والزراعة ، والتي في احيان كثيرة لا تطابق الواقع لعدم تقيد التجار بالاسعار الرسمية ،توصلنا الى الجدول رقم (١) .الذى يبين المبلغ الضرورى لتوفير سعرات حرارية ما بين ٢٥٠٠

جدول (١)

السنة	تكلفة غذاء الفرد الواحد في اليوم	تكلفة غذاء أسرة مكونة من ٦ أفراد في اليوم
١٩٧٧	١,١٣٥	٦,٨١٠
١٩٧٨	١,٣٢٨	٧,٩٦٨
١٩٧٩	١,٥٤٤	٩,٢٦٤
١٩٨٠	١,٥٥٠	٩,٣٠٠
١٩٨١	١,٦٩٩	١٠,١٩٤
١٩٨٢	١,٧٧٤	١٠,٦٤٤
١٩٨٣	١,٧٩١	١٠,٧٤٦

Digitized by Birzeit University Library

و ٢٧٠٠ في اليوم للفرد الواحد وأسرة مكونة من ستة افراد ـ بالدينار البحراني .

لقد تم اختيارنا كمعدل ٦ افراد للاسرة البحرانية استنادا الى تعداد السكان والمساكن لدولة البحرين ـ ١٩٨١ . وهذا ايضا لا يطابق الواقع في البحرين، فحجم الاسرة البحرانية يفوق ذلك بكثير، ففي دراسة عن العادات الغذائية في البحرين (٤) يتوصل الباحث الى التالي: نجد ان ٤٦ر٨ ٪ من الاسر في المناطق الحضرية و ٥٧ر٥٪ في المناطق الريفية يزيد عدد افرادها عن ٧ افراد وهذا يوافق ما وجده الباحث (٥) حيث ان متوسط حجم الاسرة الريفية هو ١٦ فردا . وفي دراسة اخرى (٦) وجد ان حجم الاسرة الريفية في البحرين ١٤ فرد . وكذلك وجد نفس الباحث ان ٤٤ر٤٪ من الاسر في مدينة المنامة يزيد عدد افرادها عن ٧ افراد .وبناء عليه فانه حتى الارقام المبنية في الجدول رقم (١) تبدو اقل بكثير مما ينبغي ان يصرف على الغذاء .

من الجدول رقم (١) وباضافة الاحتياجات الاخرى غير الغذاء نحصل على الحد الادنى للاجرة المطلوبة كما هو مبين في الجدول (٢) .

	القطاع الأهلي		الهوة بين الحدين	القطاع الحكومي		الهوة بين الحدين
	الحد الأدنى للأجرة الرسمية	الحد الأدنى للاجرة المطلوبة	النسبة	الحد الأدنى للأجرة الرسمية	الحد الأدنى للاجرة المطلوبة	النسبة
السنة	في اليوم	في اليوم	المئوية	بالمرات	في اليوم	في اليوم	المئوية	بالمرات
١٩٧٧	١,٢	٩,١١	٦٥٩	٧,٥	٢٦٠	٩,١	٢٥٠	٣,٥
١٩٧٨	١,٢	١٠,٥٦٨	٧٨٠	٨,٥	٢٦٠	١٠,٥٦٨	٣٥٦	٤
١٩٧٩	١,٢	١٢,١١	٩١٠	١٠	٢٦٠	١٢,١٣	٣٦٦	٤,٥
١٩٨٠	١,٢	١٢,١٤٥	٩٣٧	١٠	٢٦٠	١٢,١٤٥	٣٧٨	٤,٥
١٩٨١	١,٢	١٢,٨٦	١٠٥٥	١١,٥	٢٦٠	١٣,٨٦	٤٣٢	٥
١٩٨٢	١,٢	١٤,٤٨	١١٠٦	١٢	٢٦٠	١٤,٤٨	٤٥٦	٥,٥
١٩٨٣	١,٢	١٤,٨٤٦	١١٣٧	١٢,٥	٢٦٠	١٤,٨٤٦	٤٧١	٥,٥

من الملاحظ بأن الحد الادنى للاجرة المطلوبة هذه توصلنا اليه بعد حذف الحاجات الثقافية للعامل والمصروفات الاخرى التي تستحصل من العامل لقاء الخدمات المختلفة كالتي تقدمها وزارة الداخلية ـ قسم المرور والجوازات التي زادت قيمتها في السنوات الاخيرة لتصل الى نوع الضريبة يدفعها العامل من اجرة (تسجيل المركبات ، المخالفات المصطنعة .. الخ) والمصروفات التي تذهب للتأمين على المركبات والـ ١٠ / الحسومات المقطوعة من اجرة العامل والمصروفات الترفيهية والمصروفات التي تذهب للحاجات المنزلية سواء مايتعلق منها بالغذاء مثل (البهارات ، غاز الطبخ ، زيت الطبخ ، البصل ، البطاطس ، صابون غسيل الملابس او الجسم ...الخ) او ما يتعلق منها بالاشياء الكمالية مثل (تأثيث المنزل ،ادوات المطبخ .. الخ) ومصروفات تربية الاطفال .

Digitized by Birzeit University Library

بالرجوع للجدول رقم (٢) وبأخذ المعدل بالنسبة للفارق بين الحدين نجد ان الحد الادنى للاجرة المطلوبة يزيد عن الحد الادنى للاجرة الرسمية عشرمرات في القطاع الاهلي وحوالي خمس مرات في القطاع الحكومي. وهذه الهوة تتسع باستمرار، وذلك لموقف وزارة العمل من الحد الادنى للاجـــور .

ومعان العامل البحراني عند التحاقه بالعمل في احدى الشركات والوزارات ،يحصل على اجر اعلى من الحد الادنى للاجرة الرسمية، وربما يصل الى الحد الادنى المعمول به في الحكومة (٨٠ دينار) الا ان اقرار الحد الادنى للاجرة الرسمية بـ ٣٦ دينارا في القطاع الاهلي، يعتبر كالسيف المسلط على رقاب عمالنا، فهو يطبق علىالايدى العاملة الاجنبية، وهذا ما يفسر الاقبال الشديد على هذه العمالة واغراق السوق بها ، مما ادى الى خلق بطالة اتسعت ليصبح عدد العاطلين عن العمل ٨٢٤١ (حسب احصائيات تعداد السكان والمساكن ـ ١٩٨١) أى ما يعادل ٦٪ من مجمل الايدى العاملة في البحرين، وهذه النسبة مقارنة بالدول الاخرى تعتبر عالية جدا. ووجود هذا العدد من العاطلين ادى الى ابتزاز منظم لطبقتنا العاملة من قبل اصحاب الاعمال تساندهم في ذلك وزارة العمل، وبالتالي قبول عمالنا بأدنى الاجور وأقصى ظروف العمل شدة. ولا يفوتناهنا ما صرح به وزير العمل حينما قال : " وفي ظروفنا في البحرين ونظرا لان الحد الادنى للاجور لا بد وان يطبق على العمال ايا كانت جنسياتهم وبدون اية تفرقة، فان الامر يتطلب دراسة مكثفة لقدرة القطاعات الاقتصادية المختلفة على تحمل تطبيقه والالتزام به " (٧) . ان الوزير يعلنها بكل صراحة بأن تحديد الحد الادنى للاجور سوف يضر بالقطاعات الاقتصادية المختلفة، حيث انها تطبق على العمال ايا كانت جنسياتهم ،لذا يجب مراعاة مقدرة هذه القطاعات على تطبيق الحد الادنى للاجر والالتزام به في حال تحديده وهذا يعني من منظور وزير العمل انه طالما وجدت الحاجة للايدى العاملة الاجنبية والتي كما قال وزير العمل السابق" طبعا نحن بحاجة الى ايد عاملةوافدة وسنظل دائما في حاجة الى هذه العمالة " (٨). فانه لا يجب على الطبقة العاملة البحرانية ان تفكر وأن تطالب بتحديد الحد الادنى للاجور لانه سيضر باصحاب الاعمال .

ازاء هذه الظروف، ظروف انعدام الحد الادنى للاجور، فان طبقتنا العاملة مدعوة للنضال من اجل المطالبة بتحديد الحد الادنى للاجور ليكون متمشيا معارتفاع الاسعار والتقلبات الاقتصادية، وبانتزاع مطلب تشريعي يعطي طبقتنا العاملة الحق في المشاركةفي تحديد الحد الادنى للاجور. ولتحقيق ذلك، فان ممارسة الضغط على اللجان المشتركة وبالتالي اللجنة العامة لعمال البحرين التي جاءت منتخبةمن قبلنا وجعلها بالاضافة الى تحقيق مطالبنا الاخرى وحل مشاكلنا اليومية تتحرك في اتجاه انتزاع الصيغة القانونية المواكبة لتطور قوى الانتاج في مجتمعنا سوف يسهم في دفع اللجنة العامة في الاتجاه الصحيح وأخذ دورها الحقيقي المتمثل فيتهيئة الظروف من اجل التشكيل النقابي ، على عكس ما يراد لها ان تكون ، وسوف يسهم في الكشف عن الممثلين الذين لا يستحقون ان يتكلموا باسم طبقتنا العاملة المناضلة .

Digitized by Birzeit University Library

معـــدل الاجـــور فـــي البحـــريـــن :

والصورة فيما يتعلق بمعدل الاجور لا تختلف كثيرا عن واقع الحد الادنى للاجرة التي توصلنا اليها . فسياسة الاجور في البحرين بشكل عام تعتبر من الامور المحظورة على كل باحث او دارس، ومن الامور التي يجب عدم المساس بها اوالتعرض اليها . وقد صرح فريق بحث مرسل من منظمة العمل العربية الى البحرين لاجراء دراسة عن احوال العمل بأنه قد اصطدم بندرة الاحصاءات المنشورة عن الاجور ومستوياتها في البحرين (٩) . وكل من يحاول التعرض لسياسة الاجور، يعتبر حسب الدستور وقانون امن الدولة خارجا عن القانون ومن الناس المخربين والمشاغبين ويجب ان يتعرض لاشد العقوبات .

ونحن في هذه الظروف سوف نكون مخربين ومشاغبين وسوف نتعرض لسياسة الاجور ومعدلاتها في البلاد . معتمدين المصادر القليلة التي حصل عليها فريق البحث المشار له في الفقرة السابقة والاحصائيات والبيانات الواردة في بحث خبيرالقوى العاطلة بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية (متوسط الدخل الشهري في البحرين ــ تأثير التعليم على مستوى الدخل) وبعض الاحصائيات التي استطاعت "صوت العامل" الحصول عليها من مصادرها الخاصة والموثوقة . وفي اعتقادنا بأنها كافية لالقاء الضوء على معدل الاجور في البحرين والاجور الفعلية (الحقيقية) ومن ثم كشف السياسة الرجعية للسلطة في مجال الاجور والمتمثلة بسياسة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية .

ان القاء نظرة سريعة على مقال الخبير بوزارة العمل " اولي كاليجات" (١٠) تكشف لنا الكثير من المغالطات . ولسنا هنا بصدد دحض هذه المغالطات فهي كثيرة ومتنوعة وتشمل مواضيع خارجة عن نطاق هذه الدراسة . وسوف نتعرض الى ما يخص موضوعنا وهو معدل الاجور .

من خلال المسح الذي اجراه الخبير عن دخل ٦٩١١٤ عاملا، اى ما يقارب ثلثي القوى العاطلة في القطاع الخاص اصطدم بهبوط معدل الاجور، حيث يقول : ان اكثر الفروق الملفتة للنظر قد يكون ذلك بين المجموعة غير المتعلمة (افتراضا امية) وبين المجموعة التالية القادرة على القراءة والكتابة اذا يلاحظ ان معدل الاخيرة هو ١٥٩ دينارا بينما هو ٩٩ دينار للمجموعة التي قبلها وهو فارق يزيد عن ٦٠ في المئة " انظر الجدول رقم (٣) .

ولو تمعنا في الجدول رقم (١) الذى توصل اليه الخبير، سوف نلاحظ ان المجموعة التي يقصدها الخبير والتي تحصل على ٩٩ دينار تشكل ٤٨٫٢ ٪ من مجموع القوى العاطلة التي اجرى لها المسح والمجموعة الثانية التي تحصل على ١٥٩ دينار تشكل ٦٫٢ ٪ من هذه العمالة . اى ان الواقع يفرض نفسه فرضا وهو ان غالبية القوى العاطلة معدل اجورها لا يتعدى ٩٩ دينارا . ويصل الخبير الى استنتاج وهو ان انعدام التعليم عند هؤلاء العمال هوالسبب في هبوط معدل الاجور وهو يرى ان من المهم جدا بالنسبة للمواطنين انفسهم ولدولة البحرين القيام بمحو الامية والتخفيف من نسبتها، ماذا يريد ان يقول الخبير؟ بكل بساطة ان هبوط معدل الاجور ليس ناتجا عن السياسة الاقتصادية للدولة انما لانعدام التعليم عند غالبية الايدى العاطلة البحرانية... ماذا يقول الخبير

Digitized by Birzeit University Library

جدول (٣)

مستوى التعليم	المجموع		الذكور		الاناث	
	عدد العاملين والنسبة المئوية	معدل الدخل الشهري	عدد العاملين والنسبة المئوية	معدل الدخل الشهري	عدد العاملين والنسبة المئوية	معدل الدخل الشهري
بدون تعليم	٣٣٣٤٠ ٪٤٨,٢	٩٩	٣٣٢٣٥ ٪٥٠,٢	٩٩	١٠٥ ٪٣,٦	١٢٧
القدرة على القراءة والكتابة	٤٣٢٥ ٪٦,٣	١٥٩	٤٢٩٦ ٪٦,٥	١٥٦	٢٩ ٪١	١٠٩
الابتدائي والاعدادي	٩٥٢٢ ٪١٣,٨	١٦٩	٩٣٣٦ ٪١٤,١	١٧٠	١٨٦ ٪٦,٣	١٣٨
الثانوي	١١١٤١ ٪١٦,١	٢٠٧	٩٤٦٣ ٪١٤,٣	٢٠٩	١٦٧٨ ٪٥٧,٢	١٩٢
التجاري والصناعة	٢٤٥٩ ٪٣,٦	٢٥٠	٢٢٩٩ ٪٣,٥	٢٥٠	١٦٠ ٪٥,٤	٢٥٥
الجامعي وغيره من التعليم العالي	٧٩٥٥ ٪١١,٥	٣٩٣	٧١٨٨ ٪١٠,٩	٤٠٦	٧٦٧ ٪٢٦,١	٢٧٨
معلومات غير متوفرة	٣٧٢ ٪٠,٥	٢١٢	٣٦١ ٪٠,٥	٢١٣	١١ ٪٠,٤	١٦٦
جميع العاملين	٦٩١١٤ ٪١٠٠	١٧٠	٦٦١٧٨ ٪١٠٠	١٦٨	٢٩٣٦ ٪١٠٠	٢١٢

عن وجود الاعداد الهائلة من العاطلين عن العمل من خريجي الثانوية العامة ومن خريجي مختلف الجامعات وذوي التخصصات المختلفة. وهل هؤلاء ايضا ينعدم عندهم التعليم ؟؟.

ان القاء نظرة سريعة على توجهات السلطة في سياستها الاقتصادية تكشف لنا لماذا يتدنى معدل الاجور بهذه الصورة . ولكن قبل ذلك نورد حقيقة لا بد منها وهي ان تحديد مستوى رفاهية اى شعب يقرن بطبيعة النظام الاجتماعي القائم وبشكل توزيع الثروات فيه. فاذ كان المجتمع يقوم على اساس الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وسيطرة فئات قليلة من الناس على اجهزة السلطة وادارتها وخضوع الاغلبية لها، فان مجمل الخيرات والثروات تذهب الى جيوب هذه الفئات

Digitized by Birzeit University Library

القليلة . بمعنى آخر فان هذه الفئات تستحوذ على حصة الاسد من الدخل الوطني لهذا المجتمع . وهذا ما هو حاصل في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة والاخرى التي تسير في ركابها كالبحرين .

ولمعرفة اسباب تدني معدل الاجور يجب النظر الى كيفية توزيع الدخل الوطني في البحرين. فمنذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ واستخدام النفط كسلاح في مواجهة الدول الغربية والامبريالية وما ترتب عليه من ارتفاع اسعار النفط الخام ليصل الى سعره الحقيقي ارتفعت الفوائض المالية للدولة المنتجة بشكل عام والدول الخليجية بشكل خاص. ونتيجة لوجود هذه الفوائض كان من المفروض ان يرتفع دخل الجماهير الكادحة وتتحسن مستوياتها المعيشية والخدمات الاجتماعية المقدمة لها. الا ان الذي حصل هو العكس . فقد هبطت الاجور الفعلية للطبقة العاملة البحرانية واضعفت قدرتها الشرائية وتدنت مستوياتها المعيشية ومستوى الخدمات والسبب ان الفوائض الماليةهذه لم توجه لاستخدام ثرواتنا الطبيعية سواء تلك الموجودة في باطن الارض او في مياهنا الاقليمية، لاقامة مشاريع انتاجية(انتاج الاجهزة ،الالات .. الخ) وتشييد الصناعات التحويليةالخفيفة والثقيلة ومنها الصناعات التي تنتج سلعا استهلاكية بحيث تلبي احتياجات الجماهير الكادحة البحرانية، وتعتمد على التقدم العلمي والتقني ، كي نواجه السلع الاستهلاكية الاجنبية، الشيء الذي يتطلب وضع هذه المشاريع تحت سيطرة القطاع العام وتحت رقابة جماهيرنا الكادحة من خلال القنوات والاجهزة الديموقراطية ومشاركتها في وضع المخططات التنموية الاقتصاديةومتابعة تحقيقها ومساهمتها في وضع القرارات الاقتصادية والسياسية. وبدلا من هذا التوجه الذي كان سيوسع حتما سوق العمل ويزيد من الطلب علىالايدي العاملة الفنيةوالمؤهلة تقنيا ويزيد من مداخيل عمالنا ومن الدخل الوطني على المدى البعيد ويقضي على البطالة المتفاقمةويؤدي الى استغلال ثرواتنا الطبيعية بشكل يعود بالنفع علينا وعلى الاجيال القادمةويحررنا من التبعية للدول الامبريالية، توجهت تلك الفوائض نحو الاسواق الخارجيةواستثمار الفوائض المالية هناك ، ممازاد من ارتباط بلدنا بالدول الرأسمالية الاوروربية والامبريالية الامريكية وازدياد تبعيتنا لها. كما توجهت الى اقامة مشاريع غير انتاجية وتوسيع قطاع الخدمات وتضخيم الاجهزة الحكومية ، اي الاتجاه الى المشاريع ذات المردود السريع الذي يذهب جمعه الى جيوب برجوازيتنا على اختلاف فئاتها والشركات الاحتكارية الاجنبية . وبعبارة اخرى فان الفوائض المالية تم توزيعها بين الطبقة البرجوازية والشركات الاحتكارية. ومن الملاحظ انه بعد زيادة العوائد النفطية زاد الانفاق على الدفاع حيث ارتفع من ٧ر٣٥٪من اجمالي الانفاق الى ٦ر٥٥ ٪ سنة ١٩٧٥ هذا في الوقت الذي انخفض الانفاق على الصحة من ٥ر١٤ ٪ سنة ١٩٧٠ الى ١ر١٠ ٪ سنة ١٩٧٥(١١). كما يلاحظ بان السلطة عندما توجهت الى اقامة المباني الشاهقة لجميع وزارات الدولة وتأثيثها بأفخم وأغلى الاثاث . وبذلك تم اهدار المتبقى من دخلنا الوطني في انفاقات ومصروفات كان يجب ان توجه لزيادة مداخيل عمالنا وسد احتياجاتهم الاساسية ورفع كفاءتهم الانتاجية من خلال تأهيلهم تأهيلا علميـــا .

ان هذه السياسة هي التي ادت الى تدهور معيشة طبقتنا العاملةوهبوط مداخيلها الفعلية وليس كما حاول الخبير ان يوهمنا ان انعدام التعليم هوالســـبب .

Digitized by Birzeit University Library

وهناك حقيقة اخرى نود ان نكشفها وهو انه لازلنا وبحكم ضعف الفروع الانتاجية الموجودة نعتمد كما كان الحال في بداية الثورة الصناعية على المهارة التي تأتي عن طريق التجربة والتعلم من الخطأ لنصل الى ممارسة عمل روتيني يتكرر كل يوم وبنفس المواصفات تقريبا، مع بقاء امية عمالنا وغربتهم عن المحيط الذي هم فيه، اي اننا في ظروفنا الحالية، ظروف انعدام القاعدة الانتاجية الواسعة، لم نصل بعد الى الحاجة للايدي العاملة القادرة على القيام بالاعمال الفنية المتعددة، اللهم الا في بعض المواقع الانتاجية مثل (البا، بابكو). ولذلك فوجود هذه الاعداد (٢ر٤٨٪) من العمال الاميين ناتج عن طبيعة نظامنا ومدى ضعف تطور القاعدة الانتاجية ومتطلبات سوق العمل فيه.

وأخيرا فان اهتمام الدولة كان متوجها بالدرجة الرئيسية في مجال التعليم لتخريج دفعات كبيرة تكون في خدمة قطاع الخدمات بحيث تشغل الوظائف في وزارات الدولة وتخدم في المؤسسات التجارية والبنوك على اختلافها سواء في مجال المحاسبة او المجالات المكتبية الاخرى. وعادة فان هذا التعليم كان يخلق عشاق المكاتب المتعالين على العمل المنتج اي لا يزرع عندهم مفاهيم تمجيد العمل الخالق لكل القيم المادية في المجتمع وبالتالي كمصدر لكل تقدم ورخاء.

ان تحصيلهم محدود وغير مرتبط بالاختصاصات في المجالات الاخرى وغير مؤهلين لشغل الاعمال التي تحتاج الى عمل فني. وبذلك يصبح من البديهي ان الذي يعرف القراءة والكتابة وملم بالوظائف المكتبية او من خريجي الثانوية العامة والتجاري، تمتصه اجهزة الدولة والبنوك والمؤسسات التجارية الاخرى، وتبقى الغالبية العظمى من الايدي العاملة (الامية) تذهب الى المواقع الانتاجية والفروع المرتبطة بها حيث يقبلون عليها لرخصها. وهذا ما يؤكد الحقيقة السابقة التي ذكرناها.

وليس بغريب على هذا الخبير او غيره ممن تستعين بهم الحكومة، ان يحاولوا تجميل وجه النظام القبيح بارجاع تدهور معيشة عمالنا الى اسباب لا تمت للواقع بشيء، وان يقدموا الخدمات الجليلة لاصحاب الاعمال في البحرين كما جاء في المقال نفسه. نستخدم النتائج (الواردة في المقال) في اعراض تخطيط القوى العاملة وكأساس لوضع سياسة شاملة للاجور والاسعار. كما انها تفد كدليل لارباب العمل مستقبلا لمعرفة سعر الرواتب السائد في سوق العمل البحرانية فهذه هي مهمتهم ويتقاضون عليها المبالغ الطائلة على عكس مهمتنا التي تتلخص في الكشف عن محاولات وأساليب هؤلاء الخبراء وتعرية الوجه الذي يحاولون تغطيته.

توصل الخبير الى ١٧٠ دينارا كمعدل متوسط للاجر لسنة ١٩٧٩ كما هو مبين في الجدول السابق (١) مع ان هذا المعدل يفوق المعدل الحقيقي للاجور فهو يشمل بالاضافة لمداخيل العمال، مداخيل الجامعيين والحاصلين على التعليم العالي ووجود هذه الفئة (٥ر١١٪) هو الذي اوصل هذا المعدل الى ١٧٠ دينارا فالخبير يقول في نفس المقال" وعلى اساس المهنة فان المعدل تراوح بين ٨٧ دينارا لعمال شغيلة الانشاء الى ٧٩١ دينارا للمدراء العموميين. وفي دراسة اخرى اجراها الخبير اوهاجا سنة ١٩٧٦ توصل الى ان المعدل الشهري للاجر يبلغ ٨٧ دينارا للبحراني مقبل ٦٢ دينارا للوافدين (احوال العمل والعمال في الخليج العربي) الشيء الذي يؤكد حقيقة

Digitized by Birzeit University Library

ان هذا المعدل اعلى مما يجب ان يكون عليه. لانه من غير المنطقي ان يقفز معدل الاجور من ٨٧ دينارا الى ١٧٠ دينارا في خلال اربع سنوات في الوقت الذى لم تتعد الزيادات السنوية طوال الفترة ٥٪ عن كل سنة ومع ذلك فاننا سنعتمد المعدل الذى حاول الخبير اظهاره، حيث ان هدف هذا الجزء من الدراسة هو الكشف عن معدل الاجور الفعلية (الحقيقية) لعمالنا، واثبات الحقيقة التي ذكرناها في بداية الدراسة وهي انه في المجتمعات الرأسمالية مهما ارتفعت الاجور الاسمية فان الاجور الفعلية تكون في انخفاض مستمر او انها تتراوح في محلها .

وباضافة الزيادات السنوية لسنوات ١٩٨٣/٨٠الى معدل الاجور الذى توصل اليه الخبير ، حصلنا على معدل الاجور المدونة في الجداول التي سوف نستخدمها .

من الجدول وبعد عقد مقارنة بين معدل الاجور والحد الادنى للاجرة المطلوبة التي توصلنا اليها سابقا، نجد ان معدل الاجور لم يستطع الوصول الى الحد الادنى المطلوب وليس ذلك فحسب، وانما الفارق بينهما واسع جدا، فكما هو ملاحظ من الجدول فان هبوط معدل الاجور عن الحد الادنى المطلوب كان لسنوات ١٩٨٣/٧٩ على التوالي هو ١٢٢٪ ، ١٠٩ ٪ ، ١٣٢ ٪ ، و ١٢٦ ٪ أى اننا بعد اضافة المهارة والتجربة المتراكمة لم يصل العامل الماهر الى نصف ما يجب ان يصل عليه غير الماهر .

هذا فيما يتعلق بمعدل الاجور غير الصافية، والصورة تختلف حينما نتكلم عن معدل الاجور الصافية والحد الادنى للاجآرة المطلوبة لنفس السنوات حيث تصبح على التوالي ١٣٧٫٦ ٪ ، ١٣٢٫٣٪ ، ١٤٦٫٤ ٪، ١٧٥٫٤ ٪ ، و ١٥١٫٦ ٪ .

جدول مقارنة بين الحد الادنى للاجرة المطلوبة
ومعدل الاجور الصافية وغير الصافية

العام	الحد الادنى للاجرة المطلوبة في اليوم د.ب	معدل الاجور غير الصافية في اليوم د.ب	الفرق	معدل الاجور الصافية بالدينار البحراني	الفرق
١٩٧٩	١٢,١٢٠	٥,٧٠٠	١٢٢.٥	٥,١٠٠	١٣٧.٦
١٩٨٠	١٢,٤٤٥	٥,٩٥٠	١٠٩	٥,٢٥٥	١٣٢.٣
١٩٨١	١٣,٨٦٠	٦,٢٥٠	١٢٢	٥,٦٢٥	١٤٦.٤
١٩٨٢	١٤,٤٨٠	٦,٢٥٠	١٣٢	٥,٦٢٥	١٥٧.٤
١٩٨٣	١٤,٨٤٦	٦,٠٦٠	١٢٦	٥,٩٠٠	١٥١.٦

والنتيجة ان معدل الاجور المتدني مستمر وبمعدلات خيالية مقارنة بالحد الادنى وللاجرة المطلوبة. وحتى هذه الحقيقة تبدو اقل مما هي في الواقع، لاننا اعتبرنا الحسومات من الاجور الثابتة طوال هذه السنوات وهي ١٠ ٪ والتي هي في الواقع تفوق ذلك بكثير فالضرائب غير المعلنة ازدادات في السنوات الاخيرة مما زاد من الحسومات المقطوعة من اجور عمالنا .

Digitized by Birzeit University Library

جدول الاجور الفعلية بالنسبة لمعدل الاجور

العام	معدل الاجور في اليوم	الزيادة السنوية	الاجور الفعلية	الزيادة السنوية
١٩٧٩	٥,٧٠٠	—	٤,٦٧٠	—
١٩٨٠	٥,٩٥٠	٥	٤,١٦٥	١٢
١٩٨١	٦,٢٥٠	٥	٤,٣١٠	٣,٥
١٩٨٢	٦,٢٥٠	—	٢,٩٧٠	- ٤٥
١٩٨٣	٦,٥٦٠	٥	٤,٥٢٦	- ٥٢

وننتقل الان الى الاجور الفعلية (الحقيقية) من الجدول السابق وبعد خصم الزيادات في الاسعار من معدل الاجور غير الصافية نتوصل الى النتائج التالية :

١) مع ان الاجورالنسبية في ارتفاع طفيف ، الا ان الاجور الفعلية في هبوط مستمر فقد هبطت من ٤٫٦٧٠ دينارا سنة ١٩٧٩ الى ٤٫٥٢٦ دينارا سنة ١٩٨٣ .

٢) اعلى هبوط كان سنة ١٩٨٢ حيث وصل الاجر الفعلي في اليوم الى ٢٫٩٧٠ دينارا اى اقل مما يعادل ٥٧٫٢٪ عنها في سنة ١٩٧٩ . وهذا يعلله الكساد العالمي الذى ساد الدول الرأسمالية الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية وهبوط الدولار ، الشيء الذى ادى الى وضع عمالنا وحدهم في مواجهة هذه الازمات وتحملهم للخسائر المترتبة عليها . كما ان سنة ١٩٨٢ شهدت تجميدا للاجور ، حيث لم تتم اية زيادة في الاجور كما حصل في السنوات التي قبلها .

جدول الاجور الفعلية بالنسبة لمعدل الاجور الصافية (بعد خصم ١٠٪)

العام	معدل الاجور الصافية في اليوم د ب	الزيادة النسبية ٪	الاجور الفعلية في اليوم د ب	الزيادات السنوية ٪
١٩٧٩	٥,١٠٠	—	٤,١٨٠	—
١٩٨٠	٥,٣٥٥	٥	٣,٧٥٠	١١,٥
١٩٨١	٥,٦٢٥	٥	٣,٨٨٥	٣,٦
١٩٨٢	٥,٦٢٥	—	٢,٦٨٥	- ٤٥
١٩٨٣	٥,٩٠٠	٥	٤,٠٠٠	٤٩

الجدول السابق يعقد مقارنة بين الاجور الفعلية ومعدل الاجور الصافية وكما هوملاحظ فان الصورة لا تختلف كثيرا . فالاجر الفعلي كان ٤٫١٨٠ دينارا سنة ١٩٧٩ اصبح ٤٫٠٠٠ دينارا سنة ١٩٨٣ .

من كل ما تقدم نتوصل الى الحقائق التاليـــة :

أولا : انه في كل ازمة من ازمات العالم الرأسمالي تكون الضحية جماهيرنا الكادحة التي يلقي

Digitized by Birzeit University Library

على عاتقها تحمل مسؤولية الازمات والتعويضات عن خسائرها في الوقت الذى تراكم فيه الطبقة البرجوازية الارباح الطائلـــة .

ثانيـا : انه لكي يستطيع العامل البحراني اللحاق بارتفاع الاسعار وان يلبي احتياجاته الاساسية في ادنى حدودها ، يتطلب الامر حصوله على زيادة لا تقل عن ١٦٧ ٪ بالنسبة للاجور الحاليـــة (١٩٨٣) .

ثالثا : ان اهدارا جنونيا يجرى لثرواتنا الطبيعية في وقت كثرت فيه وعلى السنة المسؤولين في الحكومة نداءات تدعو الى ايجاد بدائل وتنويع المصادر استعدادا لنضوب النفط خاصة بعد هبوط اسعار النفط في الاونة الاخيرة نتيجة لتهادن الحكومة وحكومات الدول الخليجية الاخرى مع شركات النفط الكبرى .

رابعا : انه لم يحدث قط ان تنازلت الطبقة البرجوازية بمحض ارادتها عن حقوق الطبقة العاملة وهي لن تتنازل عنها ما لم تجبر على ذلك . وهذه الحقيقة الساطعة تثبتها طبقتنا العاملة في كل من شركة المنيوم البحرين (البا) وبابكو فمن مصادر " صوت العمال " تبين ان الاجور الفعلية لعمال هذين الموقعين الانتاجيين هي على التوالي ٦٢٠٠ دينارا (البا) و ٦٩٠٠ دينا (بابكو) لسنة ١٩٨٣ ، اى بزيادة قدرها ٤٠ ٪ عن الاجور الفعلية في البحرين بشكل عام .

ولو استعرضنا تاريخ نضال عمال هاتين الشركتين لاتضح بانه من خلال النضال المتواصل ، استطاعوا ان يجبروا الادارة على الرضوخ لمعظم مطالبهم ، خاصة تلك المتعلقة برفع الاجور . ومع ان هذا المكسب لم يستطع ان يحقق التوازن بين معدل الاجور الفعلية ومايجب ان تكون عليه والذى يتطلب تحقيق مكسب آخر وهو اشاعة الديموقراطية وحق التشكيل النقابي ، الا انه استطاع ان يقلل من الفرق الشاسع بينهمـــا .

خامسا : ان جميع هذه الحقائق تبرهن على حقيقة اخيرة وهي ان الظروف الموضوعية تفرض على طبقتنا العاملة وبالتالي على الحركة العمالية البحرانية ، ضرورة تكثيف النضال المطلبي جنبا الى جنب مع النضال من اجل الديموقراطية وحق التشكيل النقابي ، مقتدين بذلك بخبرة وتجارب الحركات العمالية العالمية ، التي اثبتت على انه كلماكانت الحركة العمالية في بلد ما ضعيفة فان الاستغلال يزداد على الطبقة العاملة في هذا البلد ويصل الى معدلات خيالية ، وعلى العكس من ذلك فانه كلما كانت الحركة العمالية قوية ومتمرسة في النضال ، امكن تخفيف هذا الاستغلال وبالتالي كان دافعا لتحقيق المزيد من المكاسب والانتصارات المستقبلية .

العوامل المؤثـرة والاساليـب المستخدمـــة في تخفيـض الاجـور الفعليـة :

من اهم العوامل التي اثرت وبشكل كبير في تخفيض الاجور الفعلية لطبقتنا العاملة البحرانية كما توضحت من خلال ما تقـــدم :

١) جمود الحد الادنى للاجر الرسمي ، مما جعل برجوازيتنا والشركات الاحتكارية الاجنبية تفرض اجورا في اطار هذا الحد لا تتجاوزهـــا .

Digitized by Birzeit University Library

٢) الاقبال الشديد على الايدى العاملة الاجنبية لرخصها بسبب جمود الحد الادنى للاجور، واغراق سوق العمل بهـــا .

٣) ارتفاع اسعار المواد الغذائية والمواد الاستهلاكية الاخرى والايجارات ومواد البناء وأسعار الخدمات المختلفة وازدياد الضرائب المعلنة بسبب السياسة الاقتصادية للسلطة الرجعية وما يترتب عليها من ارتباطنا بالعالم الرأسمالي وجعل بلدنا سوقا لمنتوجاته .

٤) زيادة عدد العاطلين عن العمل وتفاقم مشكلة البطالة لتصبح سلاحا آخر قويا تستخدمه البرجوازية والشركات العاملة في البلاد ، بحيث تفرض سعرها الذى يناسبها لقوة العمل البحرانية وتمارس ضغطا على عمالنا في مواقع عطلهـم .

للتعرف على الاسلوب المتبع في البحرين لتخفيض الاجور الفعلية سوف نأخذ موقعا انتاجيا كبيرا وهو شركة المنيوم البحرين " البا" ونلقي نظرة على الاساليب المستخدمة في تخفيض الاجور الفعلية. واختيارنا لهذه الشركة له اسبابه . فهي :

أولا : تعتبر من الشركات الكبرى في البحرين ومن المواقع الانتاجية الكبيرة .

ثانيا : ان الاساليب المستخدمة فيها . هي خليط من كل الاساليب التي لجأت اليها الرأسمالية في شتى عهودها لاعتصار القيمة الفائضـــة .

ثالثا : ان هذه الشركة وبعد ان نجحت الى حد ما في استخدام هذه الاساليب بسبب الوضع العام في البلاد من حيث انعدام الديموقراطية والنقابات العمالية وممارسات الارهاب بشتى اشكاله سواء على نطاق البلاد من خلال جهاز المخابرات وعناصره او المؤسسات المختلفة من خلال "ارستقراطية العمال الموجودة فيها الشيء الذى ادى في كثير من الاحيان الى الحد من تحركات عمالنا في مواجهة هذه الاساليب ومن اجل تحسين ظروف عطلهم ، بسبب هذا الوضع نجحت هذه الشركات في استخدام مختلف الاساليب وزيادة القيمة الزائدة وتخفيض الاجور الفعلية لعمالنا ، مما دفع باقي الشركات الى الاقتداء بـ "البا" والسير على نفس الطريق ما دام الوضع يساعدهم في ذلـــك .

رابعا : بحكم طبيعة هذه الشركات من حيث هي موقع انتاجي ينتج مادة الالمنيوم . اى ان عمالنا في هذا الموقع يتحكمون مباشرة بعملية الانتاج وينتجون بضائع الشيء الذى يسهل علينا حساب الوقت الضرورى ، الوقت الاضافي ومعدل القيمة الزائدة بشكل دقيق .

وشركة المنيوم البحرين " البا" استخدمت جميع الاساليب اتفة الذكر ولو كان بامكانها اطالة يوم العمل ايضا لفعلت وتعتبر سنة ١٩٧٨ هي السنة التي دخلت فيها الطريقة التيلرية تحت شعار "وضع خطة طموحة لترشيد الانفاق والاستهلاك ولازالة كافة مظاهر التبذير والاسراف" (١٢) .

بدأت الشركة وتحت هذا الشعار بتخفيض عدد العمال ، حيث انخفض عددهم من ٣٠٠٠ عامل سنة ١٩٧٦ (اعلى عمالة وصلتها البافي تاريخها) الى ٢٠٠٠ عامل سنة ١٩٨١ . وهذا التخفيض يعادل نسبة ثلث اجمالي العمالة .

وبفضل استخدام الطريقة التيلرية ، انجزت الشركة اقصى انتاج لها على مستوى البحرين بل وعلى المستوى العالمي مقارنة بمثيلاتها من المصانع في الدول الاوروبية المتقدمة ، حيث ارتفع من

Digitized by Birzeit University Library

١٢٢٠٥٨ طن متري سنة ١٩٧٦ الى ١٧٠٠٠٠ طن متري سنة ١٩٨١.

أي انه مع تخفيض عدد العمال بنسبة الثلث عن سنة ١٩٧٦ ،حققت الشركة زيادة في الانتاج تعادل ٣٩ر٢ ٪ سنة ١٩٨١ ،وهذا يعني بأن العامل الواحد اصبح ينتج في اليوم الواحد اكثر مما كان ينتجه في يومين . ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الجدولين التاليين حيث يبين الجدول الاول بأن العامل كان ينتج سنة ١٩٧٦م ، ما مجموعه ٤٠ طن متري من الالمنيوم في السنة الواحدة، الذي يعادل ٢٢٢١٤ دينارا في الوقت الذي كان نصيبه من هذا الانتاج مايعادل ٢٤٧٠٫٠٠٠ دينـــارا فـــي الســـنـــة .

جدول التناقض بين ما ينتجه العامل ونصيبه من هذا الانتاج عام ١٩٧٦

احمالي انتاج العامل الواحد بالوحدات الزمنية	كمية الانتاج بالطن المتري	كمية الانتاج بالدينار البحراني	نصيب العامل من الانتاج بالدينار البحراني
في السنة الواحدة	٤٠	٢٢٢١٤٫٠٠٠	٢٤٧٠٫٠٠٠
في ٨ ساعات يوم عمل	٠٫١١٢	٦١٫٠٠٠	٩٫٥٠٠
في الساعة الواحدة	٠٫٠١٤	٧/	١٫٢٠٠

وتقر هذا التناقض بين كمية ما ينتجه العامل ونصيبه من هذا الانتاج الى الارقام الموجودة في الجدول التالي فمن هذا الجدول نلاحظ ان العامل اصبح ينتج ما مجموعه ٨٥ طن متري من الالمنيوم في السنة ، الذي يعادل ٤٦٤١٠ دنانير في الوقت الذي لا يتعدى نصيبه من هذا الانتاج ٣٥١٠ دنانير في السنة لسنة ١٩٨١ .

احمالي انتاج العامل الواحد بالوحدات الزمنية	كمية الانتاج بالطن المتري	كمية الانتاج بالدينار البحراني	نصيب العامل من الانتاج د.ب
في السنة الواحدة	٨٥	٤٦٤١٠/٠٠٠	٣٥١٠٫٠٠٠
في ٨ ساعات (يوم عمل)	٠٫٢٣٤	١٢٧/٥٠٠	١٣٫٥٠٠
في الساعة الواحدة	٠٫٠٣	١٦/٠٠٠	١٫٧٠٠

ومن خلال المعادلة الحسابية التالية وباستخدام الارقام في الجدولين السابقين نستطيع ان نحدد الوقت الضروري الذي يشتغله العامل لنفسه والوقت الذي يشتغله للشركة (دون مقابل) ومدى ما حققته الشركة من قيمة زائدة من جراء استخدام التيلرية لسنة ١٩٧٦ وبضرب ما يحصل عليه العامل في اليوم (٩ر٥٠٠) دينار قيمة قوة عمله في يوم العمل (٨ ساعات) وبقسمة الناتج على اجمالي ما ينتجه العامل (٦١ر٠٠٠) دينارا) نحصل على الوقت الضروري بالساعات كما يلي :

الوقت الضروري = ٨×٩ر٥ ÷ ٦١ = ١ر٢٥ ساعة (ساعة وربع الساعة) علما بأن يوم العمل كان يعادل ثماني ساعات ونصف .

Digitized by Birzeit University Library

من هذا يتضح بأن العامل في سنة ١٩٧٦ كان يعمل ساعة وربع الساعة لنفسه ينتج فيها قوة عمله ويعيد انتاجها ، بينما يعمل ٦ ساعات و٤٥ دقيقة دون مقابل للشركة ينتج فيها القيمة الزائدة وبنفس العملية الحسابية يمكننا الحصول على الوقت الضروري لسنة ١٩٨١ كما يلي :

الوقت الضروري = ٥ر١٣×٨ ـ ٥ ر ٢٧×٨ر٠ ساعة .

ومن ذلك يكون معدل القيمة الزائدة لسنوات ١٩٨١/٧٦ على التوالي ٥٤٠ ٪ و٩٠٠ ٪ ويكون العامل في سنة ١٩٧٦ على اساس انه انتج انتاجا يعادل ١٠٠ دينار، قد حصل على ١٥ دينارا مقابل ٨٥ دينارا للشركة ، وانخفضت حصة العامل في سنة ١٩٨١ م لتصبح ١١ دينارا له و ٨٩ دينارا للشركة (هذا على افتراض ان الاجور تساوي بالضبط قيمة قوة العمل) .

لقد استطاعت شركة الومنيوم البحرين " البا " بفضل ممارستها الارهاب بحق عمالنا تساندها في ذلك وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ان تحقق " انجازا كبيرا " في كيفية استغلال طبقتنا العاطلة الغنية وان تخفض الوقت الضروري الى ساعة وربع الساعة سنة ١٩٧٦، وذلك باستخدام " الفوردية" وزيادة شدة العمل" ولكنها وبفضل ادخال الطريقة التيلرية استطاعت ان تحقق " انجازا " آخر لا يقل عن سابقه ، حيث استطاعت ان تخفض الوقت الضروري الى ٤٨ دقيقة سنة ١٩٨١ وهذا يعني بأن "البا" خفضت الاجور الفعلية لعمالنا بنسبة ٥ر٤٦٪ سنة ١٩٨١ بالنسبة للانتـــــاج .

وما يعكس حقد وكراهية هذه الشركة لعمالنا ، انها وباستخدام التيلرية لم تبدأ بسن اى علاوة كما فعل مؤسس التيلرية نفسه كشيء مكمل لنظام العمل هذا. واكتفت بزيادة " العلاوة الصيفية" المعمول بها سابقا ، لتصبح ٢٠٠ فلس عن كل ساعة عمل ، وهذه العلاوة تصرف للعامل " عند تخطي المعدل ـ اى المهمة " واذا فاته بلوغ المعدل فانها لا تدفع له حتى لو كان سبب عدم بلوغ العامل المعدل في الانتاج المرض. ويكفي ان يغيب العامل عن العمل اكثر من ساعتين طول ٢٨ يوما ولاي سبب كان لايقاف هذه العلاوة عنه. والادهى من ذلك فان هذه العلاوة تصرف في وقت الصيف فقط ،وكأنما الطريقة التيلرية تطبق في هذا الفصل اوان فصل الصيف هو فصل الانتاج وباقي الفصول للراحـــة .

ولضمان رضوخ عمالنا لاجراءات الشركة وقبولهم لظروف العمل القاسية، استخدمت الشركة خدعا كثيرة منها " نظام الحوافز ـ رجل من مائة". يحصل العامل بموجب هذا النظام على مبلغ ٥٠ دينارا اذا ما ادخل فكرة او اقتراحا من شأنه زيادة الانتاج وتحسينه . كما ادخلت فكرة مشاركة العمال في " ارباح" الشركة من خلال " الترشيد في الاستهلاك وزيادة الانتاج". والفكرة هذه تنحصر في ان الشركة تفرز مبلغا من المال الذى استحصلته من تقليص عدد العمال وزيادة شدة العمل على المتبقي منهم ، ويتم توزيع مبلغ رمزي في نهاية السنة، الذى انخفض في السنوات الاخيرة ليعادل حوالي ١٥٪ من اجل العامل. هذا في الوقت الذى خفضت الشركة الاجور الفعلية بمعدل ٥ر٢٦٪ في الشهر الواحد كما تبين من هذه الدراسة .

ان هذه الشركة استخدمت كل ما انتجته الدول الرأسمالية من اساليب بهدف زيادة القيمة الزائدة وتخفيض الاجور الفعلية وبفضل هذه الاساليب استطاعت " البا" ان تزيد الانتاج والقيمة

Digitized by Birzeit University Library

الزائدة الى معدلات فاقت دول العالم الرأسمالي والدول الاخرى التي تنتج مادة الالومنيوم. وبهذا الخصوص صرح المدير العام للشركة امام مساعديه بعد رجوعه من دورة استطلاعية الى مصنع لانتاج الالمنيوم في فنزويلا "بأني جدا مسرور لما وصلت اليه شركتنا من حيث طاقتها الانتاجية، فقدتعدت انتاج مصنع الالومنيوم في فنزويلا ومع ان هذا المصنع يعمل فيه اكثر من ٤٠٠٠ عامل وفيه مصاهر تفوق مصاهر " البا" من الناحية العددية، الا انه لم يستطع ان يصل الى نصف ما وصلنا اليه من حيث الانتاج ".

ولا غرابة في ذلك فالاستغلال الذى تمارسونه على طبقتنا العاملة ناتج عن مساندة السلطة الرجعية لكم سواء من خلال الضغط المباشر على عمالنا بممارسة الارهاب ضدهم واغتيال حقوقهم المشروعة، اومن خلال تشريعات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية السلاح الماضي في ايديكم الذى تستخدمونه ضد عمالنا .

والمهزلة الكبرى هي ان القيمة الزائدة النسبية تتحقق في المجتمعات الرأسمالية المتطورة عن طريق رفع انتاجية العمل في الفروع التي تنتج السلع الاستهلاكية الشيء الذى يقلل من قيمة قوة العمل لانخفاض اسعار المواد الاستهلاكية وبالتالي الوقت الضرورى لانتاجها بينما هنا في البحرين ولانعدام الصناعات لانتاج السلع الاستهلاكية واعتمادنا الرئيسي على البضائع الرأسمالية، فان الوقت الضرورى يكون في انخفاض مستمر ولا ينعكس على قيمة قوة العمل حيث اننا بلد مستورد للسلع الاستهلاكية الرأسمالية باهظة الثمن وغير المرتبطة بالنشاط الانتاجي لدينا مما يعني ان انخفاض الاجور الفعلية في البحرين ادنى منها في الدول الرأسمالية المتقدمة تأكيدا لحقيقة ماركسيةوهي " ان مستوى الاجر ينخفض بصورة خاصة، في المستعمرات والبلاد التابعة "(١٣). لقد استعرضنا لحد الان الاساليب المستخدمة في تخفيض الاجور الفعلية لعمالنا في شركة المونيوم البحرين " البا" والسؤال المطروح الان هو، هل هذه الشركة وحدها التي تنفرد بهذه الاساليب؟ ام ان هناك غيرهامن الشركات ؟ ويمكن طرح السؤالبشكل آخر : هل هذه الشركة وما تستخدمه من اساليب تعتبر حالة استثنائية ام انها ظاهرة تعكس التطور الحاصل في المجتمع البحراني وتمثل قاعدته المستقبلية .

يمكن اعتبار " البا" هي الرائدة ومركز ابحاث بالنسبة للشركات الاخرى في التفنن في استغلال طبقتنا العاملة البحرانية. كماانهاتعتبر مرحلة تحول بالنسبة للمجتمع البحراني حيث تأتي بعد شركة النفط " بابكو" كموقع انتاجي كبير وكنقطة انطلاق لقيام فروع انتاجية اخرى مثل : شركة البحرين لرذاذ الالمنيوم التي تأسست سنة ١٩٧٢ . وتقوم بتحويل الالمنيوم المصهور الى مسحوق يستخدم في صناعة معاجين الطلاء والاصباغ الصناعية ولمفرقعات ، شركة البحرين لسحب الالمنيوم "بليكسيكو" تأسست سنة ١٩٧٣ وتقوم بتحويل السبائك الاسطوانية من الالومنيوم الى قضبان واعمدة الالومنيوم التي تستخدم في صناعة الاثاث وفي المباني الشاهقة، شركة الشرق الاوسط لكابلات الالمنيوم "ميدال" تأسست سنة ١٩٧٨ وتنتج أسلاك وكابلات الالومنيوم. كما يمكن ان تقوم صناعات اخرى كثيرة ومتنوعة تعتمد على انتاج " البا" من الالومنيوم .

كما ان بداية الثمانينات تعتبر مرحلة اقامة المشاريع الانتاجية الكبيرة مثل مصنع الحديد

Digitized by Birzeit University Library

والصلب ومصنع البتروكيماويات ، التي يمكن ان تتمخض عنها صناعات اخرى بعد قيام مجلس التعاون الخليجي واختيار البحرين كمركز لهذه الصناعات المزمع انشاؤها . وهذا الاختيار جاء لتوفر الظروف المناسبة لهذا الغرض وهي الخبرة المتراكمة لدى السلطة الرجعية في اضطهاد عمالنا وارغامهم على القبول بوضعهم المزري وما يسمى في السلطة" استتباب الامن" وتوفر الخدمات المختلفة وأخيرا الايدى العاملة الماهرة مقارنة بدول الخليج الاخرى .

ان اقامة هذه المشاريع يتطلب البدء في استخدام التنظيم العلمي للعمل الذى يعني استخدام كل الاساليب آنفة الذكر ومن ثم تهيئة عمالنا لاقصى ظروف العمل شدة .

وقد يطرأ سؤال .أيعني كل ذلك باننا مقبلون على مرحلة تطور مرت بها الدول الاوروبية في بداية تكون الرأسمالية ، مرحلة تحول مجتمعنا إلى مجتمع صناعي على غرار الثورة الصناعية؟ وهل هذا يعني باننا بدأنا نكف عن ان نكون تابعين للدول الرأسمالية المتطورة ؟.

والرد على هذه الاسئلة نجده عند وزير التنمية والصناعة يوسف الشيراوي حين اقام ندوة تلفزيونية، حيث برر عدم قيام هذه الصناعات قبل هذا الوقت . " باننا لم نستطع القيام بانشائها بسبب احتكار الدول الرأسمالية المتطورة لها . اما الان ونتيجة لتوجه هذه الدول وتفرغها الى مجالات اكثر تقدما مثل غزو الفضاء والصناعات الالكترونية وما شابهها ، فقد سمح لنا بالبدء بانشاء هذه المشاريع ". نتفق مع الوزير بلا اى تردد . باننا قد اعطينا الضوء الاخضر للبدء بانشاء هذه المشاريع الانتاجية ولكننا لا نتصور بأن العامل البحراني يوافق الوزير على السبب اعطاء هذا الضوء وهو توجه هذه الدول لغزو الفضاء وصناعة الالكترونيات . فليس يخاف على احد بأن الدول الرأسمالية حين تسيطر على بلد من البلدان سواء بالشكل القديم او الجديد ، فانها تعمل على ابقاء هذا البلد في تخلفه واعتباره مصدرا للمواد الخام فقط . اما حين تعطي " الضوء الاخضر" لهذا البلد باولى الخطوات "للتطور " فهذا يعني بأن الدول الرأسمالية تعاني من ازمات طاحنة وهي بذلك تحاول تحميل بعض من خسائر هذه الازمات لهذا البلد ، وذلك باعطاء الضوء الاخضر للقيام بتحمل تكاليف بعض العمليات مثل تحويل المواد الخام الى مواد قابلة للتصنيع وتصديرها اليها . ومن ثم تقوم هذه الدول بتحويل هذه المواد الى آلات ومواد استهلاكية ومن ثم تصدرها الينا وبسعر خيالي ، وليس ادل على ذلك من مصنع "البا" حيث يقوم بتصدير ٩١ر٨٪ من انتاجه الى الخارج . والحصة المتبقية من هذا الانتاج والذى يعادل ٩ر٢٪ تستهلكه كل من شركة البحرين لرذاذ الالومنيوم وشركة البحرين لسحب الالومنيوم "بليكسيكو" وتقوم بتحويله الى مواد قابلة للتصنيع تصدرها الى الدول الرأسمالية .

فشركة البحرين لرذاذا الالمونيوم تقوم بتحويل الالمونيوم المصهور "الى مسحوق ناعم ممتاز يصدر (الكامل) الى دول اوروبا حيث يستخدم لعدة صناعات مثل معاجين الطلاء والاصباغ الصناعية والمفرقعات" ، وتقوم شركة " بليكسيكو" بتصدير ٨٠ ٪ من انتاجها الى الخارج . وبذلك تكون قد ارتبطنا بالدول الرأسمالية وأصبحنا في تبعية لها اكثر من السابق وتكون الدول الرأسمالية هي الرابحة الاولى والاخيرة من هذه المشاريع . فهي بذلك تكون قد القت عن كاهلها بعض المصاريف المكلفة لهامثل تحويل المواد الخام الى مواد قابلة للتصنيع الذى يكلفها كثيرا نظرا

Digitized by Birzeit University Library

لارتفاع قيمة قوة العمل في هذه الدول، والقت المصاريف الناتجة عن نقل المواد الخام الى بلادهـــا .

كما اضافت مبالغ (مثل كلفة النقل والشحن وغيرها ..) الى اسعار المواد المصنعة وبالمقابل ولكي تعوض برجوازيتنا هذه التكاليف فانها وبمساندة الحكومة تلقيها على عاتق عمالنا من خلال زيادة ظروف عملهم بؤسا بزيادة شد العمل وتخفيض اجورة .

وهكذا نصل الى نتيجة وهي ان الاساليب التي تستخدمها " البا" فرضتها ظروف تطور " مجتمعنا . وهي آخذة في التوسع لتصبح قاعدة يقوم عليها مجتمعنا " " المتطور".

ويمكن ايراد ما يدلل على ذلك ــ قامت شركة النفط " بابكو" باستدعاء فريق بحث من خارج البحرين للقيام ببحث ودراسة متطلبات الشركة من التكنولوجيا واجراء مسح ايضا لمناطق تحسين القوة الانتاجية الموجودة والاقتصاد في التكاليف الاخرى " وبناء عليه" اية قوى عاملة في بابكو تكون فائضا على الاحتياجات المستقبلية سوف يستفاد منها اينما كان ذلك ممكنا لتسهيل التعيين محل الاجانب ." وان فرص نقل بابكو (الفائضين) الى مؤسسات صناعية اخرى، مثل الخليج للبتروكيماويات يمكن ايضا تطويرها عند رغبة الحكومة بدراسة مثل هذه الاجراء لجعل مؤسسة بابكو تتماثل في خط واحد مع احتياجات العمليات المستقبلية والتنافسية" (١٤) ،وقد توصل فريق البحث في شهر يونيو ١٩٨٣ الى ان الفائضين على احتياجات بابكو يبلغون ١٠٠٠ عامل اى ما يعادل ٢٥٪ من اجمالي العاملين في الشركة. ومن تجربة عمالنا في شركة الومنيوم البحرين " البا" كما توضحت في هذه الدراسة، فان " الاقتصاد في التكليف" والبحث عن القوى العاملة الفائضة" تعني تطبيق التيلرية او غيرها من الاساليب الرأسمالية العلمية في تنظيم العمل ، وزيادة استغلال طبقتنا العاملة البحرانية .. كما ان رغبة الحكومة في جعل مؤسسة بابكو تتماشى في خط واحد مع احتياجات العمليات المستقبلية والتنافسية. تعني المطالبة بمساندة الحكومة والوقوف مع الشركة في اجراءاتها لتخفيض عدد العمال وزيادة شدة العمل على المتبقي منهم .. ومن الشركات التي سارت على نفس المنهاج، شركة البرق واللاسلكي حيث قلصت عدد عمالها من ١٩٣١ عامل سنة ١٩٨١ الى ١٣٠٠ عامل سنة ١٩٨٣ اى ما يعادل ٤٨ ٪ ، هذا في الوقت الذى يلاحظ فيه تزايد عمليات هذه الشركة واتساع العمليات التي تقدمها، وشركة البحرين لزلاقة السفن قلصت عدد عمالها من ٥٠٠ عامل الى ٣٠٠ عامل في سنة ١٩٨١ وهو ما يعادل ٦٠ ٪ ، اما الشركات التي لا تتوفر لها الاحصائيات ولكنها بدأت فعلا بتقليص عدد عمالها فهي الشركة العربية لبناء واصلاح السفن "آسرى" وشركة المباني الجاهزة كما بدأ المقاولون بتوقيف العمل الاضافي. واجبار عمالهم على انجاز " المهمة" في الوقت الاعتيادى، مما يعني تكثيف الاستغلال واهدار قوة العمل البحرانية، كما لا ننسى ما يقوم به ديوان الموظفين من اتخاذ الاجراءات والقرارات في مجال تنظيم العمل والاجور على مستوى الوزارات وبمساعدة الخبراء الامريكان، بهدف الترشيد في الاستهلاك وتقليص عدد موظفي الدولة .

كل ذلك يجرى بموافقة السلطة ومساندتها ودعمها التام لسياسة الشركات العاملة في البلاد، مما جعل هذه الشركات تتمادى في استغلال طبقتنا العاملة، وتخطو خطوة اخرى على هذا الطريق.

Digitized by Birzeit University Library

فقد بدأت كبرى ست شركات وهي "شركة الومنيوم البحرين" البا" شركة "بابكو"، الشركة العربية لبناء واصلاح السفن" اسرى"، "شركة البرق واللاسلكي"، الشركة العربيةللحديدوالصلب، شركة الخليج لصناعة البتروكيماويات، بالتنسيق فيما بينها وبعقد اجتماعات دورية لتدارس الاوضاع الاقتصادية العالمية والداخلية ومن ثم الوصول الى سياسة موحدة في مجال الانتاج والاجور، الشيء الذي يعني بأن عمالنا سيواجهون مستقبلا اتحادا بضم هذه الشركات، وربما يتسع هذا الاتحاد ليشمل شركات اخرى قائمة او شركات ستقام مستقبلا وليس شركة منفردة .

وهكذا نصل الى حقيقة تضاف الى ما وصلنا اليه سابقا في هذه الدراسة وهي ان حياة طبقتنا العاملة البحرانيةمتدهورة وهي اخذة في التدهور، تأكيدا لاحد القوانين الماركسية وهو " قانون التدهور المستمر لاوضاع العمال في ظل الرأسمالية" وهذا التدهور يأخذ عندنا شكلا اكثر حدةمن الدول الرأسمالية المتطورة، نتيجة للاستغلال المزدوج الواقع على طبقتنا العاملة فهي من ناحية تزرح تحت نير استغلال برجوازيتنا والشركات الاجنبية العاملة في البلاد والتي بدأت في تنظيم صفوفها في اتحاد مشبوه لزيادة الاستغلال ومن الناحية الاخرى تزرح تحت نير استغلال الدول الرأسماليـــــــــة .

عن مجلة النهج

الهوامـــــــــش

١) تأثير العوامل الاجتماعية والاقتصاديةعلى استهلاك الغذاء في البحرين ص١٤ ــ باللغة الانجليزية .
٢) اخبار الخليج ١٩٠ / ٤/ ١٩٨٣ .
٣) مجلة العمل العدد ١٦ لسنة ١٩٨٠ .
٤) (الممارسات الغذائية والمناسبات الاجتماعية وزاه الصحة ــ قسم التغذية ص ٣٦ .
٥) المقصود دراسة عن العادات الغذائية للفلاحين في البحرين ــ وزارة التجارة والزراعة ــ البحرين ١٩٧٧.
٦) وزارة التجارة والزراعة ١٩٧٥ / المشروع الاحصائي الزراعي لعام ١٩٧٤ ــ ادارة الزراعة ــ البحرين ص ١ .
٧) اخبار الخليج ١٩٨٣/٤/١٩ .
٨) مجلة العمل يونيو ١٩٨٠ .
٩) أحوال العمل والعمال في الخليج العربي ــ منظمة العمل العربي ص ١٧٢ .
١٠) متوسط الدل الشرى في البحرين. تأنير التعليم على مستوى الدخل .
١١) موضوعات في التنميةالتخطيط . د. مجيد مسعود .
١٢) عشر سنوات من تصاعة الالومنيوم في البحرين ــ شركة الومنيوم البحرين ص ١٩ .
١٣) اسلوب الانتاج الرأسمالي ــ دار الفارابي ص ٨٨ .
١٤) من البيان السرى المعمم على المسؤولين ، تحت عنوان فريق دراسة ــ بابكو " في ٣٠ مارس ١٩٨٣ .

Digitized by Birzeit University Library

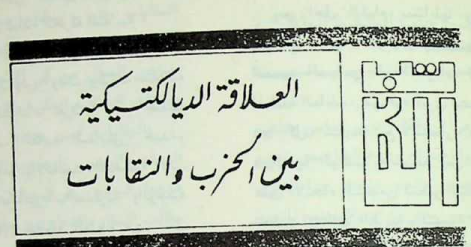

بقلم : ابراهيم بكرى *

ان الكثير من الاحزاب السياسية تطمح الى ايجاد نقابات عمالية تعمل تحت قياداتها وتوجيهاتها، وتسعى للاستفادة منها، وتسخيرها لتنفيذ سياستها ونشر شعاراتها.

وحتى الاحزاب البرجوازية والرجعية، المتناقضة مصالحها مع مصالح الطبقة العاملة، حاولت وتحاول بشكل محموم وبشتى الاساليب استخدام واستغلال الحركات النقابية المختلفة لخدمة مآربها الطبقية، والانظمة الفاشية اوجدت هيايضا تنظيمات نقابية لتساعدها على فرض سيطرتها وحماية نظامها الرجعي والارهابي. وتستخدم الاحزاب الرجعية، التنظيمات النقابية، لبلبلة افكار الطبقة العاملة وتضليلها وتشويه النظرية الاشتراكية العلمية والنظام الاشتراكي نفسه، وبالتالي الدفاع عن النظام البرجوازي، وتبرير استثمار الطبقة العاملةوزيادة ارباح الاحتكارات الرأسمالية، على حساب عرق العمال وتعبهم.

ان الطبقات والاحزاب الرجعية اليمينية تعمل على ايجاد نقابات عمالية خاضعة لها، كي تستخدمها لخنق الحركة العمالية بمجموعها وشل نشاطها الرئيسي، وهو الدفاع عن مطالب العمال الانية، والمستقبلية، ضد الاستثمار الرأسمالي، وضد الاضطهاد، ومن اجل تصفية الاستثمار والاستغلال.

وتستخدم الرجعية وأحزابها، جميع اساليب التضليل والتشويه، واخفاء الوقائع والحقائق، وحتى استعمال اساليب الارهاب الفكري، واصدار القوانين والقرارات الادارية لتنفيذ اهدافها الطبقية وتزييف الحركة النقابية واضعافها.

وكثيرا ما تستخدم الرجعية سلاح التسريح التعسفي والبطالة والجوع، ضد القادة النقابيين الملتزمين بالدفاع عن حقوق الطبقة العاملة، لتبعدهم عن الحركة النقابية وترهب بهم الجماهير العمالية. كما تلجأ ايضا الى

* عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري.

Digitized by Birzeit University Library

السجون والتعذيب الجسدي، ليتسنى لها فرض" قادة نقابيين" طيعين للبرجوازية، بل عملاء لها، على قيادة الحركة النقابية .

ومثل هذه النقابات العمالية، وجدت في كثير من البلدان وفي أوقات وظروف متعددة وفي سوريا بالذات، تعرف طبقتنا العاملة، ويعرف القادة النقابيون جيدا، التدابير المصنوعة والاساليب المختلفة التي اتبعتها الديكتاتوريات العسكرية والرجعية لتحد من نضال الطبقة العاملة في سبيل مطالبها وحقوقها، ومن اجل عرقلة تنظيمها النقابي وشل نشاطها وتثبيط عزائمها وتمزيق صفوفها كي تبقى الحركة النقابية تحت سلطتها ، ولتحافظ على امتيازاتها وعلى ارباحها الفاحشة من عرق العمال وتعبهم .

ولجأت البرجوازية السورية في اوقات مختلفة الى حل مكاتب بعض النقابات وطردت العديد من القادة النقابيين من هيئاتهم النقابية، بعد انتخابهم فيها وحصولهم على ثقة رفاقهم العمال، لانها تعلم ان هؤلاء القادة النقابيين، لن يكونوا مطاوعين لها. وسنت البرجوازية السورية التشريعات المختلفة ،لتحد من الحريات النقابية، ومن الديموقراطية النقابية. ولذلك تصر الطبقة العاملة على شعاراتها الرئيسية : الحريات الديموقراطية، والديموقراطية النقابية، وهما شعاران هامان وأساسيان يرفعهما العمال لتقوية صفوفهم وتوحيدها عن طريق حرية نشاطهم النقابي ولمنع تزييف نقاباتهم والحؤول دون استخدامها لمصالح الرجعية وضد مصالح جماهير العمال .

ان الحريات الديموقراطية للطبقة العاملة ،هي سلاح فعال بيدها، ضد هجمات البرجوازية على حقوقها المعاشية وهي ضمانة لحماية الحركة النقابية ،من التعسف والارهاب ، ومن اجل القيام بنشاطها وتعبئة قواها والدفاع عن حقوقها ومطالبها. اما على الصعيد السياسي فان الحريات الديموقراطية للطبقة العاملة، هي قوة كبرى بيدها للنضال، ضد كل مساومة مع الاستعمار على حساب مصالحها الوطنية والقومية ومن اجل الحفاظ على الاتجاه التقدمي لتطور البلاد ومن اجل تحقيق اهدافها القريبة والبعيدة .

اما الديمو قراطية النقابية فهي آداة ضد كل تخريب من جانب الرجعية للحركة النقابية من داخلها ،وضمانة لمراقبة نشاط الهيئات النقابية العليا والقادة النقابيين، من قبل قواعدهم . وهي وسيلة اساسية من اجل الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة ومطالبها .

ان الرجعية لا تتوانى عن شراء الزعماء والقادة النقابيين، والديموقراطية النقابية، سلاح فعال بيد جماهير العمال ضد كل انحراف انتهازي، وعلاج كبير ضد البيروقراطية والتسيب وضياع المسؤولية، وهي آداة هامة لتنشيط الحركة النقابية وتمكينها من القيام بدورها وتحقيق مهماتها .

ان بحثنا الان لايستهدف القاء الاضواء على " النقابات التي توجدها او تسخرها الطبقات الرجعية لاغراضها الطبقية الاستثمارية" ، ولا نريد بحث العلاقة بين هذه الاحزاب والحركات الرجعية ،وبين "النقابات" التي تنشؤها وتسخرها لاهدافها. انما نريد ان نبحث علاقات الاحزاب العمالية والشيوعية ، بالنقابات ، ونشاط النقابيين الحزبيين فيها ،وكذلك بحث العلاقة المتبادلة والمتفاعلة بين النشاط والعمل الحزبي الصرف من جهة،

Digitized by Birzeit University Library

وبين العمال والنشاط النقابي من جهة اخرى.

الفرق بين حزب الطبقة العاملة والنقابات :

لا شك في ان لكل حزب سياسي مفاهيم فكرية (ايديولوجية). وهذه المفاهيم، تحدد النظام الاجتماعي الذي يناضل هذا الحزب من اجله، وتبين تصوراته عن المجتمع والقوى الاساسية المحركة لعملية التطور وموقفه من مختلف الطبقات الاجتماعية. وتدرس هذه الايديولوجية درجة تطور كل مجتمع والمرحلة الثورية التي يمر فيها، وكذلك المرحلة المقبلة لثورته، وهكذا يكون كل عضوم اعضاء الحزب بما فيه النقابي ملتزما بايديولوجية حزبه وبرنامجه السياسي وشعاراته وكذلك يكون ملتزما بنظامه الداخلي وبتنفيذ قرارات حزبه وتعليمات هيئاته الحزبية.

أما في النقابات، وحتى النقابات التي تقودها الاحزاب العمالية، فليس من مهماتها وضع ايديولوجيةوالالتزام بها، وقبول العمال في هذه النقابات على اساس هذه الايديولوجية، وعلى اساس برنامج الحزب وشعاراته المحددة والمعينة. ان كل ذلك ليس مطلوبا من اي عامل نقابي وليس من المفيد وضع كل هذه الامور كشرط للانتساب الى النقابات اوكشرط لقبول المسؤولين النقابيين في الهيئات القيادية والنقابية.

ان المطلوب من العمال، هوالانضباط ضمن نظام نقاباتهم الداخلي فقط، وهو اسهل واكثر مرونة واخف وطأة وأقل تعقيدا من اي برنامج سياسي وأي نظام داخلي لاي حزب سياسي من الاحزاب.

وهذا طبيعي جدا، ومعقول جدا، لان النقابات، هي منظمات جماهيرية يقتضي ان تكون واسعة كثيرا ومرنة كثيرا حيث تجمع جماهير العمال من كل الاتجاهات السياسية ومختلف المفاهيم الفكرية والاجتماعية.

والنقابات ليس هدفها الرئيسي العمل السياسي اليومي، بل هدفها الاساسي المباشر، هدفها اليومي، هو النضال من اجل تلبية مطالب العمال والدفاع عن حقوقهم الانية اليومية، الفردية والجماعية. وهذا الهدف الرئيس المباشر يبقى مهمة النقابات الاولى، حتى في البلدان الاشتراكية، التي وصلت فيها الطبقة العاملة الى السلطة، والسلطة اصبحت في ايدي الحزب السياسي للطبقة العاملة.

اذا كان المطلوب وضع اهداف الحزب وشعاراته السياسية امام الحركة النقابية بشكلها العملي والمباشر، كمهمة عملية ويومية ،كما توضع امام منظمات الحزب، والطلب الى جماهير العمال النضال من اجلها، لما بقي اي مبرر لوجود النقابات، ولكان من الافضل تنسيب العمال الى الحزب، وهذا غير معقول وغير عملي، بل غير مفيد. وبالتالي هو خلط ومزج بين اهداف الحزب ومهماته وبين اهداف النقابات ومهماتها، خلط بين دور ووظيفة الحزب السياسية ودور ووظيفة النقابات الجماهيرية.

ان نقل اهداف الحزب وشعاراته السياسية، وبالتالي قراراته وتوصياته المختلفة الى النقابات نقلا (ميكانيكيا)، هو عمل لا يمكن ان يحقق فائدة لا للحزب ولا للنقابات. وان عملا كهذا يدل على جهل تام باهداف الحزب وباهداف النقابات معا.

ان حزب الطبقة العاملة لا يمكن ان يجمع

Digitized by Birzeit University Library

الا الطليعة المناضلة والواعية من ابناء طبقته ، وهي قلة قليلة بالنسبة لمجموع الطبقة العاملة . اماالنقابات فانها تجمع ، ويجب ان تجمع ، القسم الواسع والكبير من الطبقة العاملة ، من جماهير العمال المتأخرة ، سياسيا وحتى نقابيا ، الجماهير التي لا يمكن ان تنتسب الى النقابة الا من اجل الدفاع عن حقوقها الخاصة والانية وتحقيق مطالبها اليومية الملموسة .

وكلما ضمت النقابات اعدادا غفيرةمن جماهير العمال ، ازدادت فعاليتها ، وسهل تحقيق مهماتها. ان النقابات القوية هي النقابات الجماهيرية ، التي تضم في صفوفها اوسع واعرض جماهير العمال وتعبؤهم دائما في سبيل الحصول على حقوقهم وتحقيق مطالبهم .

ان النقابات تختلف اختلاف جذريا عن الاحزاب السياسية. فالاحزاب تضم في صفوفها جماعات ذات ايديولوجية واحدة ، ولها برنامج سياسي واحد ، ولها نظام داخلي صارم وشديد ، اكثر بكثير من اى نظام داخلي ، لاية نقابة كانت او اية هيئة نقابية .

أما النقابات ، فليس من المفروض ان يكون لكل اعضائها ايديولوجية واحدة ، وليس مطلوب منها ان تضع برنامجا سياسيا واحدا ، ولا شعارات واحدة ، ولانظاما داخليا صارما ، بل على العكس ، ان النظام الداخلي للنقابات ، هواكثر مرونة ، وأكثر حرية من اى نظام داخلي لاى حزب من الاحزاب .

ان النقابات هي منظمات جماهيرية طبقية غير حزبية تجمع وتوحد صفوف العمال على اختلاف انتماءاتهم الحزبيةوميولهم السياسية في سبيل الدفاع عن مصالحهم المشتركة وتحقيق مطالبهم وحماية مكتسباتهم ،وقد جمعت النقابات في بلادنا في كل العهود والظروف اعضاء منتسبين لاحزاب سياسية متباينة ومتمايزة ، ولكل حزب من هذه الاحزاب ايديولوجيته الخاصة به وبرنامجه المستقل وشعاراته المتميزة عن شعارات الاحزاب الاخرى. وظاهرة تعدد الاحزاب التي ينتسب اليها عمالنا واضحة وصريحة. وهذا كله يتطلب المرونة والديموقراطية والنقاش الاخوى الرفاقي بين العمال وفي داخل التنظيمات النقابية ، للوصول الى الموقف او القرار او الشعار الذى يقبل به جميع العمال او اكثريتهم العظمى .

وبهذه الطريقة يمكن الوصول الى تقوية التضامن والوحدة وتعزيزها بين ابناء الطبقة العاملة وداخل الحركة النقابية .

ان الصفة الجماهيرية للنقابات توجد حيث تجمع وتوحد الجماهير العمالية الواسعة وترفع دورها وتجعلها قوة فعالة ومؤثرة ذات شأن كبير. وهذا الاسلوب في التنظيم يساعد على رفع مستوى العمال النقابي والسياسي والايديولوجي ، ويرسخ ويعمق وعيهم الطبقي ، ويهيء جماهير العمال ويعدها لخوض المعارك الطبقية الكبرى والحاسمة ضد الاستعمار والاستثمار ومن اجل التقدم الاجتماعي والاشتراكية .

العلاقة المتبادلة بين النضال المطلبي والنضال السياسي :

ان ما يجب التأكيد عليه ، هو ان العمل من اجل مطالب العمال المباشرة الفردية والجماعية لا يتعارض مع " النقابية السياسية"

Digitized by Birzeit University Library

، بل يكملها ويكرسها في الحياة اليومية والعملية . ان النقابية السياسية" التي تهدف الى رفع مستوى الطبقة العاملةللاهتمام بالقضايا السياسية والقومية الكبرى، تتحقق وتنجح من خلال النضال من اجل حقوق ومطالب العمال اليومية، المعاشية والثقافية .

ان العمل من اجل مطالب العمال المباشره لا يعني تخلي الحركة النقابية عن اية ايديولوجية، ولا يعني ترك جماهير العمال فريسة للاراء والافكار البرجوازية واليمينية، ولا يعني انشاء نقابات تحصر نضال العمال في النطاق " الاقتصادي" البحت وتعمل الاهداف الثابتة الدائمة الاساسية للطبقة العاملة. وان العمل من اجل مطالب العمال المباشرة لايعني اغراق الحركة النقابية بالعمل اليومي الحرفي الضيق والمحدد . بل على العكس، ان النقابات الطبقية، النقابات التي تقودها الاحزاب الاشتراكيةوالعمالية، تربط ربطا مرنا وبشكل محكم ووثيق بين الاهداف والمطالب اليومية المباشرة للطبقة العاملة وبين الايديولوجية (النظرية) الاشتراكية والوضع السياسي العام في البلد – والاهداف السياسية الكبرى. واذا لم يجر كل ذلك ولم يربط وينسق بين مطالب الطبقة العاملة الفردية والجماعية، اليومية والانية، وبين مصالح وأهداف الطبقة العاملة الثابتة والاساسية الكبرى، تتحول الحركة النقابية الى حركة انتهازية، حركة يمينية ،حركة تتخلى عن اهداف الطبقة العاملة الرئيسية، وتتحول التنظيمات النقابية الى اداة، بل الى ذيل للبرجوازية .

ان تخلي الحركة النقابية، تخلي الطبقة العاملة عن كل ايديولوجية (نظرية) وعن كل نشاط سياسي ، معناه ترك جماهير العمال فريسة للسياسة الايديولوجية البرجوازية. وهذا ما تعمل البرجوازية من اجله باستمرار وبخبث ودهاء ، كي تحصر اهتمام العمال بالمطالب الاقتصادية، وتبعدهم عن التفكير والاهتمام بالشؤون السياسية والايديولوجية، بشؤون السلطة والحكم ، ليبقى لهاوحدها الحق في معالجة القضايا السياسية حكرا لها فقط .

ان اشكال النضال الثلاث : الاقتصادي والسياسي، والايديولوجي التي يجب على الطبقة العاملة خوضها ، مترابطة مع بعضها بعضا ، وتكمل بعضها بعضا ، ومن الخطأ التفكير انه يمكن تعبئة الطبقة العاملة في النضال القومي والوطني، في النضال السياسي والايديولوجيضد الاستعمار والرجعية، وبشكل فعال ، بمعزل عن مطالبها وقضاياها الاقتصادية والمعاشيةوالثقافية، اذ لا يمكن الدفاع عن الشعارات السياسية والمواقع النظرية للطبقة العاملة بدون ربطها بقضاياها اليومية والانية.

ومن جهة اخرى لا يمكن الاكتفاء بالنضال من اجل مطالب العمال الاقتصاديةوالمعاشية اليومية، واهمال النضالات السياسية والايديولوجية وعدم فضح وتعرية النظريات والشعارات السياسية والاستعمارية والرجعية والمعادية للطبقة العاملة والمعادية للاشتراكية بل لا يمكن الدفاع عن الشعارات الاقتصادية والمطلبية للطبقة العاملة بطريقة عملية وصحيحة بدون ربطها وتحليلها نظريا وسياسيا

ان النضال من اجل مطالب العمال اليومية والمباشرة، هو هدف ووسيلة في آن واحد، بالنسبة للنقابي الثوري. انه هدف لان النقابي الثوري يهمه جدا، ويناضل باستمرار، لرفع مستوى حياة العمال المعاشية والثقافية

Digitized by Birzeit University Library

وتحسين ظروف وشروط عملهم . وهو وسيلة ايضا ، كي يربط العامل بنقابته ويرفع وعيه ومن التزامه التنظيمي. وهذا كله يؤهل العمال للمساهمة بنشاط اكثر في النضال من اجل الاهداف السياسية الكبرى، وللمساهمة في المعارك الطبقية الحاسمة من اجل التقدم والاشتراكية والوحدة العربية .

اسلوب تحقيق قيادة الحزب للنقابات :

فكيف يمكن تحقيق قيادة الحزب للحركة النقابية ،وبالتالي للطبقة العاملة ولجماهير العمال الواسعة .

ان قضية القيادة والتوجيه هنا تختلف بجوهرها واسلوبها وشكلها . فمثلا قيادة الحزب تصدر للقيادة الحزبية في المحافظة المرتبطة بها القرارات والتوجيهات وتطلب التقارير وكذلك تفعل القيادة الحزبية في المحافظة مع قيادة الاحياء ، وتستخدم القيادة هنا حقها الطبيعي ، والهيئات الدنيا تلتزم بواجباتها الطبيعية بحكم قناعاتها الفردية والسياسية وبحكم التزامها بنظامها الداخلي، وبحكم مستوى الوعي الحزبي لدى اعضاء الهيئات الدنيا والتي توصلت اليه بحكم ثقافتها الحزبية وتجربتها ايضا .

واذا طلب من النقابات العمالية الخضوع ، لقيادة الحزب فكرا وسياسة وتنظيما على نفس المستوى وبنفس الاسلوب التي تخضع فيه الهيئات الحزبية الدنيا للهيئات العليا ، لما كان هناك اية ضرورة لايجاد هيئات نقابية عليا وهيئات نقابية دنيا، ولما كان من الضروري وجود نظام داخلي للتنظيمات النقابية يعين ويحدد حقوق وواجبات كل هيئة نقابية، وبالتالي العلاقة المتبادلة بين الهيئات النقابية. وتختلف مسؤوليات الهيئات الحزبية ومجال نشاطها ونطاق عملها ومهماتها ، عن مسؤوليات ومهمات الهيئات النقابية اختلافا جوهريا جذريا .

ان الهيئة الحزبية او المسؤول الحزبي الذي يطلب من الهيئة النقابية او العضو النقابي الحزبي في مجال النشاط النقابي، الارتباط مع الهيئة الحزبية وتنفيذ القرارات والتعليمات الحزبية كما يطلب داخل الحزب نفسه وبين الهيئات الحزبية نفسها وبالشكل الذي ينفذ داخل التنظيم الحزبي يرتكب خطأ فاحا بحق حزبه وبحق التنظيم النقابي.

ان النظرة الجامدة الى تنفيذ قرارات وتعليمات الهيئات الحزبية او المسؤولين الحزبيين داخل التنظيم النقابي والتطبيق الالي (الميكانيكي) لهذه القرارات والتعليمات يجلب الضرر الفادح للحزب وللنقابات معا .

صحيح ان الحزب يقود النقابات ويوجهها سياسيا ويطرح امام الحركة النقابية مهمات سياسية واجتماعية، ليس بمقدور التنظيمات النقابية معرفتها ودراستها وتحديدها. ولكن القيادة السياسية والفكرية شيء وفرض الوصاية والهيمنة الحزبية على النقابات شيء آخر تماما .

ان فرض القرارات والتوجيهات الفوقية على جماهير العمال، حتى ولو كانت صحيحة ومفيدة دون اقناع جماهير العمال ودون موافقتهم ، ودون اقناع الهيئات النقابية المعنية، يحمل الضرر الكبير للحزب نفسه وللنقابيين الحزبيين انفسهم وللهيئات النقابية التي يعمل الحزب على تشجيعها

Digitized by Birzeit University Library

وتوطيدها وتقويتها .

ومن الطبيعي ، انه بمقدار ما تكون قرارات الحزب وتوجيهاته وتعليماته ، بشأن الحركة النقابية متفقة مع مصالح جماهير العمال ومفهومة منهم ، بمقدار ما يمكن تنفيذ هذه التعليمات والتوصيات والتوجيهات وتطبيقها في الحياة النقابية . وبمقدار ما يجرى تنفيذها من قبل جماهير العمال بسرعة وبسهولة وحماس

وبمقدار ما تعرف القيادة الحزبية مزاج جماهير العمال ومطالبيها ، بمقدار ما تكون قراراتها بالنسبة للتنظيمات النقابية صائبة ومعبرة عن طموحاتها ومطالبها .

ان الحزب يقود الجماهير ويوجهها . ولكن لا يجوز له بأى حال ، ان يسبق الجماهير او ان يتخلف وينقطع عنها او تنقطع عنه الجماهير . ان وضع الشعارات والتعليمات العامة والمجردة والبعيدة عن الواقع الموضوعي الملموس، لا يخدم قضية الطبقة العاملة ولا حركتها النقابية ، وبالتالي لا يخدم قضية الحزب نفسها . واذا لم يؤخذ كل ذلك بعين الاعتبار الجدى ، تبقى القرارات والتوصيات الحزبية ، بدون تأييد وبدون تنفيذ من قبل جماهير العمال الواسعة .

ان مناقشة وبحث وشرح قرار حزبي وتأخير تنفيذه بضعة ايام اواسابيع ، بل اشهر من اجل اقناع العمال به ، افضل بكثير من المباشرة بتنفيذه دون بحثه وشرحه للعمال وللهيئات النقابية المعنية ،وأخذ موافقتهم عليه .

ان فرض القرارات الفوقية على الهيئات النقابية وعلى جماهير العمال يعطل المنظمات النقابية عن القيام بواجبها ويفرغها من محتواها ويشل نشاطها . ويحصل في بعض الاحيان وفي بعض الحالات ، ان يعتمد مسؤول نقابي على نفوذ حزبه فقط، كي يفرض قيادته على التنظيمات النقابية، دون ان يقوم بأى جهد او نشاط نقابي بين العمال ، وحتى دون ان يقيم اى وزن او رأى لجماهير العمال وتنظيماتهم النقابية به ، وقد يستطيع هذا النقابي الحزبي تحقيق بعض المهمات لحزبه ، ولكن اعتماد النقابي فقط على سلطة حزبه ، لفرض قيادته في الحركة النقابية خطأ كبير جدا ، وهو مضر للحركة النقابية وللعضو الحزبي نفسه وللحزب على السواء .

ان أى نقابي ، والنقابي الحزبي خاصة ، في تعامله مع جماهير العمال وفي تعاونه مع اعضاء هيئته النقابية ، مطلوب منه اتباع اسلوب النقاش الحر والاقناع . ان الاسلوب الديموقراطي في علاقات الهيئات النقابية بعضها ببعض وعلاقات المسؤولين النقابيين بهيئاتهم وجماهير عمالهم ، هوالاسلوب الاسلم والاضمن ، ليس لجماهير العمال فقط، انما للهيئات النقابية وللمسؤولين النقابيين خاصـــة .

ومن أكبر الاخطار وأفدحها ان تنظر جماهير العمال (والمسؤولون النقابيون) الى النقابي وكأنه مفروض عليهم فرضا او كأنه ممثل للسلطة ، وليس ممثلا للعمال الذين اختاروه لهذه المسؤولية اوتلك ، بسبب ثقتهم به واعتمادهم عليه في تحقيق مطالبهم واهدافهم وحل قضاياهم اليومية .

من كل ذلك يتبين ، ان النقابي الحزبي يجب ان لا يعتمد في نفوذه بين جماهير العمال ، على نفوذ حزبه فقط، وانما يجب ان يكون اعتماده الرئيسي على نشاطه ونضاله النقابي وخبرته وكفاءته ، وعلى علاقاتـــه النقابية مع جماهير العمال ، وعلى مقدار نشاطه

Digitized by Birzeit University Library

ومستوى معرفته للسبب وحل مشاكلهم المختلفة.

ان الحزب يستطيع ان يقود الحركة النقابية لا بواسطة القرارات والاوامر الادارية ولا حتى بواسطة السلطة، وانما يستطيع قيادة النقابات عن طريق اعضائه، الذين حصلوا على الثقافة الحزبية والنقابية معا وعلى التربية الحزبية والنقابية معا، ومروا بفترة من التجربة الحزبية والنقابية معا، وهم على صلة حية بالحزب وجماهير العمال. وهكذا يستطيع النقابي الحزبي معرفة الفرق بين قيادة الهيئة الحزبية، وبين قيادة الهيئة النقابية، ويعرف الفرق بين تنفيذ اوامر وتعليمات الحزب وبين تنفيذ قرارات الهيئات النقابية. ويستطيع ان يتقن التوفيق والتنسيق بين مواقف الحزب وشعاراتـــه.

ومثل هؤلاء النقابيين يستطيعون ان يربطوا بين اهداف الطبقة العاملة الاساسية والرئيسية، التي تتجسد في ايديولوجية الحزب واستراتيجيته وبين اهداف الطبقة العاملة الجزئية واليومية. التي تتجسد في النشاط والعمل النقابي، بين مطالب العمال الكبرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعبر عنها في برنامج الحزب وبسياسته العامة، وبين المطالب المعاشية والانية التي تناضل النقابات من اجل تحقيقها، دون ان يضيعوا الهدف العظيم والقضية الكبرى للطبقة العاملة

ومثل هؤلاء النقابيين يستطيعون التوفيق بين آراء ومصالح جماهير العمال الواسعة والعريضة التي تجمعها المنظمات النقابية وبين آراء وأهداف طليعتها الواعية والمدركة والمنظمة المتسلحة، بنظرية الاشتراكية العلمية، التي تتجسد بحزبها السياسي الماركسي اللينيني. ويستطيعون ايضا ربط هذه الطليعة الواعية بالجماهير الواسعة من الطبقة العاملة

ومثل هؤلاء النقابيين يستطيعون تعميق الوعي الطبقي لدى جماهير العمال وزيادة ثقافتهم السياسية والاجتماعية. وهكذا يجمعون ويوحدون نضالات العمال الجزئية ويجعلون منها ارادات ورغبات الطبقة العاملة ويكونون من مطالب العمال اليومية والجزئية لهذه المهنة او تلك او هذه المدينة او تلك او في هذه المؤسسة او تلك، يكونون من كل ذلك سيلا واحدا موحدا، ونضالا طبقيا شاملا تساهم وتشارك فيه كل الطبقة العاملة وكل الكادحين من اجل التحرر والتقدم الاجتماعي والاشتراكيـــة.

وبهذا الشكل تتحول النقابات الى مدرسة فعلية لزيادة وعي الطبقة العاملة وزيادة التحامها مع طليعتها وقيادتها مع حزبها. هكذا يمكن جعل النقابات مدرسة حقيقية للاشتراكيـــة.

(عن مجلة النهج)

Digitized by Birzeit University Library

النظرية الماركسيّة في المعرفة *

بقلم : محمد المناصرة

الجزء الأول

ان معرفة الواقع واستجلاء اسرار الحاضر والمستقبل ، هامة جدا في حياة الانسان المعاصر ، لانها تمكّنه من فرض ارادته على قوى الطبيعة والعلاقات الاجتماعية ولكن ليست اية فلسفة بمقدورها تقديم هذه المعرفة لمختلف الظواهر المحيطة بالانسان .

ان من الصعب على الانسان في مجرى الصراع الايديولوجي المعاصر ، ان يختار لنفسه منهجا لفهم سبل التقدم العلمي والاجتماعي دون ان يكون ملما بمختلف المذاهب والمدارس المعرفيّة المتسرة في العصر الحديث ، خاصة وان جميع المذاهب تدّعي بأنها الحل الوحيد للحضارة .

ومن خلال هذا البحث سنتعرض باختصار لبعض جوانب النظريّة الماركسيّة في المعرفة التي تمثّل تعميما فلسفيا لتجربة التطور الاجتماعي وصراع العلم والثقافة الانسانيين ، واداة بيد الطبقة العاملة العالمية من اجل اعادة بناء العالم من جديد . واداة روحية بأيدي الشعوب المناضلة في سبيل تحررها الوطني وتقدمها العلمي والاجتماعي .

عمليـــة المعرفـــــة

==========

ما هي المعرفة ؟ كيف نعرّف ؟ هل نستطيع تكوين وامتلاك مفاهيم وآراء صائبة ودقيقة عن العالم المحيط حولنا ؟ وكيف نتفاعل حولنا من ظواهر؟ مستاح واسلوب مامون ونفسي لمعرفة العالم ؟ ان مجمل الاراء والاجابات على هذه الاسئلة تسمّى نظرية المعرفة .

* قدم الكاتب هذا البحث الى دائرة العلوم الاجتماعية في كلية الاداب بجامعة سنت لحم ـ ايار ١٩٨٥

Digitized by Birzeit University Library

ولقد شغلت هذه الاسئلة أذهان الحكماء والفلاسفة على مر العصور فقد حاول العلماء القدامى الاجابة على هذه الاسئلة. وسعيا لاجاباتهم، ظهر من بينهم من يميل الى الاجابة على الاسئلة بالايجاب اى بأننا نستطيع فهم العالم وفهم ما يحيط بنا من ظواهر وهؤلاء سموا بالعلماء الماديين القدامى ومن بينهم (ديمقريطس) في القرن السادس قبل الميلاد، و"(ابيقور) في القرن الثاني قبل الميلاد.

وكذلك ظهر من بين العلماء القدامى من يميل الى التأكيد على استحالة معرفة وفهم العالم. لان الموجودات وما يحيط بنا تتغير وتتبدل بسرعة قبل ان يسعفنا الوقت وتمكن من معرفتها، ومن بين هؤلاء العلماء (كراتيلوس) في القرن الخامس قبل الميلاد وهؤلاء العلماء اطلق عليهم مفهوم العلماء المثاليين القدامى.

منذ ذلك التاريخ، تطورت نظرة الانسان الى العالم المحيط، وارتقت معارفه وارتقاء العلم وارتقاء تجربة الانسان في الممارسة التطبيقية. فبرز الانقسام اكثر فاكثر بين الفلاسفة، وغدا اكثر وضوحا في اجاباتهم المتباينة على الاسئلة المشار اليها.

ولكي نتفهم اجابة النظرية الماركسية اللينينية في المعرفة على هذه الاسئلة ينبغي ان نتطرق بايجاز الى آراء بعض الفلاسفة الاخرين سبقوا ظهور الفلسفة الماركسية لنرى ما يميز النظرية الماركسية في المعرفة عن غيرها من المذاهب الفلسفية. بالاضافة لحقيقة ان النظرية الماركسية في المعرفة لم تأت من فراغ، بل هي نتيجة للموقف الانتقادي العلمي لجميع المذاهب العرفانية السابقة لها، واستخلاص خلاق لما هو جوهري فيما تراكمت الانسانية من معارف، وما كدست من معلومات حول طبيعة عملية المعرفة واسسها العامة.

أ. موقف الادراكية من عملية المعرفة

شهد القرن الثامن عشر تحليلات الاتجاه اللا ادرى الذى يقوم على الانكار التام لامكانية معرفة العالم، ومن بين رواد هذا الاتجاه الفيلسوف الانجليزى دافيد هيوم (١٧١١ – ١٧٧٦) الذى يقول " لا يجد الذهن امامه اية اشياء ابدا، ما عدا الادراكات، وهو عاجز بأى حال من الاحوال عن اجراء اى تجربة مهما كانت بشأن التناسب بين الادراكات والاشياء "(١).

ولهذا فهو يخلص الى انه طالما لا يوجد امكانية لمطابقة الادراكات الحسية مع الواقع، فلا نستطيع التحقق من ان احاسيسنا تعكس ما هو موجود في الواقع ام لا.

ويضيف دافيد هيوم موضحا اكثر موقفه من الممارسة والتجربة الانسانية السلبي فيقول، " ان الصور او المدركات الحسية فقط، هي التي في متناول عقولنا، ونحن لا نعرف مصادر هذه الصور واسبابها، قد تكون ناتجة عن اثر الموضوعات على حواسنا، او من طاقة العقل ذاته، او بفعل روح ما غير معروفة ولا مرئية، او من شيء آخر غير هذا كلّه، وكان يجب على التجربة ان تنبئنا عن هذا لكنها تصمت تماما عند هذه النقطة، ولا يمكنها ان تكون غير ذلك، حيث ان على العقل ان يتعامل فقط مع المدركات الحسية، فهو عاجز عن مقارنة المدركات الحسية بالموضوع، وفي هذه الحالة

Digitized by Birzeit University Library

فان اي تجربة، تُختزل الى مقارنة مدركاتنا الحسّية بمدركات حسّية اخرى " (٢) .

ان افتراض هيوم بعدم وجود علاقة بين احاسيسنا والواقع الموضوعي . لهو افتراض لا يقوم على اية قاعدة علمية، وهو افتراض يعجز عن تقديم اجابة عن كيفية نشوء الافكار وتكوّن المفاهيم التي لا ترتبط بالصور الحسّية مثل تلك الجوانب المتعلقة بالنظام المعرفي العلمي كالتجربـــة والاحكام .

كذلك هل صحيح بان الانسان لا يستطيع معرفة مصدر الادراكات الحسية واسبابها وان التجربة العملية لا تستطيع تقديم اية امكانية لمعرفة الحقيقة الموضوعية؟ وهل صحيح القول بأن العقل لا يستطيع مقارنة المدركات الحسية بالموضوع الذي تعكســـه؟ .

ان تجربة كل فرد وتجربة البشرية جمعاء ، تبين ليس فقط بأن الاحاسيس هي مصدر هام لمعارفنا ، بل تبين التجربة ايضا بأن مصدر هذه المدركات الحسية هو الواقع الموضوعي نفسه ، فنحن مثلا واثناء عملية تقشير حبة البصل ، نلاحظ بأن حبة البصل تخرج او تنبعث منها غازات تؤثر على اعصاب العين والاغشية المخاطية في العين ، مما يهيج الاعصاب ويؤثر هذا على عدد الدموع الموجودة تحت الجفون ، فيدفعها الى افراز دموع بكثرة من اجل تخفيف التأثير التهيجي للغاز المنبعث من حبة البصل .

كذلك لو اخذنا ظاهرة طبيعية اخرى تظهر في فصل الشتاء حيث تتوفر الرطوبة في الجو ، وحين تبزغ الشمس ، يحدث تخلخل للضوء ، وانكسار من خلال قطرات الماء المحمولة على الهواء ، وبواسطة هذا الانكسار للضوء ، نرى طيف الضوء على شكل قوس قزح المعروف ، بالوانه السبعة ، فلو لم تكن هناك رطوبة ، ولو لم يكن هناك ضوء الشمس فليس باستطاعتنا ان نرى قوس قزح في الطبيعة .

ان افتراضات هيوم ، تقوم على انكار حقيقة ان العالم المادي ، الواقع الموجود حولنا ، وما يحيط بنا ، هو مصدر احاسيسنا ، هذا عدا عن انكار التجربة نشاط الناس العملي ، حيث بين العلم بما لا يدع مجالا للشك ، بأن تطور المعرفة قد قام على اساس تراكم وتطور التجربـــة .

ان عمانوئيل "كانت" (١٧٢٤ – ١٨٠٤) هو ايضا احد رواد مذهب اللاادرية وان كان يختلف مع دافيد هيوم في بعض الجوانب المتعلقة بالتجربة، فهو في المرحلة الثانية من تطوره الفلسفي والتي سميت بالمرحلة النقدية والتي بدأ بصياغتها في بداية السبعينات من القرن الثامن عشر – يقول " " بوجود عالم مستقل عن الوعي عن الحواس ، عن الفكر، هو عالم الاشياء التي يسميها "كانت" (الاشياء في ذاتها) . تبدأ عملية المعرفة بأن تؤثر هذه (الاشياء في ذاتها) على اعضاء الحس وتثير فيها الاحساس . في هذا الجزء من موضوعته – موضوعة وجود (الاشياء في ذاتها) نرى "كانت" ماديا ، فالاولوية هنا ، لاشياء العالم المادي ، لا للوعي . لكن عندما ينتقل "كانت" الى دراسة صور المعرفة ، وحدودها ، نراه يهجر المادية باتجاه المثالية . وكمن مثالينه هذه في تأكيده على انه لا احاسيسنا ولا مفاهيم واحكام فهمنا ، ولا مفاهيم (افكار ، معاني) عقلنا ، يمكن ان تعطينا معرفة نظرية عن الاشياء في ذاتها . ومهما تكن حقائق الرياضيات والعلوم يقينية فان المعرفة ، التي

Digitized by Birzeit University Library

تقدمها هذه العلوم ليست معرفة (الاشياء في ذاتها) ذلك ان هذه المعرفة تقتصر على تناول تلك الجوانب والخواص والعلاقات التي تستخدم فيها صور معرفتنا : الاحاسيس والمفاهيم (المقولات) والاحكام . اما عن تلك الجوانب ، التي لا يمكن ان تستخدم فيها صور معرفتنا ،فليس بوسعنا تحصيل اية معرفة ، (الاشياء في ذاتها) مستعصية على المعرفة ، وماتمكن معرفته هو (الظواهر) وحدها . وهكذا فان قضية تعذر معرفة الاشياء في ذاتها هي قضية مبدئية عند كانت " (٣) .

ويوضح لينين السبب في توجيه النقد لفلسفة عمانوئيل كانت وارائه في كيفية المعرفه من قبل الماديين " لا لاعترافه بوجود الاشياء بشكل مستقل عنا او بوجد (الاشياء في ذاتها) فالماديون جميعا يتفقون مع كانت في هذا بل (ينتقدوه) لذاتيته ولا ادريته ، لعدم قدرته على استنتاج المعرفة من مصدرهـــا الموضوعـــي (٤) .

ان الجوهر الرجعي للاادرية يكمن في انها تقوم بتغييب الممارسة العملية كاساس لعملية المعرفة، ومقياس لها ، الى جانب كونها تنفي وتتجاهل الدور الهائل الذى تمارسه حواسنا في عملية التأمل الحي المباشر وفي المعرفة الحسية ومصدر احاسيسنا ، اى تتجاهل الواقع الموضوعي مصدر التأثير على حواسنا .

ب : الاتجـــاه العقلـــي وعمليـــة المعرفـــــة

ان ابرز ممثلي الاتجاه العقلي هو رينيه ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠) وفيما بعد سار على خطاه باروخ سبينوزا (١٦٣٢ – ١٦٧٧) اللذان قدما اسهامات بارزة للعلم والفلسفة وعلى التطور اللاحق للفلسفة المادية رغم الفجوات التي ميزت افكارهما اذ تستفيد الفلسفه البرجوازية المعاصرة من تلك الفجوات بمختلف مشاربها .

ان الاتجاه العقلي يقوم على اساس التقليل من اهمية ودور الاحاسيس والادراكات الحسية في عملية المعرفة ، فنحن من وجهة نظر الاتجاه العقلي نتعرف على الاشياء ، على الموضوعات ، على القوانين ، على حقيقة الظواهر فقط بواسطة العقل ، والمحاججات والمحاكمات المنطقية العقلية ،اى ان العقل لا الحواس هو ما يلعب الدور الاساسي الهام في المعرفة ، وللايضاح اكثر فان الاولوية في عملية المعرفةتنسب الى العقل مع الغاء العلاقة بين الفكر والمدركات الحسية .

ان ديكارت" يرى في المسلمات، المبادئ الاساسية لكافة العلوم . كما يؤكد على يقينيّة جميع حلقات الاستنباط التي تأتي بعد المسلمات ، بيد ان استيعاب جميع حلقات الاستنباط ، يتطلب ذاكرة قوية ، لانكل ، ولذا كانت المبادئ البسيطة والواضحة التي تنطلق منها اكثر يقينية ، بالمقارنة مع احكام الاستنباط النهائية ، وهكذا يصح بامكان العقل المسلح بهاتين القدرتين المعروفتين اليقينيتين بالحدس والاستنباط – الوصول الى المعرفة اليقينية في جميع المجالات شريطة ان يتبع منهجا صحيحا ، ويعرض ديكارتالخطوط العامة لمثل هذا المنهج في مؤلفة (مقاله في المنهج) الذى نشر عام ١٩٣٧ ، ويستند المنهج الديكارتي الى اربع

Digitized by Birzeit University Library

قواعد هي :

١) التسليم فقط ببقينية المبادئ التي تبدو للعقل بسيطة وواضحة، لا تثير يقينيتها اى شـــك .

٢) تقسيم كل مشكلة الى اجزائهـــا .

٣) الانتقال المنظم من المعروف والمبرهن عليه الى المجهول الذى يتطلب البرهان

٤) عدم اغفال اى من مراحل البحث المنطقية " (٥) .

ان هذا المنهج ما يسمى بالهندسة التحليلية التي تقوم على مجموعة من المبادئ والقواعد التي تفرض وجود بديهيات معيّنة باعتبارها نقطة البداية في عملية المعرفة، ثم تقوم بترتيب هذه البديهيات وفرزها بالتحليل لكي تستنبط منها نظريّة معينة او قواعد معينة بواسطةمحاججة فكرة بفكرة، او صورة باخرى، ومناظرة فرضيّة بفرضيّة، وهكذا لكي نخلص بواسطة البرهان المنطقي الى براهين صارمة شيئا فشيئا الى الامـــام .

ولكن ديكارت والمروّجين للاتجاه العقلي في العالم الرأسمالي لم يجيبوا او يوضّحوا ما هو مصدر تلك البديهيات او المسلّمات الاولية؟ ما هومصدر قوانين المنطق التي تعينهم في عملية الاستنباط ؟ .

ان العقليين المحدثين يجيبون على هذه الاسئلة بصورةمختلفة، فقسم منهم يجيب بان مصدرها هو الله او ما يسمونه بالوحي الالهي، وفي الجانب الاخر بعض المحدثين من ممثلي الاتجاه العقلي يجيب بان مصدر تلك البديهيات والمسلمات، هو التدريب المتواصل للعقل الذى يتمكن بواسطة العفوية والسليقة والحدس الباطني الالمام بتلك البديهيـــات .

وغني عن البيان، ان هذهالاجابات تعجز عن تقديم مذهب متكامل ودقيق لعملية المعرفة، رغم محاولات العقليين المحدثين

ومن بينهم برتراند راسل، وكارناب حيث يروجون بان جميع معارفنا والمعلومات المتكونة لدينا منسوبة الى داتيتنا، اى لنشاطنا العقلي الخالص المعزول عن حقائق وموضوعات العالم المحيط حولنا، والعقليون للتأكيد علىذلك يشكّكون باهمية الحواس ودورها في عملية المعرفة، " ويعتبرون العقل، التفكير المجرد المصدر الوحيد للمعرفة الحقة" (٦) اى تتلخص اراء العقليين بانه لا يوجد لدينا الاحساس الدقيق الذى نستطيع بواسطته القول اننا ندرك من خلال الموضوعات الفيزيائية مثلا بحواسنا، لان حواسنا لا تتطابق معها، ولا تتأثر بها، وانما فقط، تستطيع فهم الاثار المترتبة على العمليات الفيزيائية علينا بواسطة العقل، اذ انه لا يوجد حدث في الميدان الفيزيائي قبل بانه احساس، فيتساءل العقليون تبعا لذلك كيف اذن تستطيع الحواس اثبات او دحض النظرية الفيزيائية .

ان المذهب العقلي الذى تبنى شعارات "ديكارت" انا افكر،اذاً انا موجود (٧) قد تجاهلوقام هو الاخر بتغييب الممارسة ودورها في الوعي الانساني، كحال الاتجاه الحسي الذى عمد الى اعتبار اعضاء حسنا بمثابة البناء المعرفي كله، متجاهلا اهمية التفكير النظرى في عملية المعرفة .

Digitized by Birzeit University Library

ج : الماركسية اللينينية وعملية المعرفة

اولا : ما هي المعرفة ؟ وكيف تعرف ؟ لماذا تجيب النظرية الماركسية في المعرفة على هذه الاسئلة ؟ .

على خلاف المذاهب المثالية الذاتية التي تعرف المعرفة بأنها تقتصر على دراسة العلاقة بين الاحساسات والافكار، وعلى خلاف المثاليين الموضوعيين الذين ينظرون للمعرفة على انها تطور ذاتي للفكرة (للعقل) بصرف النظر عن الواقع المادي، وعلى خلاف المذاهب اللاادرية الحسية والعقلية الميتافيزيقية، فقد قدمت النظرية الماركسية في المعرفة، تعريفا علميا محددا للمعرفة، وجوهر عملية المعرفة، وموضحا للجانب الرئيسي، الاساسي المقرر في عملية المعرفة، وقدمت لنا سبلا وطرقا تم اختبارها وتجربتها في الحصول على الحقائق الموضوعية الثابتة ولقد بين لينين في الدفاتر الفلسفية ان " المعرفة هي انعكاس الطبيعة بالانسان ولكنه ليس انعكاسا بسيطا، فوريا، كليا ، فهذا التسلسل يتحصر في سلسلة تامة من التجريدات والصنع، وتشكل المفاهيم والقوانين الخ، وهذه المفاهيم والقوانين تشمل، بسببا ، تقريبيا، القوانين الشاملة في الطبيعة، ازلية الحركة والنمو، والانسان لا يستطيع ان يعكس وان يولد الطبيعة بكاملها بصفتها كلا، بمحطها المباشر ، بل كل ما يستطيعه هو ان يقترب منها اقترابا ابديا خالقا تجريدات ومفاهيم وقوانين ولوحة علمية للعالم "(٨) .

ويضيف لينين موضحا اكثر بأن " المعرفة هي التسلسل الذي يقترب به الفكر اقترابا لا متناهيا وابديا من الموضوع ، ويجب ان نفهم انعكاس الطبيعة في الفكر البشري، لا بشكل ميت ، لا بشكل مجرد ، ليس بدون حركة ، ليس دون تناقضات ، بل في التسلسل الازلي للحركة ، لولادة التناقضات وحلها" (٩) .

نخلص من هذا بأن المعرفة هي محاولاتنا غير المحدودة، اللامتناهية في الاقتراب الفكري من الموضوع المراد فهمه ودراسته ومعرفته ، وحصيلة لنشاط فكري طويل للانسان ،في حركة الفكر من الجهل الى المعرفة ، من الصيغ والمفاهيم والقوانين غير الصائبة الى الصيغ والمفاهيم والقوانين الصائبة والتسلسل من المعرفة غير الكاملة ، الى المعرفة الاكثر كمالا ودقة .

ان تعريف لينين للمعرفة ، يؤكد على حقيقة المسألة الاساسية في الفلسفة وحلها الذي قدمته الفلسفة الماركسية وهي حقيقة اسبقية المادة على الوعي ، اي ان محتوى ومضمون الوعي يتحدد بالواقع المادي الذي نعكسه .

ان تعريف لينين للمعرفة يوصلنا الى الاستنتاج بأن عملية المعرفة تتضمن ما يلي :-

١) موضوعات المعرفة ، وهي ما يحيط بنا ، وكل ما يوجد موضوعيا ، اي خارج وعينا، كل العالم المادي الخارجي ، عملياته ، حركته ، تغيره على الدوام ، علاقاته وارتباطاته . هذا الواقع الممتد حولنا بلا حدود ، يثير فينا الاحساس، ويؤثر على اعضاء حواسنا وينعكس في وعينا

٢) المعارف التي نظهر لدينا كانعكاس حي ، فعال ، واع للواقع الموضوعي، انعكاس لمواضع

Digitized by Birzeit University Library

المعرفة . وانعكاس لخصائص هذه الموضوعات بواسطة الانعكاس الحسي والمعرفة المنطقية بالاستناد الى الممارسة ، الحركة اللامحدودة للفكر في الانتقال من الجهل الى المعرفة .

٣) النشاط والممارسة الانسانية ، محاولات الاقتراب اللانهائية من مواضع المعرفة والمسلطة نحوها فعاليات وانشطة الانسان الفكرية والعملية ، باعتبار هذه الممارسة هي اساس عملية المعرفة ومقياسها .

ثانيا : المعرفة انعكاس للواقع الموضوعي :

ان الوقوف على منشأ الوعي يفترض تتبع الانعكاس السلبي غير الحي ، قبل وفي سياق عملية الانتقال من المادة غير الحية الى المادة الحية ، وصولا الى مرحلة الانعكاس الايجابي بدءا من الاشكال الجنينية للاحساس الى الانعكاس الانتقائي ، الحي والفعال الذي تطورت بفضله لدى الانسان القدرة على التفكير .

ان الاجسام غير الحية يلازمها الانعكاس السلبي ، وعدم التمييز بين عوامل البيئة وعدم القدرة على حماية نفسها ، فلو اخذنا مثلا جسما ما ، ولنقل مرآة ، وقمنا بتسليط اشعة ضوئية على صفحتها ، فان ما ينعكس عنها سيكون متماثلا مع ما تم تسليطه عليها ، اى ان ردود فعل المرآة قد حددته كلية العوامل الخارجية .

ولكن الكائنات الحية لا ترد سلبيا على التحريضات والمؤثرات المسلّطة عليها ، بل تردّ ايجابيا ، وتستجيب باجوبة متباينة على محرضات نفس النوع ، اى ليست العلاقات التبادلية بين الكائنات الحية والواقع المحيط ، علاقات ميكانيكية ، ولا فيزيائية او كيميائية . انما علاقات اوصتها العلوم البيولوجية وقوانينها .

فالكائن الحي يتكيف مع الوسط البيئي المحيط به ، لانه يملك خاصة قابلية الاثارة والرد على التحريض الخارجي ، وقابلية الاثارة هذه ، هي اول عناصر الاحساس ، او الشكل الجنيني للحساسية .

ولقد نمت قابلية التأثير وتطورت تبعا لنمو وتطور الاجهزة العضوية للكائنات الحية ، اى ان شكلا اعلى وارقى من الانعكاس كان يظهر مع ظهور اشكال ارقى من الاجهزة العضوية لدى الكائنات الحية .

ولقد اوضحت علوم البيولوجيا والعلوم المتخصصة بفسيولوجيا النشاط العصبي ، بأن ردود فعل الكائنات الحية وقابليه الاثارة لديها ، لا تحددها فقط العوامل الخارجية والواقع البيئي المحيط وحسب بل والحالة الداخلية للكائن الحي ، لان الاستجابة على مؤثرات الواقع المحيط المتخصصة ، تتمايز مع تمايز الكائنات الحية في مسيرة تطورها وارتقائها .

ان ما يميز الكائنات الحية من غير الحية ، هو ملازمة عملية الايض للبروتين الحي ، والايض ، هو عملية التمثيل والهدم ، التمثيل ويشمل امتصاص الغذاء من الوسط البيئي وتحويله الى خلايا حية وانسجة في الجسم ، وأما الهدم فيشمل تحلل وتحطم الخلايا والانسجة .

ان ظهور ابسط الكائنات الحية ، وعن طريق تمثيلها للمواد الغذائية ، وعمليات الهدم ، كانت الخطوة الاولى نحو تطور خاصية

Digitized by Birzeit University Library

الانعكاس الملازمة للمادة في نشوء وتكوين الوعي ، فمع مرور السنين تحول انعكاس الواقع السلبي لدى الكائنات غير الحية الى انعكاس جديد من الناحية الكيفية ، تحول الى انعكاس بيولوجي ، المتمثل بتكيف وتأقلم الكائنات الحية مع الوسط المحيط حولها ، اى لامتلاك الكائنات الحية ، خاصية قابلية التأثر ، لانعكاس الواقع الايجابي .

ونستطيع ملاحظة قابلية الاثارة والاستجابة لدى جميع الكائنات الحية ، فالنباتات مثلا ، وخاصة نبات الزينة الموجود في غرف البيوت المضاءة من نافذة واحدة ، فبملاحظته ، سنجد بأن سيقانه قد اتجهت نحو الضوء ، وقد ترتبت اوراقه بطريقة تسمح بامتصاص الحد الاقصى من الضوء لانه مصدر حياتها .

كذلك فان كثيرا من انواع الفطريات الموجودة بكثرة في الطبيعة ، ولكنها غير نشطة ، وفي الغالب لا تستطيع ملاحظتها ، ولكن عندما تتوفر لها الظروف المناسبة من الرطوبة ،والحرارة ، والتغذية ، فانها سرعان ما تنشط وتتكاثر وتظهر للملاحظة ، ان هذا مؤشر علمي واضح ، على قدرة وخاصة الكائنات الحية على التكيف مع الوسط البيئي المحيط بها وخاصية الاستجابة للمثيرات المسلطة عليها من واقعها المحيط بهـــا .

ان استجابة الاميبا للطعام ، دلالة اخرى ومميزة ، فالاميبا ،من الكائنات وحيدة الخلية التي تستجيب لمؤثرات الغذاء ، وفي حالة ابتلاعها للطعام ، فانها لا تستجيب لمؤثر الطعام اذا اكتفت ، وهذا يشير ويؤكد على حقيقة ان الكائنات الحية في مسيرة تطورها ، لم تعد قابلياتها للتأثير عشوائية ، بل اتخذت طابعا انتقائيا ، اى الاستجابة للمفيد وترك الضار وان بطريقة بدائية غير متطورة كما هو الحال لدى الكائنات الحية الراقية ، لان الكائن الحي البسيط لا يملك الاجهزة المتخصصة في استقبال المؤثرات الخارجية ، فهو يستجيب بكليته لهذه المؤثرات بشكل يؤمن بقـــاءه .

ان تاريخ تطور الكائنات الحية ، والبيولوجيا الحديثة يؤكدان على انه بفضل عمليات الوراثة ، قد استطاعت الكائنات الحية ،تكديس تراكمات تجاربها الماضية ، مما مكّن الاجيال اللاحقة من تطوير اساليب ومهارات جديدة ، في ردود فعلها على ما تتعرض له من الواقع المحيط حولها . كذلك فانه بفضل الانتقاء الطبيعي عبر مئات الملايين من السنين قد ظهرت اعضاء جديدة ، ووظائف لهذه الاعضاء ، بتأثير وبفعل شروط الحياة المادية الخارجية .

وفي مرحلة اعلى بظهور النخاع الشوكي والدماغ ، اصبحت تتلقى المؤثرات الخارجية خلايا متخصصة ، تشكل مختلف الحواس ، وهذه الاعضاء الحسية تتخصص فقط في (التقاط) والاستجابة لشكل معين من التأثير الخارجي ، فاعضاء البصر تقوم برد ود الفعل على النور ، وهناك اعضاء اخرى تتلقى الانطباعات اللمسية ،وهذان العضوان شكلا الاحساسات البصرية والحسية مثلما شكلت الاعضاء الاخرى كالاذن والانف ، الاحساسات السمعية والشمية .

وبذلك ارتقت الكائنات الحية الاكثر ارتقاء وتطورا من مجرد قابلية الاثارة ، اول عناصر الاحساس الى الاحساس ومع الاحساس الى الوعي والمعرفـــة .

Digitized by Birzeit University Library

ان العلوم الحديثة التي بينت فسيولوجية اعضاء الحواس وخصائصها التشريحية قد اكدت بما لا يدع مجالا لاى اجتهاد كان، الدور والتأثير الحاسم للموضوعات الخارجية دور الوسط الخارجي، الواقع الموضوعي، كمصدر للاحساسات، وشرط هام وحاسم لتطور ونمو الحـــواس .

وعلى سبيل المثال، فان العين ترى ما هو موجود خارجها، كذلك فان الاحساسات السمعية، تنجم من تأثير الموجات الصوتية على عضو السمع، وهكذا فان مصدر الاحساسات هو الواقع المادى والاشياء والظواهر المكونة لـــه .

ان الاحساسات هي اساس جميع ظواهر الوعي، ولا يمكن ان يوجد الوعي بدون تلك الاحساسات. وبها فقط يتطور وينمو الوعي ويكتسب محتواه، فمن المعروف انه اذا ولد انسان اعمى واطرش واخرس في وقت واحد، فان حياته ومسالكه تقتصرعلى القيام بالوظائف الفسيولوجية. ويكاد يكون وعيه معدوما، وكلما نجح العلم، او الاطباء في علاج بعض حواسه المفصودة، فان وعيه يتحسن .

ان الاجسام المادية تملك خصائص متنوعة مثل الشكل واللون والرائحة والطراوة وغير ذلك، حيث تقوم اعضاء الحي بنقلها الى الدماغ حيث يتشكل في الدماغ الادراك الكامل للاشياء، اى ان الحواس تقوم بعكس الواقع في دماغنا ، وما يؤكد ذلك ان الحواس لو كانت تعكس الواقع بطريقة غير دقيقة، وخاطئة، اذن لما كان بمقدور الكائنات الحية التكيف والتأقلم مع وسطها البيئي. ولما كان هناك اى امكانية للحديث عن الانتقاء او الاصطفاء الطبيعي .

وبالنتيجة فان كل معارفنا تتكون من صور وموضوعات ظواهر العالم الخارجي الموجود حولنا، والذى هو المصدر الوحيد لاحساساتنا وافكارنا ووعينا . والمعرفة تكون اكثر بروزا ووضوحا بقدر ما يكون تأثيرها على وعينا اكثر قوة، لان الاشياء والموضوعات التي نراها ، والتي تستدعي بواسطة الحواس تكوين فكرة مطابقة عنها في الدماغ ، فانها توجد قبل ان تظهر عنها الفكرة في عقولنا .

ان موضوعات العالم منها ما يدرك مباشرة ،ومنها ما يتم ادراكه بطريقة غير مباشرة. بواسطة نشاطنا الموجه نحو هذه الموضوعات . فالتفكير يوفر لنا الامكانية لدراسة الظواهر المدركة مباشرة. بواسطة نشاطنا الذى نمارسه على الظواهر ، والمعرفة المنطقية ، تساعدنا على ادراك تلك الموضوعات التي لا نستطيع ملاحظتها مباشرة كقوانين حركة المادة مثلا او قانون فائض القيمـــة .

ولهذا فانه لا تستطيع اية نظرية مهما كانت ، محاججة النظرية الماركسية في المعرفة بسبب استنادها على الحل المادى للمسألة الاساسية الكبرى في الفلسفة، فعندما تعرف الماركسية اللينينية المعرفة بانها انعكاس ذاتي لواقع موضوعي، فهي تأخذ حل المسألة الاساسية في الفلسفة بالاعتبار، لان المادة سابقة، وهي التي تنتج الاحساس بتأثرها وبفعلها في حواسنا، وهنا تحديدا تنحصر موضوعية الاحساس. ومن جانب آخر لكون الاحساس تابع للجهاز العصبي، فهنا تنحصر ذاتية الاحساس .

نستخلص من ذلك بان الاحساس موضوعي بمحتواه ولكنه ذاتي بشكله، اذ لكون الاحساس انعكاسا حيا وفاعلا ويحوى ر دود الفعل على

Digitized by Birzeit University Library

الواقع الموضوعي، فهو،اى الاحساس،ينتقل عمليا من الانعكاس الى المنعكس، من الاحساس الى المعرفة .

ولكن تـفهم نظرية الانعكاس التي صاغها بافلون، واضع الاسس العلمية للنظرية الماركسية في المعرفة سنلخصها فيما يلي :-

عندما يطلق احد ما حولنا رصاصة، فانها تحدث ذبذبات هوائية، وموجات صوتية، موجات من الضغط والانكسار في الهواء ، فتصل موجات الصوت الى الاذن وتمر اسفل القناة السمعية لتصل الى طبلة الاذن، فتؤدى موجات الصوت الى ذبذبة طبلة الاذن، ثم تقوم بنقل هذه الذبذبات بواسطة اجزاء ومكونات الاذن الداخلية حتى تتحول الى ومضات عصبية تسرى عبر الجزء الفوقي من العصب السمعي الى المخ الى المنطقة السمعية التي تقوم بتفسير الصوت وتحليله وفهمه، وهناك مراكز عصبية في الدماغ تقوم بادراك الاصوات وتصنيفها من حيث نوع الصوت ومصدره وطبيعته عالٍ ام منخفض، ومعناه ، مستعينة بالمراكز المتخصصة بتذكر الاصوات .

وفي هذه الحالة فان صوت الرصاص هو الظاهرة المنعكسة، واعضاء الحواس هو الظاهرة او العوامل العاكسة، والاحساسات السمعية هي الانعكاس. فلو لم توجد الظاهرة المنعكسة لما وجدت ظاهرة الانعكاس. وبارتقاء الاحساس من التأمل الحي الى الادراك وصولا الى عملية التفكير والتجريد ، نجد الانعكاس مصحوبا بفهم ومعرفة ما يحدث في العالم الخارجي، اى وصل الانعكاس الى ارقى اشكاله، الى الوعي والمعرفة الهادفة .

الممارسة والتطبيق الاجتماعي كأساس للمعرفة ومقياس للحقيقة

ما هي الممارسة العملية وما المقصود بالتطبيق ؟

ان النظرية الماركسية في المعرفة تعني بالممارسة العملية والتطبيق الاجتماعي، النشاط الكلي المتعدد الجوانب والاشكال للانسانية، الهادف الى تحويل الطبيعة والمجتمع ، اى العمل المتبادل بين الانسان والطبيعة والانسان والمجتمع .

وليس هناك حاجة للتذكير بأن الانسانية قد بدأت مع العمل المنتج، وعدم الاكتفاء بما تقدمه الطبيعة فقط من اشياء ، ولكي يحيا الانسان ويعيش الناس، ويجب ان ينتجوا الخيرات المادية، وان ينتجوا اساس حياتهم واساس وجودهم ، من مأكل وملبس ومسكن وغيرها. واثناء فعل الناس في الطبيعة من اجل انتاج الخيرات المادية، يقيمون فيما بينهم صلات وعلاقات وفعاليات متبادلة ،لانهم لا ينتجون الخيرات المادية الا مجتمعين، فتنشأ في سياق عملية الانتاج علاقات اجتماعية، ولهذا كانت الصلات والعلاقات الانسانية هي اساس المجتمع .

فالممارسة هنا، ان فعل الانسان، لم يقتصر على تبادل العلاقة مع الطبيعة بل ومع المجتمع، انها نشاط الناس التاريخي والاجتماعي كله، فهي ليست نشاط افراد معدودين، بل نشاط جماعات كبيرة من الناس في عملية الانتاج، والصراع الطبقي والسياسي

Digitized by Birzeit University Library

،والتجارب العلمية، والوقاية الصحية، والنشاط الثورى للشعـوب .

كما ان النظرية الماركسية في المعرفة لا تنظر ولا تعني بالممارسة العملية على انها مجرد تجربة مخبرى، او ملاحظة تجريبية، مثلما ينظر الماديون الميتافيزيقيون وانما هي العمل الهادف الموجه من اجل تغيير الواقع وتحويله وتطوير وتعديل الحياة الاجتماعية .

ان الممارسةوالتطبيق، هي العامل الحاسم والموجه في عملية المعرفة العملية ، ويمكن توضيح ذلك بامثلة عديدة في حياة كل منا ، ولقد ظهرت المعرفة على اساس الممارسة ، فان النظرات العلمية للمستقبل الشيوعي، قد صيغت من قبل كارل ماركس وفريدريك انجلس ، كنتيجة للتحليل الموضوعي العميق لناريخ تطور المجتمع ، والموقف الانتقادى العلمي لجميع الخبرات المعرفية السابقة لهما وبالاستناد الى التجربة الهائلة المتراكمة بواسطة فعاليات الحركة الثورية العالمية .

ان النظريات العلمية والثورية الهادفة الى تحويل الطبيعة وتحويل الحياة الاجتماعية ،تستند الى التعميم العلمي لممارسة الناس ونشاطهم الفعال وانعكاس هذا النشاط في وعي الانسان ، وهذا الوعي يتغير ويتبدل وفقا وتبعا للتغيرات والتبدلات الجارية في الواقع ، وكلما ارتفت قدرة الانسان على تغيير الواقع ، ارتفت معارفه وارتفت ذاته .

ان الممارسةليست للمعرفة فقط، بل والممارسة هدف للمعرفة ايضا، لاننا حين نبذل الجهد من اجل المعرفة، من اجل اكتشاف قوانين تطور العالم، فاننا نسعى لذلك بهدف الممارسة، بهدف تغيير العالم وتحييره لخدمة سعادة الانسان، ولاستخدام نتائج المعرفة في نشاط الانسان اليومي الفعال والمعرفة كمظهر للنشاط الانساني، لنشاطهم المنطقي والنظرى، عاجزة لوحدها على تغيير العالم وتعديله وتحويله لمصلحة الانسان، فهيتعكس الواقع الموجود، تعميم تجربة الناس، وستبقى بلا قيمة، وبلا معنى

دون ان تمارس، والممارسة وحدها لا تكفي هي الاخرى . فهي عمياء، تلقائية وعفوية، وهنا يتجلى دور النظرية كمرشد ودليل للممارسة، اى تتجلى وحدة النظرية والممارسة في العمل والنشاط الانسانـــي .

ان الوحدة بين النظرية والتطبيق هي احد المبادئ المنهاجيةالهامة في النظرية الماركسية اللينينية، هذه الوحدة تنبع من كون الممارسة مصدرالمعرفة ومحركها ووسيلتها . بالاضافة الى كون الممارسة محك ومعيار للمعرفة وغاية لهـــا .

فعلى خلاف الاتجاهات العقلية التي تميل الى فحص وقياس المعرفة باستخدام البرهان المنطقي، اى برهنة الاحكام النظرية باحكام نظرية اخرى ، فان نظرية الماركسية في المعرفة ترى انه لطالما كانت المعارف انعكاسا للواقع الموضوعي الذى تعكسه، بواسطة التطبيق الاجتماعي، فبواسطة الممارسة، نتحقق ونتثبت من صحة معارفنا، وتقوى ارتباطاتنا بالعالم المحيط .

ان الفرضيات النظرية لا تحور ضدها بواسطة نظريات مقابلة، ولكن بواسطة نشاط الانسان الاجتماعي العملي، كذلك فان مزاعم البرجماتية المحدثة، بان الحقيقة فقط هي ما يخدم الذات وما هو نافع للانسان، ما هي الا مزاعم لرفض المقياس الموضوعي للحقيقة، الذى تطرحه النظرية الماركسية في المعرفة،

Digitized by Birzeit University Library

ولقد تصدى لينين لتبيان هشاشة حجج المثاليين الذاتيين القائلين، بان الحقيقة فقط هي تلك الانظمة التي تقودنا الى النتائج المرغوبة فيقول: " المعرفة لايمكن ان تكون نافعة بيولوجيا، نافعة للانسان في الممارسة العملية، في حفظ الحياة في حفظ النوع، الا اذا عكست الواقع الموضوعي المستقل عن الانسان "(١٠).

فبمقدار ما تعكس المعارف الواقع الموضوعي بمقدار ما تسهم في ارشاد الانسان على الطرق والوسائل المأمونة لتحقيق الاهداف والغايات التي يصوغها لنفسه في الممارسة العملية.

ويجب ان نتذكر بأن فهم النظرية الماركسية في المعرفة عن دور التطبيق كمقياس للمعرفة ومعيار للحقيقة يجب ان لا يعني ان كل فرضية وكل نظرية علمية يجب التدقيق فيها وتجريبها بالممارسة، فبهذه الحالة يصبح العلم بلا قيمة وتصبح تعميمات الاجيال السابقة العلمية التي ثبتت صحتها بالتطبيق ليست ذات معنى على ضوء هذا الفهم السطحي.

يجب ان نتذكر بان الممارسة تصحح وتوسع مداركنا، بمعنى ان الممارسة والتطبيق يعنيان ان نأخذ بالاعتبار، عنصر النسبية في معارفنا، وادراكاتنا، وذلك لان فعالياتنا، وانشطتنا المعرفية، لا يمكن ان تستوعب وتشمل الواقع الموضوعي كليا، خاصة وان المعرفة لا تتوقف فقط على الواقع الموضوعي المنعكس بل وايضا على ذاتية الانسان، جهازه العصبي، خبرته و نضجه، قدرته على رد الفعل. ومعروف بان معرفة الانسان ليست خطا مستقيما بل متعرجا، وفي محاولاتنا المعرفية الاقتراب اللانهائي من الموضوع المراد معرفته، تتكامل وتتضح معارفنا التي يمكن التثبت من صحتها بالممارسة.

ان هدف ومعنى اى علم وعلى الخصوص العلوم الاجتماعية، هو خدمة الانسان وتسهيل حياته، باستخدام المعارف المتوفرة، للسيطرة على قوى الطبيعة، وقوى المجتمع. وتسخيرها لخدمة الانسان، ومن اجل اعادة بناء العالم. ولهذا السبب يجب ان ترد جميع معارفنا الى التطبيق، ليس فقط من اجل التحقق من حقيقتها وصحتها، بل ان ترد الى التطبيق والممارسة الاجتماعية، من اجل انارة فعاليات وعمليات اعادة بناء العالم، في جميع ميادين واوجه حياتهم.

ان تجربة وتاريخ نشاط المعرفة الانسانية، توضح لنا ان عمليات المعرفة تتكون من طورين، الحسي والمنطقي، وسوف نتعرف على هذين الطورين حاملين في عقلنا، الدور الهام للممارسة، كمصدر للمعرفة، وهدف لها ومقياس لصحتها.

هوامش:

١) النظرية الماركسية اللينينية. المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية / مجموعة من المؤلفين السوفيات / ٢٠١.

٢) أ.ب. شيبتولين / النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة ص ٧١ ــ ٧٢.

Digitized by Birzeit University Library

٣) موجز تاريخ الفلسفة ـ تأليف جماعة من الاساتذة السوفيات ـ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .
٤) نفس المصدر ص ٣٩٧ .
٥) المصدر السابق ، ص ٢٥١ .
٦) اناسييف ـ اسس المعارف الفلسفية ـ ص ١٦٧ .
٧) موجز تاريخ الفلسفة ـ تأليف جماعة من الاساتذة السوفيات ـ ص ٢٤٦ .
٨) روجيه غارودى ـ النظرية المادية في المعرفة ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
٩) نفس المصدر ص ٠(٢٤٨)٠
١٠) المصدر السابق ص ـ ٣٦٠ .

Digitized by Birzeit University Library

تركيا..
تحت سيطرة طغمة الجنرالات

تحتل تركيا دورا مهما في حسابات الدوائر الامبريالية وخططها، اذ ان موقعها الجغرافي المحاذي للاتحاد السوفييتي والدول العربية يؤهلها لاحتلال موقع هام لدى الادارة الامريكية وحلفائها في حلف شمال الاطلسي، ورغم النضالات المستمرة، والتضحيات الكبيرة التي تدفعها الحركات والقوى الوطنية التركية للتخلص من التبعية، الا ان المصالح الضيقة للفئات البرجوازية المرتبطة بالادارة الامريكية، والتي احتلت عبر سنوات طويلة من الحكم غير الديموقراطي في تركيا مكانة هامة في المؤسسة العسكرية والاقتصادية تعمل باستمرار على شد تركيا الى الوراء، واحباط كافة النضالات الرامية الى تعزيز الديموقراطية وانهاء كافة اسباب التخلف المعيشي والديموقراطي.

وتلقي هذه الدراسة الضوء على الوضع الراهن في تركيا، ومختلف اوجه العسف والاضطهاد الذي يواجهه الشعب التركي، وقواه الوطنية، والدراسة صدرت في كراس عن لجان الدفاع عن الحريات الديموقراطية ـ انقره تركيا ـ.

تعتبر تركيا دولة اوروبية، مع ان ٣٪ فقط من مساحتها يقع في اوروبا، فمن اصل ٤٥٢ر٧٧٩/كم٢، هناك ٧٧٥،٧٠٦ /كم٢ في آسيا، و/٧٤٦، ٢٣٠/ كم ٢ في شبه جزيرة البلقان الاوروبية وتركيا كدولة اوروبية، تشارك في منظمات اوروبية دولية مختلفة، فهي عضو في الاتحاد الاوروبي، وفي المجموعة البرلمانية، وهي عضو مراقب في السوق الاوروبية المشتركة، وقد تصبح مقبولة بكامل العضوية في هذه السوق. وتركيا عضو في شمال الاطلسي العسكري السياسي (الناتو) مع انها بعيدة عن الاطلسي. ولكي تقبل في

Digitized by Birzeit University Library

حلف الناتو، فقد اجرى اعضاء الحلف تعديلات في نصوص اتفاقية الحلف، حيث سمحوا ان تدخل في دائرتهم، اوروبا وامريكا الشمالية، وكذلك منطقة تركيا التي تقع ٩٧٪ من مساحتها في آسيـــا .

ان الاهمية الكبرى لبحث تركيا عن اتحاد او شريك للغرب، تعود الى وضعها الجغرافي والسياسي الذي يخلق اهمية استثنائية ـ عسكرية ـ استراتيجية . فهي تملك حدودا برية مع الاتحاد السوفياتي، تبلغ ـ ٦١٠ كم، ومع بلغاريا ٢٦٩ كم، وحدودا بحرية معهما، وتجاور بشكل مباشر، منطقة الشرق الاوسط، ويقع في اقليمها البوسفور والدردنيل.

ويبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠ مليون نسمة. ولها جيش كبير العدد، وفيها مناطق واسعة اعدت لتكون قاعدة عسكرية، وركيزة ضد الاتحاد السوفياتي، وضد دول البلقان الاشتراكية والشرق العربي والخليج الفارسي. وتعتبر تركيا حليفا قيما للولايات المتحدة وحلف الناتو، وهذا ما يفسر اغلاق اعين حلف شمال الاطلسي عن تجاوزات النظام التركي ضداالديموقراطية، وحقوق الانسان ومشاكل الاقليات القومية، وكذلك ضدالشعب التركي نفســه .

الدول الاعضاء في حلف الاطلسي يقولون ان الناتو "حلف الدول الديموقراطية"، ولكن يشارك في هذا الحلف دولة كتركيا، بنظامها المكشوف المعادى للديموقراطية. حلفاء الاطلسي يقولون :انهم يمثلون الدفاع عن حقوق الانسان والمواطنين، ولكن سجون حليفتهم تركيا ممتلئة بالسجناء السياسيين. والقوانين العسكرية غير الشرعية تطلق، بشكل مستمر الاحكام بالموت على السياسيين المعادين للنظام .

حلفاء الاطلسي يقولون : انهم يدافعون عن حقوق الاقليات القومية، والشعوب، ولكن حليفتهم تركيا تضطهد الشعب الكردى. والكثير من الاقليات القومية محروم من الحد الادنى لحقوق الانسان او الحقوق القومية.

نعم، في تركيا، العضو في حلف شمال الاطلسي، والعضو الزميل في السوق الاوروبية المشتركة، والعضو في المجلس الاوروبي، او مجموعته البرلمانية، يقتل الانسان بمحاكمات او دون محاكمات، ويشنق بسبب ارائه السياسية وقناعاته ،وانتمائه لقومية اخرى .

الولايات المتحدة قائد حلف الناتو، تفضل ان تكون تركيا ذات نظام عسكرى دكتاتورى، على رأسه طغمة عسكرية، بدلا من ان تكون ذات نظام ديموقراطي. يفضلون نظاما عسكريا ينهج سياسة تتوافق ومتطلبات واشنطن وحلفاء الاطلسي، وتدعم استراتيجيتهم العسكرية. وفي وقت ما، دعموا النظام الرجعي للحزب الديموقراطي (بايا مندريس) الذى سقط بالانقلاب العسكرى في ٢٧/٥/ ١٩٦٠. ذلك الانقلاب الذى قام بالجزء الاكبر منه ضباط وطنيون يريدون اصلاحات ديموقراطية وتقدمية، واصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، وسياسة خارجية اكثر استقلالية، تمثل مصالح البلد الوطنية. فقد وضع بعد الانقلاب الدستور الاكثر ديموقراطية بالنسبة لتاريخ تركيا، الدستورالذى ضمن لاول مرة حق التمثيل البرلماني، وحق حزب الطبقة العاملة، وغيره من الاحزاب السياسية والمنظمات الديموقراطية بالعمل. وكذلك ضمن الحق الديموقراطي والحريات للمواطنين وللصحافة . لكن بعد

Digitized by Birzeit University Library

عدة سنوات الغيت هذه الحقوق ولم يحقق الانقلاب اهدافه. ويرجع التطور الديموقراطي للبلاد الى الوراء في ١٩٧١/٣/١٢ بعد التدخل العسكري الجديد . هذه المرة، قام الجنرالات المقربون للولايات المتحدة الامريكية، والقوات المسلحة والبوليس، وبدعم من القوى اليمينية الفاشية، كعصابات (الذئاب الرمادية) وحزب حركة تحرير تركيا ،قاموا بعمليات ارهابية على مستوى واسع ضد الحركة العمالية، وضد غيرها من الحركات الوطنية اليسارية، وضد القوى الديموقراطية والتقدمية والقومية الكردية .

وفي عام ١٩٧٧ لوحظ في تركيا اكثر من اول ايار دموي في تاريخ البشرية، في عيد العمال، والتضامن العمالي. في ساحة استنبول (تاكسيم)، قامت قوى ارهابية مرتبطة بالمخابرات المركزية الامريكية، وبدعم من البوليس، بفتح النار على العمال المحتفلين، فقتل منهم ٣٨، وجرح اكثر من ١٠٠ من قيادة اتحادنقابات العمال اليسارية ـ DISK ـ التي نظمت مسيرة اول ايار العمالية. واتهمت علنا الفرق الارهابية الفاشية الجديدة المؤتمرة بأمر المخابراتالمركزية الامريكية، بتدبير هذا الهجوم الدموي، وقد اعلن هذا الاتهام واحد من قياديي اتحاد نقابات العمل اليسارية:كميل ثيوركملد الذي اغتيل هو وعدد من قادة الاتحاد فيما بعد، ولم يلق القبض على القاتلين .

في عام ١٩٧٨ لوحق اللحاموں في مدينة (كهرمان مراش)، وخلال يومين قتل اكثر من ١٠٠ شخص. واصبح ضحايا الارهاب تحت رحمة العصابات الارهابية اليمينية التي تعمل فيها بشكل فعال عملاء المخابرات المركزية الامريكية، واصبحت تركيا على حافة الحرب الاهلية، وصارالمستهدفون مضطرين للدفاع عن النفس امام كل ذلك. وحسب احصاءات رسمية خلال السنتين الاخيرتين، حتى انقلاب ١٩٨٠/٩/١٢ ، كان قد قتل ٥٢٤١ شخصا، وكان عدد الجرحى ١٤١٥٢ شخصـــا .

لقد قام الانقلاب العسكري في ١٢ /٩/ ١٩٨٠ ،بهدف انقاذ البلاد من هيمنة الارهاب. ولكن الذين قاموا بالانقلاب، يتحملون مسؤولية كبيرة تجاه ما وقع من اعمال ارهابية. فقدنودوا الان (كمنقذين للوطن من الارهاب) ولكن الحقيقة بعيدة جدا عن التصريحات الرسمية .

لمـاذا تم انقلاب ١٢ ايلول ، مـن يقـف وراء الانقـــــلاب ؟

١) عدم قدرة حكومة (بولنت اجاويد) (وسليمان ديمريل) على التغلب على الارهاب والمأزق الذي وصلت اليه البلاد،

٢) تزايد قوة تأثير القوى الديموقراطية، والتقدمية واليسارية .

٣) نضوج المشكلة الكردية، نتيجة قوة حركة التحرير الكردية .

٤) خطر قيام انقلاب عسكري يقوم به الضباط الوطنيون، كما حصل في انقلاب ٢٧ ايار ١٩٦٠، وبضغ تركيا على طريق الديموقراطية الفعلية، والتطور الاجتماعي والثقافي والاستقلال .

٥) التوهم بأن حكومة اجاويد وحزبه حزب الشعب الجمهوري يطمحان الى اصلاحات في السياسة الخارجية، وتحسين العلاقات

Digitized by Birzeit University Library

مع الاتحاد السوفييتي ، والبلدان العربية ، وبقية جيران تركيا .

٦) التوهم بأن احاويد ومبلد بحواصلاحات في الاناضول الشرقي لصالح السكان الاكراد يمكن ان يؤدي الى نتائج ما .

٧) الخوف من انقلاب عسكري يمكن ان تقوم به مجموعة بيوركس ،واقامة نظام فاشي مقنوع. وهذا امر لا تقبل به دول اوروبا الغربية المشاركة في الناتو .

بعض هذه الاسباب قيل بشكل علني. وبعضها الاخر ازيح النقاب عنه في كتاب صدر عام ١٩٤٨ للصحافي التركي محمد علي بيراند (١٢ ايلول الساعة ٤). ما هي المقاييس التي احدها الارهاب ، ويمكن رؤيتها على حقيقتها ؟ فخلال بعض الاشهر بين ١٩٧٩ — ١٩٨٠ ، كان يقع عشرون شخصا ، يوميا ، قتلى .

وفي حرب الابادة المتبادلة بين اليمينيين واليساريين. كان اليمينيون يقتلون اليساريين والديموقراطيين والمثقفين ، وكذلك اتباع الحزب الجمهوري الشعبي لاجاويد ، ويتهمونهم بالشيوعية .

كان أغلب ضحايا الارهاب ، من اليساريين ،ولكن قيادة الجيش والبوليس وقفت ضدهم وشنت حملة اعتقال واسعة بين صفوفهم فقد كانت ،عملية ، حليفة لليمينيين .

لقد عصف الارهاب في المدن والمناطق الريفية ، وخاصة في الاناضول الشرقي المأهول بالسكان الاكراد الذين يقدر عددهم بحوالي ١٢ مليون شخص ، ولا يربطهم شيء بالقومية التركية ، واضافة الى ذلك فانهم يعيشون على حدود تركيا ، ويعتنقون الدين الاسلامي.

والاكراد هم قومية مستقلة ، يتكلمون بلغتهم القومية التي ليس لها علاقة باللغة التركية. وقد انتزعت منهم حقوقهم الانسانية الاولية ، فليس لهم الحق بالكتابة بلغتهم ، والتحدث فيها ، ومحرومون من المعاهد الثقافية ، ومن اقامة منظمات خاصة ، وجرائد ، وكتب .

ان عشرات الانتفاضات الكردية في تركيا قامت من اجل الحقوق القومية ، والاستقلال في دولة كردية مستقلة ، ولكن هذه الانتفاضات اخمدت بقسوة من قبل الجيش التركي .

والاكراد في تركيا غير معترف بهم كأمة منفصلة ولا كأقلية قومية ، ورسميا يدعون بالاتراك. ولا تنشر السلطات التركية احصاءات رسمية عن عدد السكان الاكراد ، لكن الجيش وعبر وسائله الخاصة يستدعي الشباب الاكراد للخدمة العسكرية حتى ولو كانوا من اصل كردي.

حسب الاحصاءات العسكرية المعلوماتية ، والتي تأتي من كل قسم للتجنيد في المناطق ،ذكر في مذكرات محمد علي بيراند انه لا يقل عن ٢٠٪ من سكان كل مجتمع في تركيا هم من الاكراد ونصفهم مجبر على الخدمة العسكرية. وهذه الاحصائيات عملية مخفضة حيث ان سكان تركيا ٥٠ مليونا ، وعلى هذا ، فالاكراد هم ١٠ ملايين .

قبل انقلاب ١٢ سبتمبر ١٩٨٠ قام رئيس الاركان العامة للجيش الجنرال (ايفرين) بجولات في المناطق الحدودية ، وعلى المناطق الكردية في الاناضول ، وقال لقادة الفرق العسكرية: " رأس الافعى يجب ان تسحق طالما ان الافعى ما زالت صغيرة". وشكا الضباط لرئيس الاركان العامة وبقية الضباط الكبار، بأن السكان الاكراد ينظرون اليهم كمحتلين . ويتكلمون في الاماكن العامة باللغة الكردية.

Digitized by Birzeit University Library

وعلى الجدران تقرأ شعارات (الحرية للاكراد) و(كردستان حر). ويشكون كذلك بأن القوة التي زودوا بها غير كافية لمواجهة الحركة الكردية التي تزداد نموا، وتشكل خطرا قد يمتد الى سنتين او ثلاث سنوات اذا لم تؤخذ اجراءات صارمة ضدهم، وقد وصل الحال الى انتفاضة كردية جديدة.

لقد نشب خلاف حول المسألة الكردية، عدة مرات بين القوات المسلحة التركية بقيادة افرين وبولنت اجاويد رئيس الوزراء، لقد كان اجاويد ايضا ضد استقلال الاكراد ولكنه كان يقول: (ان المشكلة الكردية لا يمكن حلها بقوة السلاح والتعذيب، الحل برأي اجاويد يتماشى مع اجراءات البوليس ضد الارهاب والانفصال الكردي). وانه يجب عمل اصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية في المناطق الكردية. الجنرالات في الجيش والشرطة اتحدوا عمليا مع اليمينيين ضد الحركة الكردية. أجاويد وحزبه الشعبي الجمهوري كانا شريكي حزب (العدال لديميريل)، وكذلك حركة تيوركش القاشية الجديدة، والفصائل الارهابية (الذئاب الرمادية).

هؤلاء انهموا اتجاه اجاويد بانه يساعد على انفصال كردستان عن تركيا. وقويت المعارضة ضد اجاويد عندما اراد من رئيس الاركان ايفرين، رفع الاحكام العرفية المستخدمة للتنكيل بالقوى اليسارية والحركة الكردية، باعتبارهما خارجتين عن القانون وعن المبادئ الديموقراطية. اجاويد باعتباره رئيسا للوزراء، حاول وقف المخصصات المالية من الميزانية لهذه الاجراءات، باعتبارها مصاريف عسكرية مسماة (مهمات خاصة) تحت تصرف رئيس الاركان الذي يخدم الاهداف العسكرية الامريكية ويتعاون مباشرة معها. اجاويد كان ضد العمليات الارهابية (لفصائل الجندرمة الطيارة) (لتنظيف) منطقة شرق الاناضول المسكون بالاغلبية الكردية.

بعض الجنرالات، والدعاة من الحزب الوطني، وحزب الاستقلال لديميريل اطلقوا على اجاويد (خائن الوطن) واتهموه انه يريد تقسيم البلاد، وتحريض الحكومة على الجيش واتهم اجاويد بانه رخص عمل اتحاد النقابات ليسارى DUCK، وان بعض اعضاء البرلمان في حزب اجاويد، يتحدثون اللغة الكرديّة مع ناخبيهم.

لم تكن واشنطن تنظر لاجاويد بعين الرضى. فحسب تقرير لوكالة المخابرات المركزية الامريكية اعده المقيم الرئيسي السابق للوكالة في تركيا (بول هنتس) الذي اصبح فيما بعد (المستشار الرئيسي لبرجنسكي)، ان اجاويد (ليس معاديا للشيوعية بشكل صلب) وهذا هو نفسه الجنرال بول هنتس، مع كلير ستارلينغ، وعملاء آخرين في وكالة الاستخبارات الامريكية مع بعض الصحفيين فبركوا مسألة اتهام الاتحاد السوفييتي، وبلغاريا بمحاولة اغتيال البابا.

حسب رأي واشنطن فان اجاويد يريد الاشتراكية في تركيا، وتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفييتي، وبذلك سيخلق صعوبات امام سياسة الولايات المتحدة وحلف الناتو، اجاويد ضد رغبة الولايات المحتدة بنصب صواريخ بيرشنغ، وكروز في الاراضي التركية، ولم يعط موافقته لاستخدام القواعد العسكرية في تركيا (لقوات التدخل السريع الامريكية) قلق واشنطن وصل القمة، عندما اعلن

Digitized by Birzeit University Library

اجاويد امام مساعد سكرتير الدولة الامريكية كريستوفر، ان تركيا لا تشعر بالخطرض الاتحاد السوفييتي. وانه لا يمكن ان يسمح بطلعات تجسسية من الاراضي التركية بطائرات التجسس الامريكية(يو٢)، على الاتحاد السوفييتي. وقد اوضح بأن السوفييت حساسون من هذه المسألة، وذكّر بمحادثاته، حادث اسقاط الطائرة الامريكية في ايار ١٩٦٠، فوق الاتحاد السوفييتي، التي اقلعت من قاعدة اين جيرليكا في منطقة الاناضول والنتائج التي ترتبت عليها بدفع حدة التوتر الدولي، وقد طلب اجاويد من الولايات المتحدة ان تتفاهم مع الاتحاد السوفييتي حول هذا الموضوع.

مساعد سكرتير الدولة الامريكي اجاب بحدّة: (لماذا انتم تريدوننا ان نطلب من السوفييت حل هذه المسألة ؟ السنا حلفاءكم؟ واذا رفضتم طلبنا بالاحتفاظ بطائرات يو ٢ في تركيا ، فان مستوى العلاقات الامريكية التركية سوف يتغيّر ، ويجب ان تعلموا جيدا انكم لن تحصلوا على المساعدة الامريكية).

آراء اجاويد نوقشت في مجلس الامن القومي الامريكي . وخلال الاجتماع قال بريجنسكي عن اجاويد : (هذا الانسان لا يعرف ماذا يعمل. كيف يمكن ان تطلب حلا من عدوك ، مع هذا الانسان لا يمكن ان نتفاهم).

لقد طلبت الحكومة الامريكية، والقيادة العسكرية من قائد القوات التركية، ومن خلف ظهر الحكومة التركية، تقييم الوضع في تركيا، والبحث في امكانية انقاذ البلاد باعتبارها حلقة مهمة في سلسلة حلف الناتو... وذلك عندما وصل قائد الاركان الجنرال ايفرين الى بروكسل وقد قال قائد القوات الامريكية، وبريجنسكي ايضا ان الوضع في تركيا يمكن انقاذه، والانقاذ يتم على يد الجيش فقط.

في اجتماعات حلف الناتو في بروكسل خلال ايار ١٩٨٠، قال رئيس هيئة الاركان المشتركة للقوات الامريكية الجنرال جونس، للجنرال ايفرين :" نتابع باهتمام تطور الوضع في بلادكم. صعب جدا ان نفهم ماذا حصل". وقد سأل قائد القوات المسلحة للناتو في اوروبا ، الجنرال الامريكي روجرز، سأل نائب رئيس الاركان التركي، الجنرال سالتك: (ماذا يمكن ان يفعل الجيش التركي في مواجهة هذا الانحراف في بلدكم ؟).

بعد اجتماع الناتو في بروكسل، الذي عالج بمحادثاته السرية الوضع في تركيا دعا المجتمعون قيادة الجيش التركي للقيام بانقلاب عسكري، لان الامور لم تعدتُحتمل.

وطرح قائد القوات البحرية للجنوب الشرقي لحلف الناتو الاميرال شيد هذا الامر بوضوح على الضباط في زيارته للاكاديمية العسكرية في استانبول حيث قال : " انتم ماذا تفعلون ؟ ماذا تنوون ان تفعلوا ؟".

وفي تركيا طرح ايضا رئيس الوفد الامريكي لمحادثات جنيف دون خجل:" في الايام السابقة، عندما كانت الصعوبات اقلّ كان يمكن تنفيذ انقلاب عسكري، والان ماذا حصل ؟".

في عددها الصادر في حزيران ١٩٨٠ كتبت مجلة القوات المسلحة الامريكية: " وصل تطور الوضع في تركيا، الى نقطة لا يمكن رؤية مخرج آخر منها عدا تدخل القوات المسلحة التركية . الجيش التركي سوف يتدخل، ولا يمكن ان يصمت لوقت طويل على هذا الوضع"

ودخل مسؤول المهمات العسكرية الخاصة

Digitized by Birzeit University Library

الامريكي في تركيا بعلاقات وروابط مع قادة الجيش التركي. ووصل الى استنبول الممثل الرئيسي لوكالة الاستخبارات المركزية الامريكية السابق في تركيا الجنرال هينتس، فواشنطن تريد ان ينجز الانقلاب على ايدى القيادة العليا للجيش لانها تثق بها .

فكرة الانقلاب العسكرى عرضت سابقا على القيادة العليا للجيش التركيمن قبل الامريكيين عام ١٩٧٧ عندما كان ايفرين قائدا للقوات البرية، وعندما بدأ الاعداد للانقلاب الذى دخلت فيه عوامل جديدة وانضمام ضباط جدد، مثل مساعد رئيس هيئة الاركان الجنرال " حيدرسالتك " ، وقائد الجيش الاول التركي. وقائد منطقة استنبول ،الجنرال نجدات يوروغ. وخلال خريف ١٩٧٨ عين اجاويد من جديد رئيسا للوزراء ،واستكمل التحضير للانقلاب واعدت مجموعة الجنرالات الخطة لذلك، وحددت التاريخ لاسقاط الحكومة، ومن اجل هذه القضية، جرت محادثات سرية، مع ممثل المهمات العسكرية الامريكية في تركيا، وفي بروكسل حافظ قائد قوات حلف الاطلسي على اتصال مع ممثل هيئة الاركان التركية في المركز الرئيسي لحلف شمال الاطلسي. وكان الضباط الامريكيون الكبار في المركز الرئيسي لحلف الناتو يكررون في احاديثهم باستمرار مع الضباط الاتراك قولهم ماذا ينتظرون ايضا ؟ الضباط الاتراك ينتظرون تعليمات من قيادة هيئة الاركان ليعرفوا كيف يجيبون على هذه الاسئلة .

بعد عودة الجنرال ا يفرين من اجتماع حلف الناتو في بروكسل، وقبل ان يدخل العاصمة، استدعى دون علم الحكومة في استنبول، قادة القوات البرية، والبحرية، والجوية، وقائد الجيش الاول، والجندرمة، وبعض الضباط الكبار واجرى معهم محادثات مطولة، واعلن امامهم : (انه خلال وقت انعقاد اجتماعات حلف الناتو في بروكسل، كنا محرجين امام مسألة لم نستطع ان نجد الجواب عليها . حقا انه يجب ان نجدحلا).

خطـــــة البيـــــــرق :

أعدت الخطوط الاساسية لخطة الانقلاب واطلق عليها اسم (البيرق) العلم. وهذه الخطة وافق عليها البنتاغون، وحلف شمال الاطلسي، واتفق مع قيادة القوات المسلحة لحلف الناتو في بروكسل ان تقوم هذه القوات في يوم الانقلاب بمناورات عسكرية في الاراضي التركية، وسوف تكون مستعدة للرد على اية مفاجآت غير متوقعـــة .

عشية الانقلاب كان قائد القوات الجوية التركي الجنرال شاخينكليا مسافرا الى واشنطن ،الغرض الرسمي المعلن لهذه الزيارة هو لشراء طائرات عسكرية لكن الهدف الفعلي للزيارة كان تحديد خطة الانقلاب، مع البنتاغون، والمخابرات المركزية الامريكية، واخذ ضوء اخضر للتحرك .ولعب شاخينكليا دور (ضابط الارتباط) بين الطغمة العسكرية التركية التي قامت بتنفيذ الانقلاب ،والبنتاغون . وحدوث العملية في ١٢ سبتمبر ١٩٨٠ .وأكدت تفصيلا، في كتاب م علي بيراند : (١٢ سبتمبر الساعة ٤ر١٠).

والتقى شاخينكليا في واشنطن بالممثل الرئيسي السابق لحلف شمال الاطلسي في تركيا، بول هينتس الذى يعمل مساعدا لبيرجنسكي. وقد قال الجنرال التركي " آمل،

Digitized by Birzeit University Library

ان لا تخرج من رقابتكم الاوضاع في تركيا".
ورد شاخينكليا : (لا تقلقوا).

في انقرة ابلغ الملحق العسكري الامريكي الجنرال تومسن في حينه ان الجيش التركي سوف يقوم باسقاط حكومة اجاويد، واعطاء السلطة للجنرالات ،واكد الجنرال تومسن قائلا: (هذه المرة، اصبح الوضع جاهزا).
وفورا ابلغ البنتاغون " بأن القوات المسلحة التركية، تغلي قلقا وانتظارا من وقت طويل. فالتدخل انتهى" واضطر البنتاغون، والمخابرات المركزيّة الامريكية وجهاز الدولة، جميعا للاجتماع بغرفة الطوارئ في البيت الابيض لمتابعة الاحداث الهامة، مثلما يجتمعون دائما عندما تحدث احداث تحتم على الولايات المتحدة رفع تقرير سريع للرئيـــس.

وكان مساعد بر جنسكي بول هينتس، مسؤول تركيا، في المخابرات المركزية ،على اتصال دائم بغرفة الطوارئ في البيت الابيض ، وفي الساعة ٣٫٣٠ بعد منتصف الليل في ١٢ سبتمبر اتصلوا بهينتس من جديد من غرفة الطوارئ تلفونيا ومن هناك كان الجواب (بول، جماعتك اخيرا فعلوها، جنرالاتك قاموا بالانقلاب في تركيا).

واعدّ هينتس تقريره للرئيس كارتر، وتضمن هذا التقرير تقييم دور المخابرات المركزية واقترح: (يجب على الولايات المتحده ان تدعم تدخل القوات المسلحة التركية علنـــا).

في اللحظة التي وصل فيها الى واشنطن اشار الملحق العسكري الامريكي في انقرة بانجاز الانقلاب، كان الرئيس الامريكي كارتر يحضر حفلا موسيقيا في مركز كنيدى وطلب لمكالمة خاصة في منصة الرئاسة من سكرتير الدولة ميسكي الذى ابلغه ماذا حدث في تركيا الرئيس عاد هادئا الى المنصة واستمع حتى النهاية الى المقطوعات الموسيقية. كل شيء صار كما خطط له ،ولايوجد اى شيء يدعو للقلـــق.

في هذا الوقت في تركيا الساعة الرابعة بعد منتصف الليل، والاتراك لا يعلمون ان في بلادهم انقلابا، سمع العالم والشعب التركي ايضا بانباء الانقلاب ليس من راديو تركيا، وانما من ناطق باسم البيت الابيض الامريكي، اعلن الخبر لوكالات الانباء الامريكية، ولوكالة الانباء البريطانية رويتر،وفورا تناقلت النبأ وكالات الانباء العالمية، ومحطات الراديو والتلفزيون . في هذا الوقت كان راديو تركيا في يد الانقلابيين، لكنه ينتظر نص الاعلان من الطغمة العسكرية.

واظهرت الولايات المتحدة رسميا في ١٢ سبتمبر تعاطفها مع الانقلاب، واعلن المقر الرئيسي للناتو، وكذلك حكومات دول بلدان حلف الاطلسي تضامنهم مع الانقلاب. لكن بلدين هماالدنمارك، وبلجيكا جمّدا مشاركتهما مع الناتو بتركيا، وسحبا مبعوثيهما منها. وفيما بعد تضامنا مع الطغمة العسكرية التركية. لكن الحركة الديموقراطية الاوروبية لم تتضامن مع انقلاب ١٢ سبتمبر ومع اقامة دكتاتورية عسكرية في تركيـــا.

ارهـــاب الدولـــــــة :

الارهاب في تركيا، يتغذى من اليمين الفاشي الجديد ضد القوى اليسارية والديموقراطية، ومع انقلاب ١٢ سبتمبر، أخذ

Digitized by Birzeit University Library

يتماشى مع ارهاب دولة طغمة الجنرالات .

في الاشهر الاولى بعد الانقلاب، وفي عمليات تطهير في شوارع المدن، والبيوت، قُتل على يد القوات المسلحة، وقوات الامن اكثر من ٨٠٠ شخص. وفي الشهر السابع عشر، بلغ عدد المعتقلين، والمفقودين باشراف الشرطة، والمقدّمين للمحاكم حوالي ١٧١ الف شخص، بينهم ٢٠٣ نواب، وعضو مجلس شيوخ ،واكثر من ٢٠٠ قائد نقابي، واكثر من ٦٠٠٠ معلم في المعاهد التعليمية، وحوالي ٧٠٠٠ موظف حكومي، و١٠٠ قاض، ونائب عام، و ٣٠٠ عضو من اعضاء المجالس المحلية من بين المجالس المحلية لاستنبول، وديار بكر، وفاتساء، و١٦٠٠ آخرون من اعضاء المجالس المحلية مشكوك بهم من قبل الضباط، وسرح ١٨٠٠٠ اداري حكومي من العمل، وسرح ايضا ٢٠٠ نائب عام وقاض، و٧٠٠ استاذ جامعي، و ٥٠٠٠ مدرّس من معاهد علميّة مختلفة .

خلال اربع سنوات بعد الانقلاب بشكل غير رسمي، علم ان ٤٠٠معتقل حكموا بالاعدام واربعين نفذالحكم فيهم ،و٥٠٫٠٠٠ شخص حكموا لسنوات طويلة مدى الحياة تتراوح بين ٣٠ ــ ٢٠ سنة . وفي واحدة من اكبر العمليات ضد نشطاء النقابات العمالية اليسارية قدم للمحاكم ١٧٠٠ قائد نقابي، وحكم ٧٤ منهم بعقوبة الاعدام. واحد الاتهامات الرئيسية الموجهة لنشطاء DUCK . هو انهم نظموا مهرجان الاول من ايار ضد الفاشيـــة .

ايضا قدم للمحاكم ١٨ شخصا من اشهر الكتّاب الاتراك، وبعضهم اعضاء في قيادة اتحاد الكتّاب التركي. وبادر ٤٤ مثقفا ومفكرا ،لرفع مذكرة للرئيس، وقع عليها اكثر من ٢٠٠٠ مثقف يطالبون فيها باعادة الحياة الديموقراطية والدفاع عن حقوق الانسان. وقدم للمحاكم بعد انقلاب ١٢ سبتمبر ١٩٨٠، في تركيا انصار حركة السلام واعضاء اللجنة الوطنية لمجلس السلم التركي ،ومنهم سياسيون ومثقفون ، وكتّاب وصحفيّون ،ودبلوماسي سابق، وحقوقي. وحُظرت وطوردت الاحزاب السياسيّة. وفي وقت لاحق سُمح باقامة احزاب سياسية جديدة، لكن فقط لثلاثة منها سُمح بالمشاركة في الانتخابات البرلمانيةالتي جرت في خريف ١٩٨٣، اما القادة السياسيون للاحزاب السياسية السابقة فقد مُنعوا من ممارسة اي نشـاط سيـاســي .

الحقائق تُفنّد مزاعم النظام العسكري (الديموقراطي)، فهو يريد ان يضع تحت رقابته حكومة ــ أزول ــ وعلى قدم المساواة القوى اليمينية، واليسارية. المعلومات تشير : انه من بين ٢٠٣ نواب قدم للمحاكم ١٥٤ نائبا من الحزب الشعبي الجمهوري لاجاويد ــ مشكوك بانهم يساريون، وفي حزب الاستقلال لديميريل، فانه حسب تقييم الحكومة، يوجد شخصان فقط مشكوك بانهما يمينيان، ويتعاطفان مع اليمين المتطرف والولايات المتحدة ،وحلف الاطلســي .

لقد حظر اتحاد النقابات العمالية اليسارية وحوالي ٢٠٠٠ من نشطائه اعتقلوا وقدموا للمحاكم. ولكن لم يمنع اتحاد النقابات اليميني الذي تعمل قيادته بالتعاون مع النظام العسكري، وحكومة ازول ضد القوى اليساريـــة .

خلال السنوات الثلاث الاولى بعد الانقلاب، طالب النواب العامون للمحاكم العسكرية باعدام ٦٣٥٣ معتقلا ، منهم ١٥٥٠

Digitized by Birzeit University Library

من القوى اليسارية ، ومن الحركة الكردية. وبعد الانقلاب، توسع نطاق الارهاب ضد المواطنين الاكراد . وحسب منظمة حقوق الانسان الدولية، فانه بعد اقل من ثلاث سنوات من الانقلاب اعتقل حوالي ٨١٦٣٤ كرديا، وخلال عام ١٩٨٤ اعتقل ايضا ١٤٠٠ كردي ، وأكثر الذين حكموا بالاعدام كانوا من المنظمات اليسارية الكردية . واعتقل من الطريق الثوري (ديف ايول) حوالي ٢٤٥٨، ومن حزب العمال الكردي ٩٥٧. وخلال ادار ١٩٨٥ وفي عملية واحدة في انقرة ضد الحزب الشيوعي التركي فان ٢٢٨٠ شخصا قدموا للمحاكم وحكموا بالسجن ١٦٣٠ سنة . وفي ديار بكر مباشرة بعد الانقلاب قدّم للمحاكم حوالي ٣٠٠٠ شخص، وخلال سبتمبر ١٩٨٤ وجهت اتهامات بحق ٣٧٥ عضوا من حزب العمال الكردي، ٥٣ منهم حكم عليهم بالاعـــدام .

وخلال شباط في نفس المدينة ،المركز الرئيسي لكردستان، نُفذت عملية ضد ٦٢٤ كرديّاً ، ٢٢ منهم حكموا بالاعدام ، ٢٥ مدى الحياة والباقون حُكموا بأحكام مختلفة. وخلال نيسان ١٩٨٥ ،صدرت احكام جديدة بالاعـدام بحـق ٤٧ معتقـــلا .

وعلى الصفحات الاولى للصحف التركية، يمكن دائما قراءة اخبار رسمية عن عمليات وهجومات عسكرية في المناطق الكرديّة، ويمكن مشاهدة صور القتلى الاكراد الذين يعتبرونهم قطّاع طرق ،انفصاليين، ارهابيين، او سوءعيـــن .

والان تُطبّق الممارسة القديمة للجيش العثماني، بحل القضايا القومية، عبر اخضاع القوميات الاخرى للقومية التركية . ولا يمكن ان ينسى العالم المذابح ضد الارمن في تركيا خلال عام ١٩١٥، التي قتل فيها حوالي ١٫٥ مليون ارمني. وان اكثر من ثلاثة ملايين يوناني في تركيا لم يبق منهم الان الاعشرة آلاف. والباقون باستمرار يتعرضون للارهاب، والقتل بشكل جماعي، ومنظم ولايملكون اية حقوق، ولا يستطيعون اظهار اي مظهر قومي. وان ٣ ملايين عربي، وغيرهم من القوميات الاخرى لا يسمح لهم بالكتابة العربية ولاحتى بمدارس خاصة، او معاهد ثقافية، ولا يحمل اسمائهم الوطنيـــة .

وان اربع دول اوروبية غربية ادانت طغمة الجنرالات في تركيا امام اللجنة الاوروبية لحقوق الانسان في تقريرها لانتهاكات تركيا لحقوق الانسان. وقد منع العالم الاوروبي تركيا من اخذ دورها برئاسة دورة المجلس الوزاري بسبب انكارها لحقوق الانسان ،واستثنى البرلمان الاوروبي المشترك ، الوفد البرلماني التركي. وارسلت لجان الاستشارات في العالم الاوروبي ،والمجلس البرلماني المشترك التركي لائحة حقوق لحقوق الانسان واوضاع السجون ،وأماكن التوقيف عند الشرطة، باستثناء احداث الوفاة للسجناء السياسيين. وبالرغم من هذا فان حلف الاطلسي اقترح من جديد قبول الوفد التركي في الاتحاد البرلماني الاوروبي، فصوّت ٥٠ ضده وعشرة تحفظـــوا .

وقد صرح باطو باسم مجموعة الديموقراطيين الاجتماعيين بأن (البرلمان التركي الحالي لا يمثل حقوق الانسان في تركيا، وفي هذه الحالة نحن يجب ان لانسمح لتركيا بأخذ مكان في الجمعية العمومية للاتحاد). وحمدت السوق الاوروبية المشتركة

Digitized by Birzeit University Library

المساعدات المالية لتركيا والعلاقات السياسية مع انقرة بعد الانقلاب العسكري، لكن حلف الاطلسي وجد اشكالا وطرقا لتمرير المساعدات لطغمة الجنرالات .

النائب الدنماركي بيتر وانكريت الرئيس السابق للبرلمان الاوروبي، خلال زيارته لتركيا لمدة اسبوع، وبعد محادثات مع رئيس الوزراء التركي ازول، ووزير الخارجية فهد قالنغول، صرح امام مؤتمر انعقد في انقرة في ٢٧ آذار ١٩٨٥ قائلا :" قبل عودة العلاقات الطبيعية بين تركيا والدول الاوروبية ،يجب عليها اطلاق سراح المعتقلين السياسيين، واحترام حقوق الانسان ،والغاء عقوبة الاعدام ".

وفي ١٨ ابريل ١٩٨٥، ثمّن البرلمان الاوروبي في ستراسبورغ،قرارا صادرا عن مجموعة من البرلمانيين، حيث طرح من جديد قضية "خرق حقوق الانسان والارهاب الدموي في تركيا" ، واظهر استياءه من قتل ٤٥ كرديّا في منطقة ديار بكر . وفي قراره اعلن " ان النظام الحالي في تركيا اتخذ من الارهاب الموجّه ضد المواطنين الاكراد سياسة عامة ". وفي نفس القرار اعاد التذكير بتقييم كاتبي المسرح – ارثر ميلر – هارولد بنيتر، اللذين زارا تركيا وقد اشارا الى " ان الحريات الراهنة تخضع للارهاب". وطالب القرار بوضع حد لاحكام الاعدام الصادر عن المحاكم العسكرية التركية والتي تمثل " استفزازا للمجتمع الدولي، وتستدعي اشمئزازه ".

نظـام الطغمـة العسكريـــة :

مع انقلاب ١٢ سبتمبر ١٩٨٠ ،برز الى واجهة الحكومة التركية طغمة عسكرية مؤلفة من خمسة جنرالات، كانوا هم الذين اعدوا وقادوا الانقلاب واستلموا السلطة، وهم رئيس هيئة الاركان، الجنرال كنعان ايفرين الذى اصبح على رأس السلطة، وقائد القوات البرية نورتين ايرسنين، وقائد القوى الجوية الجنرال تحسين شاخنكليا، وقائد القوات البحرية الادميرال نجدات تيومير، وقائد الجندرمة الجنرال سادات جلاسون، وجميعهم اصبحوا في مجلس الامن القومي .

وخلال ثلاث سنوات مرت ادارت طغمة الجنرالات البلاد بسلطة مطلقة وحولت النظام الى نظام ديكتاتوري . ارهاب السلطة طال جميع القوى الكردية. وكماهو الحال بعد اي انقلاب عسكرى اعلنت طغمة الجنرالات بأنها سوف تقيم انتخابات لاعادة الديموقراطية .

في ٧ نوفمبر ١٩٨٢ ، وفي وضع ارهابي، وبقوة السلاح، وبالضغط على كل من لا يصوّت بنعم عن طريق اتهامه بالعمالة، وبتقرير موحز ، تم وضع دستور جديد . وبوضوح،حل الدستور طابعا معاديا للديموقراطية ،وضمن سلطات واسعة للرئيس،منها انه غير مسؤول امام البرلمان وغير خاضع له . وساعده مجلس رئاسي يكون من الجنرالات الاربعة الباقين ، يصدرها البرلمان ، ويعطي المجلس رأيه للرئيس ، وللرئيس الحق بأن يرفض او يقبل اي قانون يعدّه البرلمان ، وله الحق ايضا ، في تعيين واقالة الوزراء ، وله الحق بالغاء البرلمان، والدعوة لانتخابات جديدة، وساعده في ذلك سكرتاريا رئاسة الجمهورية، التي تقدم له النصائح بقضايا الدولة، داخلها وخارج هذا الاطار، يتولى الرئيس شخصيا اتخاذ القرار في مسائل الحرب، ويعطى له

Digitized by Birzeit University Library

صلاحيات واسعة اخرى. فالرئيس هو القائد الاعلى للقوات المسلحة وقائد المجلس العسكري الاعلى، وله الحق بأن يعلن التعبئة العامة والحرب بدون العودة للبرلمان. اما المرافق الاخرى مثل المجلس الدستوري، ومجلس الامن الوطني، وقيادة القوات البرّية، والبحرّية، والجوّية، والجندرمة فهي ايضا برئاسة الرئيس. وبموافقة من الرئيس يتم تعيين الاشخاص في الوظائف الكبيرة مثل المحاكم، وجهاز التعليم وروءساء الجامعات ايضا. وقد وضع تحت اشرافه الجهاز القضائي، والتعليمي، والمعاهد الثقافية، كما جمع في يده السلطتين التنفيذية والتشريعية. اما البرلمان فهو موجود فقط كوجه امام المجتمع التركي، والعالم الخارجي، ولكي يقال انه تمت اعادة النظام البرلماني، وان تركيا تسير باتجاه اعادة الديموقراطية.

بعد الانقلاب العسكري في ١٢ سبتمبر اصبح في تركيا رقابة قاسية على المطبوعات، وتوقف الكثير من المجلات والصحف واكثر من ١٠٠ صحفي قدّموا للمحاكم. مصدرّو الصحف والمجلات مجبرون على تقديم صحفهم ومجلاتهم للرقابة قبل صدورها والا تعرضوا للمحاكمة والملاحقة، وايقاف صحفهم ومجلاتهم.

عمليا ايفرين بسلطاته الشخصية الواسعة رئيس مفوض من اصغر الاشياء الى اكبرها، والانتخابات البرلمانية عقدت خلال عام ١٩٨٣، ونتائج الانتخابات تهدف الى اعطاء صورة ديموقراطية كاذبة وهيبة للنظام من خلال تصوير بعض القضايا امام البلدان الاوروبية الغربية والولايات المتحدة والديموقراطية البرجوازية.

طعمة الجنرالات تابعت رقابتها على الادارات المحلية، والادارات العامة والحياة السياسية والاجتماعية في البلاد. وفي كثير من المناطق فرضت الاحكام العرفية، والسلطات انتقلت الى ايدى العسكريين، وفي اوضاع عسكرية اخرى رسميا هي متغيرة، ولكنها عمليا في ايدى العسكريين.

السماح للاحزاب السياسية مرهون بنشاطها، ولا يسمح بالنشاط للاحزاب السياسية ومنظمات الطبقة العاملة، والاحزاب التقدمية والمثقفين، وكذلك النقابات، وايديولوجيا الطبقة العاملة غير مسموح بها ايضا. عشرات الالاف من المواطنين. قادة ومفكرون طالبوا بتشكيل احزاب سياسية وممارسة حقوق المواطنة والمشاركة في الحية السياسية. الطلاب والاساتذة في المعاهد العليا، يحظر عليهم الانضمام للاحزاب السياسية، والشباب الذين هم اقل من ٢١ سنة يحظر عليهم حق ممارسة الانتخابات.

الازمة الاقتصادية الاجتماعية والعجز المالي:

اكثر من ٤ ملايين عاطل عن العمل، وحوالي ٢٠ ٪ من قوة العمل بدون عمل. وتنخفض قيمة العملة ٥٠٪ سنويا. وتبلغ قيمة الديون الخارجية ٢٣٪ والبحر التجاري في تزايد مستمر وتنخفض قيمة الليرة باستمرار (في نهاية عام ١٩٨٤، كان كل دولار واحد يساوى ٥٠٠ ليرة تركية، بالسعر الرسمي مقابل ٢٨٠ ليرة في مطلع العام). وهناك ايضا انخفاض مستمر في اجور الطبقة العاملة نتيجة التضخم، وارتفاع الاسعار.

Digitized by Birzeit University Library

هذه بعض مؤشرات الازمة الاقتصادية الاجتماعية العميقة، وبعض مظاهر العجز المالي الذى تمر به تركيا . كل حكومة، وكل حزب سياسي في تركيا بصورنفسه وكأنه على طريق اتاتورك، ومتمسك بالمبادئ الكمالية، التي لا تتسجم مع مصالح البرجوازية الكبيرة، وسياسة الامبريالية الامريكية .

واحدة من الخطوات الاساسية ، والتي يقوم بها النظام العسكرى وحكومة ازول هي توجيه ضربة قاصمة لهذه المبادئ، من خلال السوق الاقتصادية المفتوحة. فقد قامت حكومة ازول بتبع المؤسسات الحكومية الى الرأسمال الخاص حتى انها باعت جسر البسفور. وتعمقت اكثر واكثر تبعية تركيا للاحتكارات الاجنبية .وفتحت ابوابها لرأسمال الاجنبي بشكل واسع فقد صدر عام ١٩٨٤ قرار باستثمار اكثر من ٢٥ مليار دولار للرأسمال الاجنبي. وهكذا فان قطاع الدولة مستمر بالتناقص، وتتقلص باستمرار مشاركة الدولة في المجال الاجتماعي ، وتختزل ميزانية المساعدات الاجتماعية سواء للصحة العامة، او التعليم. وبنفس الوقت

تستمر في تصاعد المصروفات العسكرية التي وصلت عام ١٩٨٤ الى ٢٥ ٪ من ميزانية الدولـــة .

تشكل المصروفات العسكرية عبئا كبيرا على اقتصاد تركيا . والاحتفاظ بجيش كبير يعتبر من حيث تعداده بعد الولايات المتحدة في حلف الناتو، وتسليحه، وبناء قواعد عسكرية له، كل هذا الوضع جعل تركيا باستمرار بحاجة الى المساعدات العسكرية، من الولايات المتحدة، وبقية اعضاء الحلـــف .

في الواقع ، الجزء الاكبر من هذه المساعدات تتم سرقته عبرالفوائد العالية، وعبر قنوات " الديون العسكرية لتركيا فهي مدينة للولايات المتحدة بـ ٢ر٦ مليار دولار".

وتحت عنوان " دولار واحد دينار يساوى ١ر٣ دولار فائدة". نشرت جريدة الجمهورية في ٧ اغسطس ١٩٨٤، مقابلة مع وزير الدفاع التركي، تركي يافوزتورك، وحسب رأيه انه خلال الفترة من ١٩٧٢ – ١٩٨٤ – حصلت تركيا على مساعدات من الولايات المتحدة، قدرها ٢،٦٣ مليون دولار، كديون لشراء اسلحة، وقد قامت تركيا عام ١٩٨١ باعادة جدولة الديون. وتشير آخر الاحصائيات الى انه خلال الفترة ١٩٨١ – ١٩٨٣ – بلغت الديون ١،٢٠١ مليون دولار، وبلغت فوائدها ١٨٧ر٣، وصار اجمالي الفائدة ٢٨٩ مليون دولار خلال عام ١٩٨٤و١١٤ر٩ مليون دولار دينا، ٢١٧ر٥ مليون دولار فائدة، واجمالا ٣٣٢ر٤ مليون دولار. وهكذا يجب على تركيا ان تدفع على مدى عشر سنوات ٢ر٥٨٤ مليار دولار كديون، للولايات المتحدة بالسعر الرسمي العالمي، هذا عدا عن مشتريات الاسلحة التي تشكل ٤٦٨، ١ مليار دولار كفوائد، او ان على تركيا ان تدفع ١ر٣ دولار كفائدة عن كل دولار تسلمته من الولايات المتحدة وبالسعر الرسمي . وهذا يعني ان كل دولار تحصل عليه تركيا كدين لاغراض عسكرية ستدفع مقابله ٢ر٣ دولارا .

وبنفس الوقت، وحسب مصادر احصائية رسمية يوجد ١١٦٠٠٠ كهف في تركيا تستخدم للسكن من قبل المواطنين الاتراك، وفي هذه الكهوف والحفر، يعيش بعيدا عن الحضارة حوالي ١،١١٠،٠٠٠ شخص، لا يعرفون حتى الان، الكهرباء، او المياه في منازلهم ولا يعرفون المدارس. هذا بدون ان

Digitized by Birzeit University Library

نتحدث عن الاطباء ، والتلفون ، والتلفزيون ، وهناك اكثر من ١٠ ملايين فلاح تركي يحرثون الارض حتى الان بمحراث خشبي ، ومع هذا فان تركيا تعتبر نفسها دولة اوروبية متطورة .

الاقتصاد التركي ، والشعب التركي ، لا يجنيان اية فائدة من المليارات المأخوذة كديون او مساعدات ، والتي اخذتها تركيا من الولايات المتحدة ومن الدائنين الغربيين بالسعر الرسمي الدولي . فقط على الجيل الحالي من الشعب التركي والاجيال القادمة حتى ما بعد سنة ٢٠٠٠ ان يسددوا الديون المتراكمة والتي تتزايد باستمرار الى الحد الذي صارت فيه الديون الجديدة لا تكفي لسداد فوائد الديون القديمة . فمتوسط المساعدات التي حصلت عليها تركيا في السنوات الاخيرة ، من الولايات المتحدة كمساعدات عسكرية واقتصادية بلغ حوالي ٧٠٠ مليون دولار ، ومن المانيا الغربية ٤٥ مليون دولار . لكن خلال ١٩٨٤ كان عليها ان تسدد الديون القديمة مع فوائدها ، والتي قدرت اجماليا بـ ٢٫٨٥ مليار دولار ، والتي وصلت خلال ١٩٨٥ الى ٣ مليارات دولار ، وخلال الخمس سنوات القادمة الى ١٦ مليار دولار . وحتى تتمكن تركيا من مواجهة مشكلة الدفع او تتمكن من تجاوزها عليها بيع مساحات جديدة من اراضيها . وهكذا فان اجمالي الدين الخارجي والذي يقدر بـ ٢٣ مليار دولار لا يتناقص ، وانما يتزايد باستمرار .

وهذا هو جوهر الازمة ، لكنه ليس كل الازمة ، اذ انه في عام ١٩٨٤ ، ارتفعت الاجور بنسبة ٢٥٪ ، وارتفعت اسعار السلع الضرورية بنسبة ٥٣٪ وهذا يعني ان الدخل الحقيقي قد تناقص . وبنفس الوقت فان ٥٠٠ شركة من اكبر الشركات زادت ارباحها السنوية الحقيقية من ٣٠ ٪ – ٥٠٪ ، و٢٠ اخرى من اكبر هذه الشركات تقع تحت هيمنة الرأسمال الاجنبي .

وتملك تركيا ايضا مجمّعات للصناعة الحربيّة ، مرتبطة بشكل مباشر مع الاحتكارات الاجنبيّة ، والدور الهام لهذه المجمّعات تلعبه مدخرات صندوق للمساعدات المتبادلة للجيش (OVAK) . وتقدم الولايات المتحدة ترخيصا لهذه الصناعات الحربية للوصول الى هدفين رئيسيين :

رفع مستوى كفاءة الضباط في الصناعة الحربية بالاشتراك مع الشركات الاجنبية .

وتحويل الضباط الى رأسماليين ، ليبدوا غريبين عن اوضاع الجماهير ، ولتنشأ تناقضات بينهم وبين شعبهم ، وليكونوا مدافعين مخلصين عن الاستغلال الرأسمالي ، وليكونوا مدينين ايضا بتعليمهم للولايات المتحدة .

مبالغ هائلة تراكمت في (OVAK) من عمل المجنّدين الاجباريين لها ومن ٥٪ من رواتب الضباط ، وكلّها وُظفت في الصناعة والتجارة ، وهي تضمن الربح للذين وظفوها بدون عمل .

وتماشيا مع (OVAK) في مجمّعا الصناعة الحربية ، تدخل مدخرات تطوير القوات البرية ، والجوية ، والبحرية ، والتي تملك حصصا كبيرة من اسهم الصناعة الحربية . هذه المشروعات الصناعية ترتبط مع الاحتكارات الاجنبية ، وبشكل رئيسي ، مع الاحتكارات الامريكية والالمانية الغربية .

ويعتبر الكثير من الجنرالات الاتراك الضباط الامريكيين كمثال ، وقد تذوقوا طعم المشاركة بالاعمال ، وصاروا مساهمين بالشركات

Digitized by Birzeit University Library

،وبشكل رئيسي في الصناعة العسكرية. وعند خروج الجنرال للاحتياط يتحول إما الى مدير، او الى وسيط لهذه الشركات. وهؤلاء الجنرالات لا يكتفون بأخذ العمولة فقط ولكن يقبضون الرشاوى ايضا. ففي فضيحة شركة الطيران الامريكية (لوكهيد)كان متورطا بها ضباط اتراك كبار، وأحدهم كان قائد سلاح الجو الجنرال اكايا الذى اخذ مبلغا كبيرا .

في عددها الصادر بتاريخ ١٤ نوفمبر، نشرت الصحيفة الامريكية التايم لائحة لاكبر عشر جنرالات اغنياء في العالم، وكان في المرتبة السابعة من هذه اللائحة، قائد سلاح الجو السابق. ولم تدخل هذه المجلة الى تركيا . والجنرال التركي ـ تحسين شاتكليا ـ قائد سلاح الجو، هو احد الجنرالات الخمسة في الطغمة العسكرية والذى قام بالتعاون مع واشنطن وبروكسل بانقلاب ١٢ سبتمبر عام ١٩٨٠، وخلال الانقلاب لعب دور ضابط الارتباط بين الطغمة العسكرية، والبنتاغون، والاستخبارات المركزية الامريكية

الصحيفة السابقة اشارت ايضا الى انه بالاضافة لثروة شاتكليا في تركيا، فانه يملك رأسمالا في الولايات المتحدة، وفي بلدان اخرى ، وفيلا في ميامي بولاية (فلوريدا). وعبر زوجته يساهم الجنرال شاتكليا العضو في المجلس الرئاسي بعدد من الشركات التركية للتصدير، وببناء مشاريع عسكرية للجيش ويلعب دورا مهما بعقد اتفاقات مع الشركات الامريكية مثل جنرال دينمكس، لاقامة مصنع لتصليح طائرات اف١٦ في تركيا ، وهو مصنع لا يتلاءم مع ظروف تركيا، وليس في مصلحتها كما اشارت صحيفة الجمهورية، وميليـــت .

شاتكليا قاد المفاوضات شخصيا وتسلم عمولة كبيرة عن هذه الصفقة، لكن لايوجد احد في تركيا لم يسمع بفضيحة لوكهيد الاخيرة التي شارك فيها، قائد قوات حلف الاطلسي السابق، في اوروبا ، وسكرتير الدولة للولايات المتحدة، الجنرال هيغ، والذى يعمل الان كوسيط وممثل للشركات الامريكية التي تبيع الطائرات العسكرية .

في الثاني من ايار ١٩٨٤ ،وقع عقد لبناء مصنع لتجميع طائرات اف ١٦، وبعد عدة اشهر من توقيعه نشب خلاف كبير مع شركة جنرال دينمكس التي حملت مسؤولية زيادة اسعار الشراء والبيع للقطع الاولية اللازمة، وتأدية الخدمات المطلوبة من زبائن اجانب، وأخذ العمولات. وهي تخفي دخلها الحقيقي ،والارباح غير القانونية التي يقدر متوسطها السنوى ٢ر١ مليار دولار .

وقد ارتفعت ضد شركة جنرال دينمكس دعاوى، ولكن توقيع الصفقة مع تركيا لبناء مصنع تجميع طائرات اف ١٦ قوّى موقعها، وسوف تصرف ٤ر٢ مليار دولار، وتركيا مجبرة كل عام على الشراء من هذا المشروع بمبلغ ١٠٠ مليون دولار، ولغاية عشر سنوات ،وسوف تأخذ هذا المبلغ من الولايات المتحدة كدين بسعر فائدة عالمي. الامال الكبيرة التي بثتها حكومة ازول من وراء اقامة مشاريع مشتركة بين تركيا والولايات المتحدة لبناء صناعة الطائرات كانت فارغة .

وبموجب الاتفاق المعقود هناك٤٠ ٪ من قطع الغيار لطائرات اف ١٦ (عددها ١٦٠ قطعة) سوف تكون مكملة من تركيا، لكن شركة جنرال دينمكس ليست مجبرة على شراء اية قطعة غيار اذا لم تكن بالمستوى والنوعية

Digitized by Birzeit University Library

المطلوبة، ومن الممكن ان تعاد الى الشركات الامريكية، والالمانية الغربية الكبيرة التي تختص بهذا الانتاج. والعلاقة التنافسية محصورة بالاسعار.

شركة جنرال دينمكس ليست مهتمة كثيرا بزيادة تصدير الانتاج الزراعي، والصناعي التركي للسوق العالمي. والشركة الامريكية المنتجة للطائرات العسكرية، والدبابات والزوارق، سوف تستخدم الاتفاق المعقود، لتضع تحت هيمنتها حصصاهمة من المجمع الصناعي، ومن التجارة الخارجية لتركيا.

وقد اصبح واضحا ان الامريكان والحلفاء الاطلسيين تنبؤوا بازدهار الاقتصاد التركي، وبالخير للشعب التركي، وبعود الفضل للتعاون التركي ـ الامريكي، ولكن كما لوحظ سابقا، اليوم اكثر من مليون عائلة تركية تعيش في الحفر والكهوف في هذه الدولة الاوروبية.

السياستان الخارجية والعسكرية تخضعان لمصالح واشنطن

السياسة الخارجية للطغمة العسكرية الحاكمة في تركيا تتسم بطابع التبعية والخضوع لاهداف السياسة الاستراتيجية للولايات المتحدة وحلف الناتو. ولا يوجد اى دولة اوروبية من حلف الاطلسي تحتفظ بهذا العدد الكبير من القوات العسكرية مثل تركيا. وكل البلاد ومياهها الاقليمية هي قاعدة عسكرية موضوعة تحت تصرف الولايات المتحدة وحلف الناتو، وقد تزايدت القوات الامريكية في تركيا بعد سقوط نظام الشاه في ايران، وتحولت تركيا الى قاعدة رئيسية لوضع محطات التجسس على جيرانها.

بعد شهر واحد فقط من انقلاب ١٢ سبتمبر ١٩٨٠، وقع مجلس الامن الوطني للطغمة العسكرية معاهدة جديدة للتعاون مع الولايات المتحدة. وفي ديسمبر ١٩٨١ اتخذ قرارا لاقامة (مجلس دفاع مشترك) بين تركيا والولايات المتحدة بهدف تحديد حاجات تركيا من المواد العسكرية، هذا المجلس لعب دورا كبيرا بتوقيع اتفاق لتزويد تركيا بـ ١٦٠ طائرة اف ١٦ وهذه الطائرات سوف تجمع في تركيا حسب اتفاق ٢ أيار ١٩٨٤.

في ٢٩ نوفمبر ١٩٨٢ في المقر الرئيسي للناتو ببروكسل تم توقيع اتفاق لبناء قواعد جوية جديدة، وتحديث القواعد الموجوده سابقا. القواعد العسكرية الجديدة سوف تبنى في مناطق موشي ـ بانمان. والاولى ستكون بالقرب من حدود الاتحاد السوفيتي، وايران، والثانية قرب سورية والعراق.

وكما هو معروف في ١ أيار ١٩٦٠ سقطت الطائرة الامريكية التجسسية يو ٢ مسببة ازمة دولية حادة، وقد اقلعت هذه الطائرة من قاعدة جوية من منطقة ايندجير لبكا، في اضنا. الطغمة العسكرية الان اعطت موافقتها لتتحول الاراضي التركية واجواؤها الى قاعدة عسكرية للطائرات التجسسية الرادارية الاواكس وفي خريف ١٩٨٣ في القاعدة الجوية في منطقة كونيا تواجدت المجموعة الاولى من هذه الطائرات التي تقوم بطلعات جوية الان.

البناء الجديد للقواعد العسكرية، وتحديث القواعد السابقة يحملان اهمية كبيرة (لقوات التدخل السريع الامريكية)، اذ ستكون هذه القواعد محطات استقبال لها في الاراضي التركية للتدخل في الشرق الاوسط، والخليج العربي، وقد رفضت هذا الامر حكومة

Digitized by Birzeit University Library

اجاويد السابقة .

في ميليت والصحف التركية الاخرى، اعلن في ١٢ آذار ١٩٨٤ انه وُقّع اتفاق لتمركز (قوات التدخل السريع الامريكية) واقامة ٦ مستودعات قنابل متفجرة، تحتوي ١٢٠٠٠ الف طن من الذخيرة ، في مناطق، انيليا، بوردور، أفيون ، اضنة، مالاتيا، سفاس ، واكفيتوك... وفي مناطق الوسط، وشرق الاناضول، والمناطق القريبة من حدود الاتحاد السوفيتي ،وسورية، والعراق ، وايران والخليج العربي .

رسميا القواعد العسكرية الامريكية، والتابعة لحلف الناتو يمكن ان تستخدم بدون موافقة الحكومة التركية. لكن هذه الموافقة شكلية، والاتفاق بين الولايات المتحدة وتركيا لا تُعمل يد في هذا الشأن. فقد استخدمت سابقا القاعدة الجوية الكبيرة اينجرليكا الموجودة في منطقة الاناضول منذ ٣٥ عاما للطلعات الاستكشافية والتجسسية، ولم تكن ضرورة سؤال السلطات التركية وموافقتها

في هذه القاعدة نزلت القوات المسلحة الامريكية عام ١٩٥٨ قبل تدخلها في لبنان، وهناك ترحيد، انه بالاتفاق الاخير، اعطى للقوات المسلحة الامريكية الحق باستخدام القاعدة المذكورة، وبعض القواعد العسكرية التركية الاخرى .

والاتفاقات لايمكن ان تظل في سرية تامة، فخلال ديسمبر ١٩٨٣ اعلن رسميا ان قاعدة اينجرليكا استخدمت كمحطة ترانزيت للقوات العسكرية الامريكية لانزال تلك القوات في لبنان، ولاستخدامها ـ أي القاعدة ـ ايضا كمحطة راحة وعلاج للعسكريين الامريكيين. كل هذه الممارسات تخرق اتفاق ١٩٨٠ الذي ينص على ان القواعد العسكرية في الاراضي التركية تستخدم فقط في اطار حلف الناتو وبقرار عام من الناتو .

هذه التسهيلات طلبتها الولايات المتحدة من اليونان لكن باباندريو لم يعط موافقته. فاستخدام قاعدة ايندجرليكا من قبل الولايات المتحدة ضد جيران تركيا من البلدان العربية والاسلامية، يستدعي قلقا جديا في اوساط المجتمع التركي .

وقد طرحت للنقاش في البرلمان ورقة قدمها ممثلو الاحزاب السياسية، حول الارتباط بالبنود السرية للمعاهدات التي تسمح للقوات الاجنبية باستخدام القواعد العسكرية في تركيا من جانب الولايات المتحدة، والحكومة التركية قدمت اجوبة غير واضحة لتطمين الرأي العام الداخلي، ولكنهم لم يقولوا الحقيقة. وقد استخدمت قاعدة اينجرليكا كمحطة ترانزيت، للقوات العسكرية، ونقل الاسلحة والمعدات ،ولكن منذ البداية اعلن رسميا انه لم يوقع في الاتفاقية على ان الولايات المتحدة لها الحق باستخدام القاعدة كمحطة ترانزيت. ساعد سكرنير الدولة لشؤون الشرق الاوسط وجنوب آسيا سئل عن ذلك في بروكسل من قبل الصحفيين، فقال : انه لا يعلم شيئا عن وجود بند بالاتفاقية يسمح باستخدام القواعد للترانزيت. ايضا الناطق باسم الحكومة التركية اعلن انه لا يوجد بند كهـــذا .

خلال اكتوبر ١٩٨٣ قال البرتوركمان وزير خارجية تركيا : (اذا اضطرت تركيا فانها ستقدم تسهيلات لانتقال القوات الامريكية الى لبنان). في الواقع ان هذه التسهيلات قائمة منذ زمن بعيد، وقاعدة اينجرليكا

Digitized by Birzeit University Library

استخدمت من قبل الولايات المتحدة .

في ٢٤ اكتوبر ١٩٨٤، وخلال مؤتمر عقد في واشنطن اعلن وزير الدفاع التركي (خاليوك بايولكن): (نحن ندعم خطط الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، وتقدم تسهيلات ودعما للقوات المسلحة الامريكية في لبنان). وقد اعترف وزير الحربية التركي عمليا خلال هذا المؤتمر بحق الولايات المتحدة باستخدام الاراضي التركية في عمليات القوات المسلحة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط . وفي اطار العلاقات التحالفية بين واشنطن وانقرة وخلال نوفمبر عام ١٩٨٣، قام وزير الخارجية التركي التير تبوركمان بخطوة جديدة في الاعترافات حين قال : (لا يوجد مانع من تقديم بعض التسهيلات المحددة، التي تطلبها الولايات المتحدة، كالارتباط بوجود قوات مسلحة امريكية في لبنان)...

" ابدا يجب ان لا نقدم على هذا العمل" هكذا كتبت جريدة الجمهورية في عددها الصادر في ١٣ نوفمبر ١٩٨٣ ، بهذا الصدد "ان تقديم التسهيلات يثير اضطرابات واسعة ،ومع الزمن قد يشكل صعوبات لتركيا ".

بنفس التاريخ كتبت جريدة طباتسي "وهكذا نبدأ بالخطوات الصغيرة ،التي يمكن ان تؤدي في يوم ما الى ان نجد انفسنا في مستنقع الاحداث ".

في الاراضي التركية نصبت كميات كبيرة من الاسلحة الذرية الامريكية. حكومة اجاويد لم توافق على طلب امريكي بنصب صواريخ نووية امريكية من طراز بيرشنغ ٢ – وكروز . ولكن المباحثات بين واشنطن وطغمة الجنرالات في تركيا اثمرت. فحتى الان اعطت طغمة الجنرالات موافقتها على زرع صواريخ تكتيكية نووية امريكية حديثة وجديدة، وبمدى اطول ،بعضها يعمل بمستويات منخفضة، والبعض الاخر من الصواريخ بمستويات متوسطة ويمكن ان تطلق من مدفعية ثقيلة بعيدة المدى محملة برؤوس نووية .

في المطبوعات التركية يمكن ان يُقرأ باستمرار تصريحات من ممثلي الحكومة لاهمية تركيا العسكرية للولايات المتحدة" ان تركيا منطقة حيوية كقاعدة عسكرية للولايات المتحدة، وحلف الناتو". "الرئيس ريغن يعتبر تركيا من افضل حلفاء امريكا". وتركيا جاهزة لاستقبال جنود امريكيين، وقواعد للصواريخ النووية رفض باباندريو وضعها في اليونان ".

وكما هو واضح من التصريحات، فان الولايات المتحدة تحضّر تركيا لتصبح واحدة من مراكز الحرب الكيميائية ضد جيرانها، وبدقة اكثر لاستخدام الاراضي التركية، والقوات المسلحة التركية في الحرب الكيميائية .

تركيا عمليا تحولت الى قاعدة عسكرية امريكية، وخندق متقدم ليس فقط في مواجهة الاتحاد السوفييتي والبلدان الاخرى من حلف واسو، ولكن ضد البلدان العربية، والبلدان الاسلامية الاخرى في الشرق الاوسط . فواحد من اسباب قبول تركيا كعضو في حلف الناتو، استخدامها كدولة اسلامية لتغلغل الولايات المتحدة في العالم الاسلامي وتدعيم التوسع الامريكي ذي الخط الكولونيالي السابق في البلدان الاسلامية. وهكذا بعد الانقلاب العسكري في ١٢ سبتمبر ١٩٨٠، نشطت سياسة الولايات المتحدة لاستخدام تركيا الاسلامية

Digitized by Birzeit University Library

كجسر بين حلف الاطلسي ، والدول الاسلامية ، وخاصة الواقعة في الشرق الاوسط .

في المطبوعات التركية المنشورة في ٨ شباط ١٩٨٤ ، نقل عن مساعد سكرتير الدولة الامريكية لشؤون اوروبا : ريتشارد بارت اعلانه ان " تركيا محطة اساسية للقطاع الجنوبي لحلف الناتو، تركيا لها دور جديد في العالم الاسلامي ".

تركيا باعتبارها دولة اسلامية، وايضا الدولة الاسلامية الوحيدة في حلف الناتو ولا يوجد اية دولة اسلامية اخرى ترغب في دخول هذا الحلف ، فان قبولها في هذا الحلف الامبريالي الذى يضم الدول الامبريالية الرئيسية ، ليس هدفه فقط تحضيرها للحرب ضد الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى ، وانما الحفاظ على الدور الاستعمارى ، والتبعية للولايات المتحدة ، وبريطانيا ،وفرنسا ، وهولندا ، وبلجيكا ، والبرتغال .

المؤشرات تدل ، انهم جميعا بدون استثناء دول استعمارية ، متحالفون في اطر الناتو ،وهذه الامبراطورية تريد الاحتفاظ بتبعية كل الدول الاسلامية طالما انه لا يوجد اية دولة اسلامية غير تركيا تشارك في الناتو.

الولايات المتحدة ، وبريطانيا العظمى ، انشأتا خلال الخمسينات حلف بغداد الذى شاركت فيه تركيا ، وايران ، وباكستان ، وبريطانيا العظمى ، ولم تكن الولايات المتحدة رسميا عضوا في الحلف ، ولكنها عمليا قادت جميع اجتماعه .

ومع قيام الثورة العراقية ، في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وجهت ضربة قاصمة لحلف بغداد الذى انشئ كفرع للناتو في البلدان العربية الاسلامية وكواجهة. وقد حاولت بريطانيا ، والولايات المتحدة ، توسيع هذا الحلف وفرضه على البلدان الاخرى. الجنود الامريكيون وخاصة من قاعدة ايند جيرليكا ، والقوات البريطانية اعلنوا الاستنفار في الاردن ، والقوات المسلحة في كلا البلدين في حلف الناتو ، تربطهم معاهدةمع حلف بغداد ، وقد تهيأ للتدخل في لبنان والاردن ، والعراق ، وسوريـــــة .

التفكير بعملية ضد العراق ، والتدخل في لبنان الذى لعبت تركيا دورا فيه ضد البلدان الاسلامية في الشرق الاوسط ، لم ينس.

وبعد الانقلاب العسكرى في ١٢ سبتمبر ١٩٨٠ وقعت طغمة الجنرالات اتفاقية سرية (طويلة الامد لتقديم تسهيلات للقوات المسلحة الامريكية. وعندما دخلت واشنطن بمحادثات مع انقرة لاقامة حلف عسكرى جديد في الشرق الاوسط بقيادتها ، برزت في تركيا شخصيات اجتماعية وصحفية شجاعة ، ذكّرت بمصير حلف بغداد .

وقد اشاروا انه على تركيا ان لا تشارك الولايات المتحدة في اتفاقات للاعتداء على البلدان العربية والبلدان الشرق اوسطية الاخرى ، وعلى الشعوب المسلمة. وقد قاموا بمقارنة لما حصل عام ١٩٥٨ ، وكذلك ما حصل بعد انقلاب ١٢ سبتمبر ١٩٨٠ حيث وضعت تركيا اراضيها تحت تصرف الجيش الامريكي لدعم الفاشية الكنائسية المسيحية في لبنان ضد المسلمين ، وضد البلدان العربية. ولكن سرا ان قسما من القواعد العسكرية في تركيا ، وخاصة القواعد الجديدة لها مهمة محددة لاستخدامها من قبل (قوات التدخل السريع الامريكية) في عملياتها ضد الدول الاسلامية والعربية الشرق اوسطيـــة .

Digitized by Birzeit University Library

في مقابلة مع وكالة (اسوشيتد برس) اعلن مساعد سكرتير الدولة الامريكية وليم شنايدر في ١١ آب ١٩٨٤ " اذا كنا مضطرين لاستخدام طائرات اف ١٦ ، فاننا سوف نستخدمها في الاراضي التركية ضد ايران" هذا الاعلان اثار احتجاجا واسعا في تركيا ، ووجدت الحكومة التركية نفسها مضطرة للنفي رسميا بالنسبة لما جاء في اعلان المتحدث الرسمي الامريكي لكن هذا النفي لا يغير من الواقع شيئا .

وفي تقرير اساسي لوكالة رويتر في ٣١ آذار ١٩٨٤ اشار التقرير الى ازدياد احتمال ان تصبح تركيا ، جسرا لحلف الناتو ، اوحتى لنشاط أحادي الجانب للولايات المتحدة في منطقة الخليج العربي " . وقد وضعت الولايات المتحدة تركيا المسلمة عمليا في تحالف مع اسرائيل في مواجهة البلدان العربية الاسلامية في الشرق الاوسط ، وتدعم طغمة الجنرالات سياسة واشنطن المعادية للبلدان العربية الشرق اوسطية .

تلعب تركيا باخلاص دور الاداة الطيعة للولايات المتحدة ضد نضال الشعب العربي الفلسطيني المسلم ونضاله لتحرير ارضه من الاحتلال الاسرائيلي وبناء دولته المستقلة . البيانات الرسمية لطغمة الجنرالات ، ولحكومة ازول تبدو وكأنها الى جانب تقرير المصير الفلسطيني . ولكن الممارسة العملية تدحض هذه البيانات . طغمة الجنرالات وحكومة ازول تتحدث بودّ تجاه الشعبين اللبناني والفلسطيني . وبقية الشعوب العربية والاسلامية الاخرى ، ولكنها بنفس الوقت تضع الاراضي التركية في خدمة التدخل العسكري الامريكي الموجه ضد هذه الشعوب ، وتدعم ايضا صفقة كامب ديفيد المعادية للعرب والاسلام . وعلى اساس سياستها المعادية للعرب والاسلام تقوم الولايات المتحدة ببناء تحالف استراتيجي بين اسرائيل وتركيا .

رئيس الوزراء التركي تورغوت ازول ، وبتوجيه من طغمة الجنرالات ، والذي يستمد توجيهاته وسياساته منها ، اجرى خلال زيارته في ربيع عام ١٩٨٥ لواشنطن محادثات لتعزيز العلاقات العسكرية والسياسية مع اسرائيل ، وتعزيز التعاون العسكري بين البلدين لدعم الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط .

وقد التقى ازول مع ممثل اللوبي اليهودي في الكونغرس الامريكي ، واجرى وزير الخارجية التركي ايضا محادثات سرية مع السفير الاسرائيلي في واشنطن . وخلال ايار وصل بشكل سري لانقرة مدير قسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الاسرائيلية .

الولايات المتحدة من جديد جددت اقتراحها القديم باقامة حلف عسكري في الشرق الاوسط تحت قيادتها بالاستناد الى تركيا ، واسرائيل . والمواقف الديماغوجية لطغمة الجنرالات . ولحكومة ازول ، والذين يقدمون انفسهم كوسطاء لانهاء الحرب العراقية الايرانية باتت مكشوفة .

تركيا تنتهز وضعها كدولة اسلامية شرق اوسطية ، لتلعب دور وكيل الولايات المتحدة باطالة الحرب بين البلدين بهدف املاء الشروط الامريكية عليهما . هدف السياسة الامريكية ـ التركية ، هو التفكيك اللاحق لمنطقة الشرق الاوسط من اجل تحديد مستقبل التدخل العسكري الامريكي تحت شعار (حفظ الامن) في منطقة الخليج العربي ، فبايعاز من واشنطن قام الجيش التركي بعمليات في الاراضي التركية ضد الاكراد ، لخلق ظروف

Digitized by Birzeit University Library

لتوسيع التدخل في الاراضي الايرانية .

طعمة الجمرالات تأمل، انه بعد توتر العلاقات العراقية ـ الايرانية والحرب المشتعلة بينهما يمكن ان يقعا بسهولة تحت هيمنة الولايات المتحدة الامريكية .

وتركيا باعتبارها الحليفة المحلية الوحيدة للولايات المتحدة، سوف تستفيد من الثروات البترولية لكلا البلدين. وقدمت الولايات المتحدة وعدا لطغمة الجنرالات بأنها لن تعترف بحقوق الاكراد ولا بتقرير المصير لهم في تركيا ، ولن تسمح بطرح القضية الكردية في الامم المتحدة، وفي المنظمات الدولية الاخرى .

هذه السياسة التي تنتهجها تركيا تحكم عليها بالعزلة من قبل البلدان العربية والبلدان الاسلامية الاخرى. وتأمل الحكومة التركية ان تقوم بعض الدول الاسلامية بالاعتراف بالدولة التركية في شمال قبرص، ولكن حتى الان لا توجد اية دولة اعترفت بهذه الدولة، اما الولايات المتحدة فانها تتحفظ باعترافها، وقد كانت مضطرة لان تأخذ بالحسبان الرأي العام الاوروبي والامريكي .

وفي البلقان تلعب ايضا طغمة الجنرالات دور ممثل الولايات المتحدة، في كل اللقاءات الثنائية والجماعية لدول البلقان. وتترجم طغمة الجنرالات وحكومتهم سياسة الولايات المتحدة المضادة لنزع السلاح النووي، ولعلاقات حسن الجوار، والتعاون المشترك. وتنفذ تركيا تعاليم واشنطن، وهي الوحيدة من المشاركين في لقاءات دول البلقان، التي ترفض فكرة ان تكون المنطقة خالية من الاسلحة النووية .

وتستخدم الولايات المتحدة تركيا لممارسة الضغط، والتهديد، والابتزاز، الموجه ضد اليونان وحكومة باباندريو، التي تمارس سياسة حددت حكومة باباندريو فترة زمنية لسحب القواعد العسكرية الامريكية من الاراضي اليونانية، واعلنت انه اذا لم يتم التوصل لتفاهم من اجل عودة شبه جزيرة البلقان بدون اسلحة نووية، فانها ستضطر لاخذ قرارها من جانب واحد وتقوم بسارالة هذه الاسلحة من اليونان .

واضطر الضغط والتهديد العسكري، اليونان لتجميد مشاركتها في اجتماعات حلف الناتو. وهي تعلن ان الخطر الواقعي لا يأتي من الشمال او الشرق .. الخ... وانما من تركيا، ولهذا تغيّر استراتيجيتها العسكرية باتجاه واقعي .

مع مطلع عام ١٩٨٥، اساءت تركيا لعلاقاتها مع جارتها البلقانية المباشرة بلغاريا ،واخذت المجموعة المعادية لبلغاريا في الحكومة التركية، تستخدم وسائل الاعلام الخاضعة لرقابتها ،والمشبعة تماما بروح السياسة الامريكية واستراتيجيتها، وسياسة حلف الناتو ضد البلدان الاشتراكية.

واذا كانت السياسة الاقتصادية لطغمة الجنرالات ورقابتها على حكومة ازول خارجة عن اطار المبادئ الكمالية، وتتبع تركيا للرأسمال الكبير والاحتكارات الاجنبة فان سياستها الخارجية قائمة على اسس متناقضة مع المبادئ الاساسية لاتاتورك المعادي للامبريالية .

ان نتائج السياسة الداخلية والخارجية لطغمة الجنرالات ، وحكومة ازول ، هي سياسة درامية لتركيا، ولشعب تركيا. وعلاقاتها غير الطيبة مع جارها الكبير الاتحاد السوفييتي،

Digitized by Birzeit University Library

ومع جارتيها المباشرتين في شمال جزيرة البلقان، بلغاريا، واليونان، هي علاقات تائهة على عدم الثقة، وبعض النظر طبعا عن جيرانها من الدول العربية والاسلامية، وسياستها الداخلية التي تحادر حقوق الانسان، وتضطهد، وتسحق الشعب الكردي، والشعوب الاخرى، فان تركيا الحالية تذكر بالامبراطورية العثمانية التي كانت تسمى (رجل اوروبا المريض).

وبالرغم من الظروف الصعبة التي تعيشها القوى الوطنية والديموقراطية في تركيا فان هذه القوى تحوض اليوم نضالا شجاعا لتحقيق اوضاع البلاد. ولانقاذها من الوضع الاستعماري للولايات المتحدة، واحراجها من دائرة السياسة العدوانية، وناضل من اجل الديموقراطية والاستقلال، والتقدم الاجتماعي والثقافي.

Digitized by Birzeit University Library

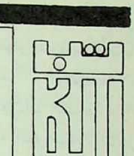

هيئة إدارية جديدة لإتحاد الكتاب

* في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر يوم الجمعة الموافق ١٤/٣/١٩٨٦. وبدعوة من الهيئة الادارية، عقدت الهيئة العامة لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في المناطق المحتلة اجتماعها السنوي العادي، واقرت التقرير الاداري والمالي، وانتخبت لجنة تصويته، واعيد انتخاب اعضاء اللجنة السابقين د. حنان عشراوي، سميح سحروري، ومحمد البطراوي، كما انتخبت الهيئة العامة الهيئة الادارية الجديدة، وفاز كل من الكتاب :

أسعد الأسعد (رئيساً)
يوسف حامد (أميناً للسر)
فضل الزيادي (أميناً للصندوق)
نبيل الجولاني (العلاقات الخارجية)
جميل السلحوت (النشر والمطبوعات)
سميح فرح (النشاطات)
عبد الكريم قرمان (عضو)

هذا وقد بلغ عدد الحضور من الأعضاء ٣٢ عضواً من اصل ٣٨ عضواً اصحاب حق الاقتراع، وقد بلغ اعضاء الاتحاد ٥٠ عضواً، اربعة منهم خارج البلاد لاسباب دراسية. وبعث ستة من الاعضاء بتوكيلات لم تقبل بها الهيئة العامة.

وجاء في التقرير الاداري :

xxxxxx

الرمـلاء الاعـزاء ،

رأت الهيئة الادارية للاتحاد دعوتكم الى هذا الاجتماع لتقييد الما تم الاتفاق عليه في الاجتماع التأسيسي ،حيث اتفق على دعوة الهيئة العامة الى الانعقاد في حالة ازدياد عدد اعضاء الهيئة العامة ،وبالتالي افساح المجال امام اعضاء الاتحاد القدامى والجدد ،لانتخاب هيئة ادارية جديدة وادراكا من الهيئة الادارية ايضا ان الوقت قد حان لاحداث نقلة نوعية جديدة في بنية

Digitized by Birzeit University Library

الاتحاد وفعالياته ونشاطاته ، خاصة وقد استقرت مهمات المرحلة السابقة التي يمكن اعتبارها ايضا امتدادا للمرحلة التأسيسية و حرصا منا ان يأخذ الزملاء اعضاء الهيئة العامة من الان وصاعدا دورهم المنوط بهم لبناء اطر الاتحاد وتفعيله حيث ان العمل الانجح والاسلم والاكثر ديمومة وتطورا هو العمل الجماعي المتكامل والخلاق .

ولعل قساوة التحديات المفروضة على شعبنا في هذه المرحلة من تاريخه تجد انعكاسها المباشر فيما تعانيه حركتنا الثقافية والابداعية من صعوبات وتحديات سواء اكان ذلك على المستوى التنظيمي او الابداعي او المستوى المعيشي لحملة رسالة الكلمة وماتكابده هذه الحركة ورسلها من وسائل وممارسات قمعية تهدف كلها الى الغاء الدور المناضل للكلمة واخراجها من ميادين النضال التحرري والاجتماعي والحضاري ، وتقطيع جذورها الابدية المرتبطة بتاريخها الفلسطيني وامتدادها العربي ، وتفريغها من مضمونها الانساني التقدمي وهو مادة حياتها ويأتي هذا كله ضمن سياق السياسة العامة التي تمارس بحق شعبنا لالغاء هويته وهدر حقوقه المشروعة وتمرير اشكال مختلفة من المؤامرات التصفوية عليه . ولا يتسع المجال هنا لايراد تفاصيل هذه الممارسات ولكن حسبنا الاشارة الى ان عددا من كتابنا قد تعرض خلال سنوات الاحتلال وخاصة في السنتين الاخيرتين الى اجراءات مختلفة تراوحت بين فرض الاقامة الاجبارية عليهم وتقديمهم للمحاكمة بتهم تتعلق بكتاباتهم وبين الاعتقال الاداري . وحسبنا ايضا ان نقول ان الاجراءات القمعية بحق مجموعة كبيرة من الكتب والصحف ما تزال سارية المفعول . ونجد من الضروري هنا ان نؤكد باسمكم ان كل هذه الاجراءات لن تتمكن من زعزعة ايمان شعبنا بعدالة قضيته او ان تمنعه من المطالبة بحقوقه في العودة والاستقلال الوطني وزوال الاحتلال واقامة دولته الفلسطينية المستقلة على ترابه الوطني وبناء مستقبله في ظل سلام عادل وثابت يشمل المنطقة باسرهـــا .

أيهـا الزمـــلاء .

لقد جاء بناء اتحاد الكتاب تحصيلا لتطور موضوعي في حركتنا الادبية الفلسطينية داخل الارض المحتلة ، وقررت ارادتكم ان الوقت قد حان ليكون للادباء والكتاب في هذه الساحة الرئيسية من ساحات التواجد الفلسطيني المتعددة تنظيمهم الذي يوحد جهودهم ويعكس طموحاتهم ويرعى مسيرتهم . ولقد كان ايمانكم الذي عبر عنه البيان التأسيسي وعكسه النظام الداخلي ساطع الوضوح فيما يتعلق بالطبيعة الوحدوية لهذا الاتحاد الذي اردتم له ان يجمع الكتاب كافة دون تمييز او استثناء وينظم طاقاتهم الابداعية ويؤكد دورهم الفاعل في سبيل ترسيخ قواعد الثقافة الوطنية لتحقيق الطموحات الشرعية لجماهير شعبنا ومن اجل تأكيد قضية الوحدة الوطنية على كل الصعد ، انطلاقا مما اجمع عليه شعبنا من ارادة الوحدة الوطنية وتطبيق قرارات عدن ـ الجزائـــــر .

لقد التزمت الهيئة الادارية بذلك كله وعملت بهديـه ليس من منطلق التزامها

Digitized by Birzeit University Library

بتنفيذ ارادتكم وحسب بل وانطلاقا من قناعتها بان الركيزة الاولى لقوة شعبنا ولتطور حركته الادبية الناشئة انما تكمن في وحدته وتعاضده .

وبهذا فقد اعلنت الادارة موقفها باسمكم في رفض كافة المشاريع المشبوهة، ورفض اتفاق عمان، وهي باسمكم تعلن ايضا ادانتها لتصريحات ملك الاردن الاخيرة التي تطاول فيها على نضالات وحقوق شعبنا وادعى لنفسه ما ليس له ولن يكون له من تمثيل لشعبنا. واننا ايضا باسمكم نطالب الاخوة الفلسطينيين في القيادة الرسمية لـ م ت ف. ان يستجيبوا لارادة شعبهم في الغاء اتفاق عمان والتقدم فورا لرأب الصدع وتحقيق الوحدة الوطنية، حفاظا على مكتسبات شعبنا وحقوقه .

كما اننا نسجل امامكم اننا تمكنا من تجاوز كثير مما يعتور تطبيق شروط العضوية في مؤسسات اخرى، والتزمنا بنص النظام وروحه عند قبول الاعضاء ولم نفسح المجال لاية نوازع فئوية، وبهذا يكون الاتحاد قد حقق نجاحا كبيرا في تجاوز ظواهر التشرذم التي ابتليت بها مؤسساتنا لاسباب يدركها الجميع .

وفي المرحلة الاولى من عملها بعد انتخابها، وضعت الهيئة الادارية في قمة اولوياتها الاتصال مع الزملاء الذين تخلفوا عن الانتساب للاتحاد وادارة نقاش معهم بهدف تعزيز الاتحاد بوجودهم بين صفوفه، ولقد حققنا انجازا جيدا في ذلك. اذ تمكن الاتحاد من ان يضم الى صفوفه العديد من الزملاء الذين تخلفوا في المرحلة التأسيسية الاولى. الا ان بعض الزملاء الاخرين لم يستجيبوا لنداءاتنا ،وفي جلسة يتيمة معهم اوضحنا لهم ايماننا بضرورة ان نكون سويا في اطار اتحاد واحد، وان على الكتاب ان يلعبوا دورا رائدا ويقدموا النموذج في تطبيق شعار الوحدة، وان عليهم ايضا ان يتجاوزوا عوامل الانقسام والفرقة التي ادت الى الوضع المؤسف في كافة مؤسسات الارض المحتلة تقريبا، واكدنا لهم ان هذا الاتحاد يستند الى القواسم المشتركة العظمى في القناعات الوطنية حرصا منه على ان يجد الجميع اماكنهم فيه، واكدنا لهم اننا نرحب بهم اخوانا وزملاء فاعلس ومشاركين لهم ما لنا وعليهم ما علينا وان الديموقراطية هي الحكم والفصل في كل الامور، الا انهم لم يستجيبوا لذلك كله وطالبونا بحل الاتحاد والغاء نظامه الداخلي وبرنامجه التأسيسي رغم عدم اعتراضهم على مضمونهما ، والعودة الى نقطة الصفر. وهو امر لا يخدم احدا ولا يسهم في بناء حركة ادبية موحدة. وقلنا لهم لماذا نهدم هذا البيت نفعلوا وخذوا اماكنكم فيه ودعونا نوسعه سويا وانتهت الجلسة معهم على موعد للقاء تال الا انهم تغيبوا كما كانوا قد تغيبوا عن موعد سابق .

أيهـــا الزمـــلاء ،

نرجو الا يساء فهمنا فنحن لا نسوق ذلك لالقاء التهم بل لنوضح الامور والمواقف، واتحادنا الان باعضائه ونشاطاته التي قام بها واتساع سمعته وارتباطاته المحلية والعالمية ،يكون قد اخذ يخطو بثبات وثقة ونؤكد باسمكم مرة اخرى لهؤلاء الزملاء ان ابواب الاتحاد ستبقى مفتوحة امامهم متى شاؤوا ، ومتى وصلت بهم قناعاتهم الى ادراك

Digitized by Birzeit University Library

الضرورة الحتمية للوحدة ، اما نحن فسنواصل مسيرتنا الى الامام .

وضمن هذا السياق ايضا فاننا نضم صوتنا الى كافة الاصوات المنادية باعادة لحمة الحركة الادبية الفلسطينية خارج الارض المحتلة ، ان وحدتكم ايها الزملاء مطلب يكتسب تجدده اهمية بالغة في هذه الظروف العصيبة من حياة شعبنا وتاريخه ، اذ تتكالب علينا قوى العدوان من كل جانب لابادته وتصفية قضيته العادلة ، فلتكونوا اذن على مستوى المسؤولية الموطة بكم كطليعة واعية لهذا الشعب المكافح .

ايها الزمـــلاء .

انجزت الهيئة الادارية خلال الفترة السابقة عددا من النشاطات سوف نوردها فيما يلي ، الا اننا نود الاشارة الى انها كانت اقل من مستوى طموحاتنا لتلك الفترة وذلك لاسباب سنوردها ايضا بقصد محاولة تجاوزها في مرحلة العمل المقبلة :

١) توسيع صفوف الهيئة العامة ـ حيث اصبح عدد المنتسبين للاتحاد من الزملاء والزميلات الذين تنطبق عليهم شروط العضوية ـ ٤٧ ـ .

٢ ـ ندوة بمناسبة الذكرى الاولى لرحيل الشاعر المناضل معين بسيسو شارك فيها سميح القاسم ، محمد البطراوي ، عساف عبدالله .

٣ ـ ندوة شعرية شارك فيها يوسف حامد ، محمد شريم ، سميح فرج ، اسعد الاسعد ، وخليل نوما وعدد من النقاد والاساتذة .

٤) ندوة عن ادب السجون شارك فيها ابراهيم العلم ، جمال بنورة ، عدنان الصباح بحضور عدد كبير من المهتمين والدارسين .

٥) ندوة حول القصة القصيرة شارك فيها ابراهيم العلم ، وجمال بنورة ومجموعة من القاصين .

٦) ندوة خاصة بمناقشة مجموعتين قصصيتين لمحمد علي طه ، ساعات ما قبل الفجر ، الحنون الحلبي ، لاسامة محيس العسة .

٧) ندوة حول الشخصية الفلسطينية في الادب العبري شارك فيها سلمان ناطور ، اسعد الخطيب ، حيث قدما بحثين قيمين حول هذا الموضوع .

العلاقات المحلية والخارجيـــة :

لم تال الادارة جهدا في المشاركة في معظم المناسبات والاحتفالات الجماهيرية حيث اصبح صوت اتحاد الكتاب واضحا في العديد منها سواء النقابية او العمالية او النسائية او الطلابية في العديد من المناطق . مما ساهم في حضور فعال للاتحاد فيها .

ولعل من ابرز مظاهر تنامي جهد العلاقات هو توسع علاقات جيدة مع عدد من اساتذة الجامعات الذين شاركونا العديد من نشاطاتنا .

واما على الصعيد الخارجي فسير الوفد قد تم بلا لقاءات مع كتاب اسرائيليين.

Digitized by Birzeit University Library

فلسطينيين ويهود تقدميين وذلك بواسطة الجهد الخيّر الذى بذلته وتبذله الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة فى اسرائيل تنسيقا مع الاتحاد .

وقد جرى اثنان من هذين الاجتماعين في القدس الاول للتنسيق والثاني في مسرح الحكواتي حيث حضره عدد من كتابنا ومن الكتاب الاسرائيليين ادار نقاشه الكاتب الكبير اميل حبيبي ، وقد طرحت اثناء رؤية اتحاد الكتاب بخصوص الوضع القائم واسس السلام العادل وما تتعرض له الثقافة الفلسطينية وجماهير الارض المحتلة من قمع كما طرحت الدعوة لدعم حقوق الشعب الفلسطيني واستنكار هذه الممارسات القمعية .

اما اللقاء الثالث فقد جرى في حيفا حيث شارك فيه الاتحاد بكلمة مفصلة عن اوضاع المناطق المحتلة كما شارك بالقصيدة والقصة ، وفي المقابل شارك عدد كبير من الكتاب الاسرائيليين في النقاش .

هذا وقد تلقى الاتحاد كما علمتم مما نشر في حينه ، دعوة من منظمة بين العالمية لحضور اجتماعها في اسرائيل ، الا ان الاتحاد رفض المشاركة رغم توجيه دعوة باسمه وباسم عدد من الكتاب . وذلك لان هذه الدعوات لم توجه من المكتب الرئيسي لبين بل من اتحاد الكتاب الاسرائيليين ، الامر الذى رفضنا دلالته اللاحقة بنا . وقد عبرنا عن وجهة نظرنا تلك في رسالة رسمية الى مؤتمر المنظمة قرئت اثناء انعقاده وكان تأثيرها ايجابيا ، مما اثار غضب وحفيظة عدد من الكتاب الاسرائيليين فخرجت بعض صحفهم تهاجمنا موجهة الينا الاتهام باننا سياسيون ولسنا كتابا .

وعلى الصعيد العالمي فلقد جرت اتصالات مع عدد من اتحادات الكتاب في الدول الاوروبية الشرقية والغربية حيث تم تعريفهم بالاتحاد ورسم آفاق التعاون المستقبلي معهم .

مشاكل وعقبات :

واجهتنا مشاكل كثيرة في المرحلة السابقة نذكر منها .

١) تخلف اثنين من الزملاء المنتخبين عن الوفاء بالتزاماتهما بالعمل في الهيئة الادارية لاسباب مختلفة رغم تأكيدهما على عضويتهما في الاتحاد . وكذلك بسبب اعتقال زميل ثالث وهو عدنان الصباح امين الصندوق . وبهذا عملت الادارة في معظم الوقت باربعة اشخاص فقط .

٢) انعدام الموارد المالية مما تسبب في تعثر اصدار نشرة جاهزة ، والقيام بنشاطات اخرى تتطلب مصاريف معينة .

٣) انعدام وجود مقر ثابت للاتحاد ، مما يحرمنا من امكانية اللقاءات والنشاطات اليومية والاسبوعية ومن تركيز الجهود والاتصال والاعلام .

أيها الزملاء ،

نرجو هنا ان تسمحوا لنا بان نوجه انتقادا لطيفا وشديد اللهجة الى كثير

Digitized by Birzeit University Library

من الرملاء الذين لم يتوان ابدا عن دعوتهم لحضور نشاطات الاتحاد الا انهم تخلفوا عن ذلك . لقد كان حرصنا شديدا ان توجه الدعوات بكل الوسائل من طريق الصحف ومن طريق الاتصال الشخصي ومن طريق ارسال الدعوات الخطية الا ان مشاركة الجمهور كانت اعظم مما لا نتأمل من مشاركة كبير من اعضاء الاتحاد انفسهم .

اقتراحـــات :ـ

نتقدم اليكم ايها الرملاء بالاقتراحات التالية لمرحلة العمل المقبلة وذلك من اجل توسيع رقعة نشاطات الاتحاد واغنائها بعدا لا مركزيا . يسهل علينا بذلك الاتصال مع عدد اكبر من الكتاب والجمهور . كما يسمح للهيئة الادارية فرصة وضع الخطط والاشراف على تنفيذها ،والتنسيق ما بين الفاطع المختلفة . ان من شأن ذلك في اعتقادنا اعطاء دفعة جديدة للاتحاد وفعاليتـــه .

أ) بالنسبة للقطاع : ـ تشكيل فرع للاتحاد يضم .

١) لجنة للعلاقات الداخلية واخرى للتنقيف والاعلام والنشر واخرى للمالية على ان لا يقل عدد اعضاء كل منها عن ثلاثة .

٢) تعقد اجتماعاتها مرة كل اسبوعين .

ب) بالنسبة للمنطقة :ـ

تشكيل الفروع التالية ١)فرع الشمال ٢)فرع رام الله والقدس ٣) فرع بيت لحم والجنوب يضم كل فرع لجنة للداخلية واخرى للتثقيف والاعلام والنشر واخرى للمالية . على ان لا يقل عدد اعضاء كل منها عن ثلاثة .

٤) تعقد اجتماعاتها مرة كل اسبوعيـــن .

ج) تتولى هيئة التنسيق ما بين الفروع المختلفة اعضاء الادارة بمختلف هيئاتهم حيث يجري اجتماع شهري لرؤساء لجان النوع الواحد باشراف عضو الادارة المختص وذلك لوضع الخطط العامة ومتابعة تنفيذهـــا .

اننا نتمنى لاجتماعكم هذا كل نجاح آملين ان نعمل جميعا يدا واحدة لبناء حركة ادبية موحدة ومتطـــورة .

Digitized by Birzeit University Library

قصتان من "المعطف القديم"

بقلم : ابراهيم العلم

تمارين في كتابة سيرة ذاتية :

تنتمي هذه القصة القصيرة الى قصص الشخصية فقد رصدت حياة موظف صغير انفق سنوات طويلة لم يرتق خلالها خطوة ذات شأن ، فلم يتح له ان يحتل مكتبا فخما ، ولكنه تعوض عن هذا الاهمال بانشاء مكتبة خاصة تعتمد على نفقات العمر ، واقام على البيع احد الاولاد خلال ساعات الصباح التي يقضي فيه فترة العمل الرسمي ، ويستعين بابنه الصغير عند الضلوله على اند لا يغفل عن مراقبته من على " السدة" حيث يستلقي بجسده المتعب .

ويرسم الكاتب ثلاثة مشاهد انفقت للابن ، الاول دخول ضي المغيثي واشتباكه معه في جدال فارس ، والثاني حين جاء امام لمسجد فروى ولم يكن موفقا اذ قسوة حسن لم تعثر على تعتمد وهو كتاب في الاحاديث الشريفة . اما المشهد الثالث فكان دخول ثلاث فتيات يرغبن في شراء خيوط بلون معين اما الابن فاصر على معرفة رقم الخيوط قبل الوانها فاحترقن معتصات .

وسيتي القصة باستقال وصفي افندي الى الفهود لتنفق بعض الوقت قبل اعادة الى البيت ويبدو خيال صحبي سحروري وافرا في تقديم شخصية طريفة ، وقد اعتمد في ذلك على الوصف الخارجي لملامحها ، وعلى الوصف النفسي ، غير ان عنايته بتصوير الشخصية من الخارج كانت اظهر اذ قدمه الى القارئ من خلال السرد التقريري واحجم عن ان يضع امامنا موقفا عالجد بطله فخرج منه بهذه الشخصية الواهنة ، فقد خلت القصة من اية حدث يعين القارئ على ان يطل من خلاله على شخصية "وصفي افندي" فبدت نمطا قصصيا مكرورا طالما التقينا به في قصص محمود سيف الدين الايراني وأمين فارس ملحس وعيسى الناعوري واحمد العماني وغيرهم من كتاب الجيل السابق ، على ان

Digitized by Birzeit University Library

اولئك الادباء لم يكونوا يكتفون بهذا السرد الغفل في المقدمة بل كانوا يزجون بأبطالهم في مواقف ذات دلالة انسانية واضحة .

اما قصة " تمارين في كتابة سيرة ذاتية " "فان فيها اتقانا فنيّة جميلة في الوصف والتقرير، ولكنها تفتقر الى الدلالة الموحية ذات التأثير فقد اخفق الكاتب في ان يفجّر داخلها صراعا يقف القارئ خلاله مأخوذا بما سيسفر عنه من قيم نبيلة ومعرّفة تعمّق فهمنا للطبيعة الانسانية .

ولقد ظهر في تأريخ القصة انها كتبت خلال الاحتلال ولولا هذا التأريخ الذي يشير الى سنة ١٩٧٦، لما خامر القارئ شك في انها كتبت في وقت سابق فليس فيها اشارة واحدة الى دور الاحتلال في حياة بطله ومجريات سلوكه، اذ يبدو ان لا تناقض بينهما فليس للاحتلال دور في احباطه وليس له اثر في عجزه عن ان يكتب ادبا يعرّي فيه الواقع الآسن .

فقد ذكر صبحي شحروري ان وصفي افندي يملك افكارا غزيرة وكان " يشعر اصدقاءه دائما ان هناك طريقة افضل لعمل اي شيء كان يتم في المحيط الاهلي او الرسمي ،وحتى في العالم الواسع المليء بالصراعات والمتناقضات .. فلماذا لم تنعكس هذه الافكار على سلوكه ،ولو تم ذلك لبدت شخصيته اقوى وأجلى .

وقد سبق ان اشار ناقد (١) الى الانتماء البرجوازي لابطال صبحي شحروري، وينضح هذا الانتماء في شخصية " وصفي افندي" الذي يجمع الى عمله الحكومي دكانا يحاول بها ان يحقق ذاته، ولو كان ذلك على حساب استغلاله لجهد الغلام الذي يستخدمه فيه صباحا .

فلا عجب ان تبدو شخصية عاجزة حيال حاضرها كما كانت خلال ماضيها .

ومن الجدير بالذكر ان بين قصة تمارين في كتابة سيرة ذاتية " وبين قصة "سلة التين" التي نشرت سنة ١٩٦٢ مسافة زمنية واسعة تبلغ اربعة عشر عاما ولا بد من ان صبحي شحروري قد افاد خلالها تقنية فنية متقدمة الا اننا نكاد لا نلحظ لهذه المسافة اثرا واضحا في تجربته القصصيـــة !

فان يظل " سلة التين" وهو مدرس، ذو شخصية بارزة السمات ظاهره الملامح، وبالرغم من ان مركز عمله قد انتقل الى المدينة فانه يستشعر انتماء عميقا الى قريته، وهو انتماء ليس مصدره ان الارض هي المرتزق كما كانت في حياة ابيه الذي توفي في الحج، بل الهوية الاصلية التي لا تني تجعل لحياته معنى، فهو ينتظر سلة التين على احر من الجمر، ليس لسبب مهم، فان ثمنها زهيد لا يساوي اجره الحمّال حين ينقلها من محطة الباص الى منزله في المدينة ،بل لانها " اول هدية سيحملها معه من ارضه بعد وفاة والده" وهي " اول الخيط في علاقة لم يعتدها .

فلقد غيبت وفاة والده من توجيه الفكري نحو الارض، وكأنه يفتح عينيه لاول مرة على علاقة جديدة بها، او كأن والده المزروع في القرية كان رمزا لها وكان حبّه لها جزءا من حبّه للارض، فلما افتقده عاد الى انتمائه الاصيل المتمثل بها. ومع ذلك فان مجرى حياته لم يتغير كثيرا، اذ ما لبث ان عاد الى المدينة ليواصل عمله فيها ولم يترك ارضه في حمايه احد يثق في صدق اخلاصه نحوها سوى

(١) هو اسعد عبد الحليـم

Digitized by Birzeit University Library

امه١ فقد استحالت بدورها الى رمز آخر كما كان شأنه مع والده ...

على ان صورة هذا الانتماء تبهت في الذهن حين يطالعنا قول الكاتب " .. في محيطه هو (المدينة) يستطيع ان يكون الرجل الذى اراد ، وانه ليجمع حوله اناسا لهم نفس النمط من التفكير وانه بذلك جد سعيد ، اما في الايام القليلة التي يهبط بها القرية فانه له ان يكون رجلا على طريقتها ، ان يكون فلاحا مثالبا كأبيه او يستطيع ان ينام في الزيتون ويحميه من اللصوص ، او يستطيع ان يسهر على انون الكلس حتى الصباح ،او يستطيع ان يتبادل معها الرأى في كل شاردة وواردة من شؤون الارض " .

ولكن صبحي شحرورى افلح في تبيان هذا الانتماء من خلال عرضه لانتظار البطل الطويل لسلة التين بالرغم مما يسببه من عوق الباص عن السفر الى المدينة في ذلك الصباح الباكر وما يترتب عليه من تأخر عن الموعد الرسمي لبدء العمل .

وبالرغم من ان السردية قاسم مشترك بين القصتين الا ان في " سلة التين" صورا فنية ذات ايحاء عذب كهذه الصورة النفسية" ولكن لا ،انه بتخلّيه عنها (سلة التين) يتخلى عن جزء من نفسه ، جزء من تاريخه ، ان فيها رائحة الجذور القوية التي تشدّه الى هذه الارض ،وهو في الدنيا الغريبة الواسعة يظل انسانا بلا هوية حتى ينزل القرية ... انها ليست هدية ، انها رفيق ينسى مرارة الوحشة ، تميمة تقيه شر العالم الواسع ". على حين افتقرت " تمارين في كتابة سيرة ذاتية" الى التصوير النفسي المعبّر .

وفي قصة " سلة التين " ترابط واضح يعكس القصة الاخرى.. اذ بعد ان تحدث صبحي شحرورى عن ماضي بطله "وصفي افندى " بما يتصل بطموحه الادبي والفكرى وبالخوف الذى يعانيه كمول " بلنهم اياه وعصارة فكره" إذابه يذكر في الفقرة التالية ان البطل " وجدَ خَلاصة في قدوم ولده الصغير حاملا له الغذاء " ، وسيتيح مقدمه له " ان ينام في المحل فوق السدّة" فان الصلة مبتّة بين الموقفين ، فمتى كان الاكل والغيلولة مُعينين على التخلف من المعاناة الفكرية والاجتماعية فكأنّ الرصافي" قد عنى "وصفي افندى" حين قال " ناموا ولا تستيقظوا ما فار الا النوم " !

اما نهاية القصة فقد جاءت منسجمة بدورها مع ضياع هذه الشخصية وسطحيتها فان "وصفي افندى" يشرع في استئناف عادة " "لم يجد وقتا لها وهي الجلوس على المقهى" كما انه بات كثير العناية بالتاريخ الادبي لمرحلة انقضت من حياته ويجد متعة في ايضاحها لمن يطلب من المهتمّين بادب تلك الفترة .. فان علاقته بذلك الماضي امتن ، من علاقته بحاضره المهزوم .

اما نهاية " سلة التين" فمشرقة كاشراق الجو الانساني الدافيء الذى ران على الحدث فيها ، فهي لا تقل انسجاما عن نهاية القصة الاولى ، ولكن الفرق بينهما يتميّز بمقدار الفارق بين الشخصيتين الرئيستين في كليتهما فعلى حين تجمّدت شخصيّة " وصفي افندى" في دائرة لا تغادرها ، نرى شخصية المدرّس في قصة " سلّة التّين" ذات تبدّل منطقي يفعل الظروف التي تعاورتها .

غير ان الاتجاه الرومانسي يطبع ملامحها في وضوح .

Digitized by Birzeit University Library

اللصوص في رواية "عبدالله تايه" "الذين يبحثون عن الشمس"

بقلم : عزت الغزاوى

"شيئان يعتصران قلبي أسى
رجل مقاتل يعاني من الفقر
ورجل دكي يعد من المرفوضين" (١)

لست ادرى ان كان قد ارتبط في ذهني نوع من العلاقة بين رواية نجيب محفوظ "اللص والكلاب" ورواية عبدالله تايه " الذين يبحثون عن الشمس" فجاء اختيارى لعنوان هذه الدراسة في واقع الامر نتيجة لسببين اولاهما انني اردت ان اثبت وجود تلك العلاقة وثانيهما انني توخيت تحديد البحث بموضوع اللصوص الذين يتحركون جنبا الى جنب في طول وعرض هذا العمل الادبي الذى اعتبره موازيا في نضجه الفني للادب الفلسطيني خارج الوطن المحتل من جهة وللادب الفلسطيني في اعماق الوطن المحتل من جهة اخرى .

اللصوص في رواية " الذين يبحثون عن الشمس" يتحركون على مستويات مختلفة. وتسهيلا للبحث ساحاول ان احدد مستويين اثنين يتشابكان تشابكا محكما في خضم وقائع الرواية الا ان الخط الذى يفصل بينهما يبقى واضحا تمام الوضوح بحيث يتسع مع نهاية الرواية ويؤدى الى طلاق كامل بينهما . المستوى الاول هو اولئك اللصوص الذين احترفوا اللصوصية عن عمد ولم يكن بامكانهم ان يبحثوا عن معنى جديد للحياة. المستوى الثاني هم اولئك الذين بدأوا حياتهم دون عمق ثقافي او ثورى او اجتماعي وعندما يحسون بهذا الوعي يدركون حقيقة ان الطريق متشعبة وان بالامكان تغيير مسار حياتهم واثرائها بمد ثورى واجتماعي .

Digitized by Birzeit University Library

وتبدأ احداث الرواية بمقتل احد "اللصوص" وهو " علي المحلاوي" الذى اشتهر بعمالته ولم يكن امام الذين يبحثون عن الشمس الا تصفيته جسديا. " علي المحلاوي" رمز نمطي للمستوى الاول من " اللصوص" فقد وجد مصلحته في سرقة حق بناء الخيم في طلب الحرية عن طريق العمل الثورى . ولعل موت " علي المحلاوى " يقدر ما اثار بهجة اطفال المخيم ، وازال قليلا من الظلال القاتمة عن طرقات النضال الثورى ، يقدر ما فتح الابواب على اتساعها ليتركز الضوء على انماط اخرى من "اللصوص" الذين ناهوا ايضا مع تعقيدات الحياة وفقرها وآلامها واحباطها . فلا يمضي كثير من الوقت حتى نتعرف على شخصية " بسرى" زوجة حمدى الذى سنأتي للحديث عنه في معرض المستوى الثاني "للصوص".

بسرى واحدة من بنات المخيم اللواتي حصلن على التوجيهية وكانت تلك هي الميزة الوحيدة الى جانب جمالها التي جعلتها تقترن بشخص وافر الغنى مثل حمدى. لكنها وبخصيتها المسطحة ارادت ان ترتوى حتى التخمة من الغنى . فلا يكفي بما يهيئه لها زوجها من اسباب الثراء فتسقط في علاقة مسوهة مع المحامي ابو سليم "سمير" وتستغل فرصة غياب زوجها ـ صاحب الاعمال ـ لتغوص في الوحل بكامل ارادتها . لكن بسرى تجد اساسا لتبرير عطلها ، فزوجها كثير الغياب عن البيت وان عاد فهو لا يعود الا متأخرا . ثم انه غارق وراء هموم الاموال تجمعها كغيره الغنى " حمدى وحيد في الحجرة يعيب في مكتبه واسائده.. وانا هنا وحدى احاول النسيان ، وحمدى غافل عني ، يقف على محطة لأمر ما ، ولا اعرفها ، ولا اريدها ، انها محطة الاذعان على صفحة الحسابات التي لا تنتهي وهو لاه عني بأمواله "(٢) ورغم ان حق المرأة الطبيعي يكون في اهتمام زوجها بها ، الا ان الانتقاص من ذلك الحق لا يعني الشذوذ ومقابلة الخطأ بالخطيئة ، كان بامكان "بسرى" ان تملأ وقتها باعمال كثيرة من بينها العمل الثورى الذى تقوم به بنات من نفس الطبقة ومن نفس الواقع الاجتماعي ، ولكنها انجرفت بايحاء من واقعها الجديد كزوجة رجل ثرى الى الانتقام من الرجل الذى يسافر الى مدن الدنيا لعقد الصفقات التجارية . وهناك تغرق في البارات واماكن الدعارة وكأنما بأفعالها تلك تعريها بمزيد من الخيانة . لكن "حمدى" يصر على الانتقام من زوجته التي تخونه مع رجل آخر وينطلق في اصراره ذلك من مفهوم بورجوازى اقرب شيء الى تفكيره فهو يثأر لانه الرجل الغني الذى رفعها الى مكانته الاجتماعية وابعد عنها شبح الجوع والحرمان الذى يتهدد كل من في المخيم ، " هذه العاهرة امتصت من دمائي وأعضائي مايصنع آلاف الاطفال في مختبرات العلماء الذين يبحثون عن خلق الخلايا الحية ... انها رغم المال تفضل ان تخونني "(٣).

وتبدأ " حمدى" مع فكرة الانتقام تحت تصبح الفكرة تحرا ، لكنه يصطدم بالحقيقة القاسية وهي ان كل معاني الانتصار تفقد قيمتها مع مرور الدارورد العكسية .. فأمرد الجندى ان يخرج من السارد ثم يفقد جنوده بادلال بينما اربعة زوجته في المقعد الخلفي قد مضى عليها بعد احاديثها تتوه فليد . هنا يتناقض الفعل الارادى والانتقام لحساب بخصية) مع عدم القدرة على

Digitized by Birzeit University Library

الانتقام من وضع عام ربما يكون السبب الرئيسي عن كل الاحباطات التي تلف المدينة والمخيم .. " والساعة صارت تحت امر منع التحول .. والزمن غارق في الممنوعات .. وهو واقف لا يدري ماذا يفعل ....!!(٤) وكلمة واقف هنا في السياق تشد القارئ من حيث انهما عمل ارادي تؤدي الى معنى اعمق يتمثل في موقف كل من "يسرى" و"حمدي"، توقفت، هي امام شهواتها، وتوقف هو امام رغبته في الانتقام، ونسيا في غمرة وقفتهما تلك كل المعاني النبيلة للحياة . وهكذا تمضي اللحظات، يطوف بها الشوارع دون ان يشترى لها الدواء، وفي البيت يكون " هذا الموت يتمطى بحجم الضوء الساكن في اركان الحجرة" (٥) وتموت يسرى كما مات " علي المحلاوي" والعامل المشترك بينهما هو الخيانة مع اختلاف الوسيلة والغرض .

ومن ناحيتها تشترك "نادية" زوجة محمود ـ بطل الرواية ـ في هذا العامل ايضا، وتكون في حقيقة الامر نعميقا فنيا لدور " يسرى" حيث ان دوافع المرأتين لخيانة بيت الزوجية يكون متشابها تقريبا . "فنادية" ايضا جاءت من اعماق المخيم المفتوح للشمس والريح والمطر والفقر، وعندما يتقدم لها "محمود" ترض به زوجا رغم فقره ولكنها ما

تلبث ان تتفتح عيونها على "المال" فتبدأ بخيانة زوجها الذي تحجب ظهارته وتعاؤه الثورى كل معاني الخيانة. ان " نادية" لا ترى سوى الجانب الظاهر من حياة زوجها : فقير مدقع لا يملك سوى قميصين، اضافة الى انه يضيع قروشه القليلة على مقاعد القمار، دون ان تعلم انه انما يمثل دور المقامر امعانا في التخفي وخوفا من امثال " علي المحلاوى" . وتستغل " نادية" فرصة ابتعاد زوجها عن البيت كما فعلت " يسرى" لتغرق حتى الوحل في علاقة خائنة مع المحامي " سمير" الذي يصحبها قليلا من المال حتى تستطيع مشابهة النساء الاخريات . ثم انها تحاول ايضا ان تغرى حمدى من اجل الحصول على مزيد من المال، فتستغل حقيقة شغفه بها ونظراته المسعورة اليها .. " هذا الرجل غني.. غناه بحجم الفقر في المخيمات ويزيد ... يكفيني ان يكون حمدى غنيا . سأصطاده .. سأكذب عليه وسيغدق علي الاموال فهو مغرور .." (٦) ويبقى محمود في نظرها " ذلك الفذر الذى يترك قراشي كثيرا باحثا عن اعمال اخرى. ساتركه يتمتع بالفقر والشقاء كما يريد " (٧).

الا ان "نادية" وهي غياب اى وعي ثورى ـ لا ترى في الحياة سوى وجهي العنى والفقر الماديين، فتأبى ان تكون أماً لاطفال ترسمهم لفقر المخيم وحرمانه .." ايحق لرجل مثله ان ينجب اطفالا يدفع بهم الى الطرقات الموحلة في المخيم لتدوسهم عجلات العرض والفقر والجوع .. سيكبرون نقمة وسيلعنون البطن التي انتفخت بهم .." (٨) تلك نظرة عدمية " للحياة اطلقها على نظرتها المادية فاما اطفالا يعيشون رخم الحياة والوانها، واما العدمية المقصودة، وتلك خيانة اخرى لا يستطيع المخيم ان يحتملها ، فلو ان كل امرأة خرجت من اعماقها بنفس النظرة العدمية لفقدت الحياة معناها ولما خرج من احشاء امرأة رجل مثل "محمود" يحارب العدمية عن طريق النضال . ومع ان "نادية" لا تختلف كثيرا عن "يسرى" من حيث انهما لم تستطيعا

Digitized by Birzeit University Library

معايشة الوضع الاجتماعي والسياسي رغم انهما من قلب واقع المجتمع ، الا ان ناديا استطاعت ان تنتقل مع آخر الرواية من الهم الشخصي المتمثل بالحاجة المادية، الى هم جماعي تمثل بنسف بيت محمود بعد اكتشاف أمره وهذا الانتقال لم يأت عن قناعة وطنية بضرورة التضحية من اجل المستقبل ومن اجل اطفال "الطرقات الموحلة" بل جاء تأكيدا لابتعاد خطها طيلة الوقت عن خط الرجل الذي فتح لها بيته. وقد يكون في الحدث اشارة واضحة الى بداية وعي سياسي يكون وقعه كالصاعقة على رأس نادية التي اقتنعت اخيرا بضرورة الانجاب من محمود ، وكانت قبل ذلك قد توقفت عن خيانة زوجها مع "سمير" . لكنها في كلتا الحالتين لم تكن تتصرف بوحي من وعي اجتماعي او اخلاقي ، بل جعلت الظروف تتصرف بقرارها ، فهي عندما تقطع صلتها الخيانية بسمير ، لم تكن هي المبادرة لذلك بل هو الذي قرر ان يبدأ حياة جديدة مع زملائه الذين يبحثون عن الشمس.. تقول له نادية .." احببتك لانك وسيم ولانك غني. لو كان زوجي غنيا لرضيت بقسمتي معه ، لكن الان .. الان عرفت مدى الاوحال التي تلوثني .... واليوم جئت تقول انك صحوت "(٩) اذن لم تكن تلك توبة بقدر ما هي تقبل للواقع .. تقبل لرغبة رجل اراد ان يتوب .

ويصعب من الناحية الفنية تبرير قبول نادية بالامومة في آخر الرواية، فتلك سقطة ارتكبها الكاتب نتج عنها خلل أثر سلباً على البناء الدرامي للرواية ، فنادية ليست شخصية تراجيدية يمكن للقارئ ان يتعاطف معها . وقصدت بالشخصية التراجيدية تلك الشخصية التي ترتكب خطأ بناء على هفوة غير مقصودة ومبررة. لكن نادية ارتكبت خطيئة وعن قصد ، تماما مثل "يسرى"، وذلك يفقدها عاطفة " الرثاء " التي يشعر بها القارئ عادة لدى قراءته لسطور شخصية تراجيدية. اضافة لذلك فان" نادية" لم تمر بأي مرحلة "تطهير" حقيقية يمكن ان تغفرلها الا ان القارئ يستطيع ان يدرك ان في انجاب نادية لطفل من محمود هو استمرار للمد الثورى ، وهو تحقيق لرغبة قوية في نفس البطل " محمود" لمواصلة العطاء . ومع ذلك يبقى هذا الادراك ناقصا ضمن ماضي الام .. اليست هي المعلمة للجيل ؟.

واذا كانت شخصية كل من يسرى ونادية تطفو من خلال " الفعل الخاص" الذى تقومان به خلال الرواية، فان شخصيتهما تتضحان وضمن بعد آخر من خلال المقارنة مع شخصية "سهام التي تزيد محمود بالعطاء الثورى.. محمد الذى يرى فيها انسانة حقيقية كان يجب ان يجمعهما القدر معا طيلة الزمن الراحل والاتي .." وفي الليل يعرف كل الناس كيف ينبشون احزانهم ومواجعهم وبحجم احزان الناس كانت اوجاع سهام وكنت التجئ اليها اخفف ما بي واخفف عنها "(١٠) سهام ايضا جاءت من اعماق نفس المخيم ، ماتت امها تحت عجلات سيارة عسكرية وبقيت بدون أم ..ثم ان والدها اصيب بالجنون حسرة على ما حدث لزوجته .. ورغم الفقر، والحرمان من الام ومن حضور الاب الراشد، لم تنحرف سهام . اضافة لذلك فان سهام عملت كسكرتيرة خاصة لسمير" وعملت انا عند هذا الوحش الذى لم يزرع الله فيه ضميرا .."(١١) ومع ذلك كله لم يستطع سمير بوسامته وامواله ان يغويها . واختارت سهام طريقها مع الذين

Digitized by Birzeit University Library

يبحثون عن الشمس الى ان تم القاء القبض عليها ومعها اكوام كبيرة من المنشورات .

كيف تختلف سهام" عن كل من "نادية" و"يسرى"؟ الثلاثة جئن من نفس الواقع البيئي وربما الثقافي ـ اعني من الناحية الدراسية ـ لكن "سهام" عاشت مأساة الدم من خلال لحم امها المفروم تحت عجلات سيارة عسكرية في الوقت الذى كانت فيه تقطع الشوارع كي تستطيع شراء كمية من " العدس" تسد بها حاجة البيت من الطعام . لكن ، هل هذا كل ما هنالك؟ بالطبع لا . فشخصية سهام ليست شخصية مسطحة ، فهي بالفطرة وبوحي من الواقع الاجتماعي والسياسي الذى تعيشه امتلكت شخصية عميقة استطاعت ان ترى بها الاشياء من منظار وطني واجتماعي وسياسي واضح وهذا بالذات ما جعلها قريبة من فكر " "محمود" وباقي الباحثين عن الشمس. يقول محمود" اما سهام فمعدن آخر .. معدن المسحوقين الذين انا من صلبهم "(١٢). المسالة اذن في رأى "محمود" هي مسألة معدن لان المعدن لا يستطيع ان يغير طبيعته الا بقدر ما تقوى عليه الظروف او يد الصنعة. ولا شك ان "محمود" ايضا كان بعبارته تلك يقارن بين "سهام" وبين زوجته "نادية" وهذا بالتالي يعطي تلك المقارنة صفة نمطية .

ويندرج تحت المستوى الثاني من " "اللصوص" رجل الاعمال" حمدى" الذى عرف الخداع اول ما عرف اثناء سنوات المدرسة ، فقد كان ـ بحكم ثراء والده ـ يستغل باقي التلامذة من اجل مصلحته الخاصة رغم المرارة التي تركتها المدرسة في قرارة نفسه ، فكان تركه للمدرسة فرصة كبيرة للتعويض عن فشله " وزادت الممتلكات فتربصت في عيون الجميع ، وصرت حلما يعجز الكثيرون عن الوصول اليه من غنى وجاه "(١٣) ولم يكن ليكتفي بذلك ، فقد كانت رغبته في الانتقام من التلاميذ الذين كانوا يضعونه ايام المدرسة رغبة ملحة ، جعلته لا يوفر فرصة الانتقام تلك ان واتته "... وادس انفي في ايامهم ، واعربد على نسائهم كما اشتهي ورغم ذلك .. الحقيرون يتملقونني وهم يعلمون اني نجست في نسائهم نجسا غير شريف "(١٤).

لكن ثروة حمدى هي " مال قديم" ورثه عن والده ، واستطاع بقدرته الفائقة كرجل اعمال ان يضاعف من ثروته ، حتى اصبح ثراؤه" بحجم فقر المخيم" ولئن كان الكاتب قد غض النظر عن اى سرد يبين لنا طبيعة عمل" حمدى" وطريقة حصوله على كل تلك الاموال ، فانه اوحى في اكثر من موقع بأن هذا الثراء يقابله فقر الاخرين ، فكان ثراء حمدى عنصر مقابلة مستمر بين الحياة البورجوازية الفارقة في الحفلات والعربدة وبين اوصال المخيم وفقره هذه نادية ـ زوجة محمود ـ تنظر اليه وكأنه آت من عالم آخر ، " عضلاته لم تنم على اعانات الامم المتحدة .. بل نمت في مطاعم العواصم المختلفة .. ورغم انه غير وسيم الا انه غني .. يكفيني ان يكون حمدى غنيا "(١٥).

وكان زواج حمدى من يسرى صفقة محكوم عليها بالفشل ، تزوجها لانها جميلة اولا ولانها حصلت على التوجيهية التي لم يستطع هو الحصول عليها. وبالمقابل فهو يعرف ان يسرى قد نشأت في "بيت مستور" فاين فقرها من ثرائه؟ اراد بزواجه لها ان يرفعها الى مكانته الاجتماعية والمادية" ، ولم يكن مدفوعا بشعور انساني يحدد صدق العلاقة بين رجل وامرأة ،

Digitized by Birzeit University Library

بل كان مدفوعا برغبة قائمة في اعماقه وهي ان يمتلك يسرى كما يمتلك اى شيء في بيته الانيق. وهو ايضا لم يحاول التعرف على شخصية زوجته، حيث انه اعتقد ان ثراءه الفاحش وما يستطيع ان يوفره لها من اسباب الترف المادى كفيل بأن يبقيها اسيرة لرغباته وكانت النتيجة ان سرق منها شعور الامان في بيت الزوجية وذلك بسهره المتواصل خارج البيت، ورحلاته المكوكية الى عواصم العالم لعقد الصفقات التجارية" اضافة الى عدم استقراره العاطفي، فهي بطبيعة الانثى — تدرك ان حمدى يخونها مع نساء اخريات. وسرقت هي منه بالمقابل كل ما استطاع ان يحرمها منه وخانته مع سمير وبذلك وضعته في

دوامة الانتقام، "عزرائيل يأبى الا ان يحملني مسئولياته ويحشمني العناء .. اهكذا يا عزرائيل .. افبعد ان تمتد اصابعك السماوية الساحقة ترتد فجأة بهذا الخزي وتتكفيء على عقبيك ؟"(١٦) ولعل هذا الحوار مع النفس يذكر القارئ ببطل نجيب محفوظ في رواية "اللص ولكلاب" حينما يتيقن سعيد مهران من خيانة زوجته "نبوية" تثور ثائرته ويحاول ان ينتقم لنفسه ، واثناء كل محاولاته للانتقام ترتسم امامه ابشع صورة للخيانة كتلك الصورة التي ترتسم في مخيلة "حمدى" وهو يدور الطرقات بسيارته بينما ارتمت "يسرى" في المقعد الخلفي تتلوى من الم النوبة القلبية التي داهمتها فجأة دون ان يمد "حمدى" لها يداً للمساعدة. ومع موت "يسرى" تنتهي متاعب "حمدى" الطويلة" لقد استطاع اخيرا ان يثبت لنفسه انه الرجل الاقوى ، وان يسرى" لم تكن الا حشرة صغيرة في دنياه الواسعة وها هو يسحقها تحت اقدامه .

وادرك حمدى ايضا ان "يسرى" كانت المنفذ الضعيف الى عالمه، فقد استطاع هو ان "يعربد على نساء" الاخرين من اولئك الذين "صفعوه" ايام المدرسة، ولكن "يسرى" تمنعه من ان يمتلك كل ذلك العالم السادى فها هي تقدم نفسها لواحد من اولئك الاخرين وهو "سمير". وكان من الطبيعي ان تنتقل النقمة بعد موت يسرى الى رغبة جامحة في الانتقام من "سمير" الذى حرمه التربع على عرش ذلك العالم وسرقة " شيئا " من ممتلكاته الخاصة. كان حمدى " يتمنى لو ان "سمير" يتزوج ليحاول بثرائه ان يستميل تلك الزوجة لكن الامنية بقيت سرابا .." الا سمير .. انه الصرصار الوحيد الذى يملص كالرغوة .. رفض الزواج الى أجل غير محدود "..(١٧) غير ان كل تلك الرغبة في الانتقام من "سمير" تتقشع تدريجيًا مع الوعي الخاص الذى بدأ يتسلل الى حمدى" من خلال ملاحقته "لسمير يكتشف ان "سمير " هذا الذى يريد قتله انما هو من اولئك الذين" يبحثون عن الشمس".

ومع ان "حمدى" لا يصدق ادعاء "سمير" دفعة واحدة، الا انه يلمس تغييرا واضحا في شخصيته ، " كلمات سمير فيها اشياء جادة.. هل تغير سمير حقيقة ؟ "(١٨).

وما ان يصل "حمدى" الى ذلك التساؤل حتى تبدأ رغبته في الانتقام تتلاشى امام معطيات جديدة. انظر الى حواره مع سمير عندما استطاع الامساك به وتوفرت له فرصة الانتقام . يقول سمير .

— انت المسؤول عن تأخير العمل او فشله.
— لست مسئولا عن شيء .. هيا تقدمني
— حمدى .. كن عاقلا .. الاسلحة يجب ان تصل في موعدها .

Digitized by Birzeit University Library

اجاب حمدى وقد تهاوت عزيمته ..

ـ الملحـــة ؟!! (١٩)

هنا نلمس صدمة الوعي بحياة اخرى يتعرف عليها حمدى ، حياة بعيدة عن الاعمال الجارية والمكاسب المادية وهو امام هذا الوعي يجد نفسه مضطرا لتغليب عاطفة الانتماء للوطن على عاطفة الانتقام الشخصي. وينجح هذا الوعي في احداث نقلة نوعية في موقف " حمدى" من رجل اعمال لا يأبه لشيء سوى مصلحته الخاصة الى رجل آخر يتمنى من اعماقه ان ينضم الى الرجال الذين يبحثون عن الشمـــس .

ولعل شخصية " حمدى(تتضح اكثر من خلال ربطها بشخصية "سمير" ـ هذا الرجل الذى ابدع الكاتب في ادخاله الى عالم الرواية "سمير " شخصية ديناميكية متحركة نفهمها ونتعامل معها ليس من خلال السرد الوصفي بل من خلال الحركات والافعال . ولعلني لا اكون قد ذهبت بعيدا لو زعمت ان كلا من "حمدى" و"سمير" كانا سيكملان بعضهما اجمل تكامل لو امتزجا في شخصية واحدة. اما من الناحية الواقعية فهناك حلم لا شعوري يحس به حمدى وهو ان يمتزج عالمه الغني وقدراته على ادارة الاعمال التجارية بشخصية سمير القوية الذكية. وما يدفع الى هذا الاعتقاد هو ان حمدى كان في اعماقه يكن عبرة قوية تجاه سمير الذى كان يتفوق على الجميع في المدرسة، الى ان اصبح محاميا مشهـــورا .

ويستريح سمير لعالم الشهرة والكسب المادى وملاء حياته طولا وعرضا باللهو واقتناص الجميلات. وكان انشغاله بمكتبه وحياته الخاصة نقطة الضعف في شخصيته ،فقد تحول بواقع الامر الى "لص" آخر تحكمه صفة "الخيانة" التي اشترك بها مع كل من يسرى ونادية وحمدى فكان بحاجة الى من يخرجه من ذلك العالم الخاص. وتأتي فرصة مزدوجة في قلب مكتبه . كانت المرة الاولى حينما دخلت عليه امرأة تحدثه عن قصة ابنها الذى سحقته سلطات الاحتلال ،" اريدك ان تساعدني يا ولدى.. منافذ الرحمة كلها استغلقت علي.. جئت اليك لتشد على عضدى وتؤازرني" (٢٠) استطاع سمير ان يلمس قوة المرأة وايمانها بعدالة قضية ابنها ، ثم انها تلجأ اليه . ولعلها في ذلك قد اثارت لديه عاطفة الشفقة والخوف في آن واحد : الشفقة على كل ام في مثل وضعها ،والخوف ان تناله يد الاحتلال كما نالت حازم. وكانت تلك بداية الوعي. اما الحادثة الاخرى فكانت عندما القي القبض على سكرتيرته "سهام" وهي تخفي في حقيبتها رزمة كبيرة من المنشورات السرّية. تلك الفتاة التي استعصت عليه وهو الغني الوسيم ، ما دخلها بالسياسة والنضال؟ ربما ذكرته تلك الحادثة بعنصر القوة لديه وما يستطيع ان يفعله من اجل الوطن وتكون النتيجة ان يندرج "سمير" في صفوف الحركة الوطنية واثناء ذلك يمر بمرحلة تطهير كاملة لم يمر بها احد من "اللصوص" الاخرين لقد كانت خسارة "سمير" على المستوى الشخصي اكبر بكثير من مستوى خيانته ،

فكانت تضحيته عظيمة . وفي اعتقاده ، كان من الصعب عليه ان يبحث عن الشمس وهو ما زال في علاقة مشبوهة مع نادية فسارع في انهاء تلك العلاقة . وكانت خطوته الثانية ان تقدم لخطبة "رحاب" وهي فتاة مقهورة فقيرة من قاع المخيم وذلك ليشعر بطهارة الزواج من

Digitized by Birzeit University Library

اخت شهيد . وعندما استوت تلك الامور خاطر بكل شيء وازداد حماسه مع كل خطوة حتى قضى .

هؤلاء هم لصوص الرواية الذين يتابعهم القارئ ولعلهم كما يقول انجلز يمثلون "ذلك الاتجاه المتولد من العمل الفني نفسه، ومن كونه صورة للحقيقة ، اذ ليس للمؤلف ان يتدخل ليملي حكمه او يفرضه،لان الوقائع التي جاء بها وعرضها لا تحتاج الى شفيع" ومع ذلك فان نظرة الكاتب الانسانية قد تجلّت واضحة اثناء رسمه لتلك الشخصيات ،فهم جميعا لا يتحركون في منأى عن البعد الانساني الواقعي . انهم كلهم نتاج طبيعي لتفاعلات اجتماعية معقّدة، فمنهم من رأى الشمس (بغض النظر عن الوقت) ومنهم من لم ير سوى ظل الشمس وكانت تلك الرؤية قدرا يحكم شخصية كل منهم .

الهوامش :

١) فورد مادوكس فورد "نهاية المهرجان" فينتيج بوكس – نيويورك ، ١٩٧٩، ص ٢٨٩ .

٢) عبدالله تايه " الذين يبحثون عن الشمس" القدس: وكالة ابو عرفة للصحافة ،١٩٧٩، ص ١٦ .

٣) الرواية ص ١٨

٤) الرواية ص ٤٦

٥) الرواية ص ٤٨

٦) الرواية ص ٢٢

٧) الرواية ص ٢٣

٨) الرواية ص ٢٥

٩) الرواية ص ٦١

١٠) الرواية ص ٢٩

١١) الرواية ص ٥٠

١٢) الرواية ص ٢٧

١٣) الرواية ص ١٣

١٤) الرواية ص ١٤

١٥) الرواية ص ٢٢

١٦) الرواية ص ٤٣

١٧) الرواية ص ١٤

١٨) الرواية ص ٨٧

١٩) الرواية ص ٩١.

٢٠) الرواية ص ٦٢

٢١) عبد الرحمن ابو عوف، "البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة المصرية" القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١، ص ٩٦ .

Digitized by Birzeit University Library

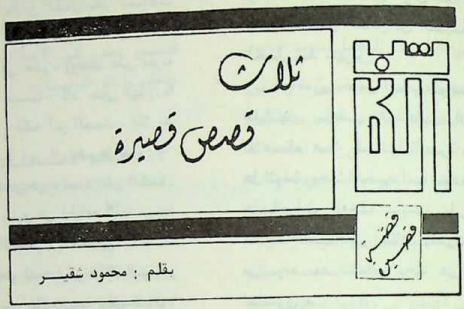

١ ـ صباح الاربعاء

من طرف السارة يتسلل ضياء شاحب، فركت عينيها، وحينما لاحظت انه غير موجود بالغرب منها، اقلعت عن فكرة النوم من جديد. غادرت السرير، ازاحت السارة قليلا الطرقات خالية والنهار لم يبدأ بعد، وغلالة الفجر تحيل العالم الى مساحة من الغموض.

فتحت باب الغرفة، رأته ممددا في الصالة كما تركته ليلا. من حوله كومة الصحف، وفي متناول يده المذياع. انه يترقب اولى الاذاعات في طلق ولهفة.

رمى في اتجاهها نظرة، حملّتها شحنة من عدم الاكتراث كي يقطع عليها سؤالا ثقيلا: الم تنم بعد !! فعلت ذلك في بداية الامر عدة مرات، ثم كفت عنه حينما انتبهت الى انه لا معنى لهذا السؤال.

اتجهت الى المطبخ. فتحت صنبور الماء، سمعت فحيح الهواء. كادت تتأسى لولا ان الماء انطلق من الصنبور بعد لحظة انتظار، ارتاحت نفسيا، فالماء منقطع منذ ايام. هل تترف اليد البشرى؟ تراجعت. انه ما قيمة ذلك؟ فهو لن يكترث. ثم انه لا بد قد سمع صوت الماء.

لم يأبه بالامر. هو يعرف ان تلك واحدة من مناهجها الصغيرة. دائما تقول. البيت بلا ماء كالمرتلة. تهض على عجل وانتقل نحو الشرفة حتى لا تفاجئه بكلام عابر، هالة الصمت الذى يخيم على العالم. حدق لحظات في نوافذ البيوت المجاورة. فلم ير سوى ستائر رمادية تسدل على نوافذ منيعة.

عاد الى الداخل. سمع تلاطم الماء في اوعية الحديد، فادرك انها صعدت الى سطح البيت وعادت لتقول ان الماء لن يصل الى الحنفية، اقترب موعد الاحتفال، ازداد توتره. تمنى لو ينقطع الماء حتى لا ينغص عليه سعادة الاصغاء، تلفت حوله، تنحنح مغيرا من نبرته، اغلقت باب المطبخ فكأنما قرأت

Digitized by Birzeit University Library

مزاجه، اطمأنت نفسه قليلا، قال المذياع: هدوء حذر يسود محاور القتال بعد اشتباكات عنيفة دامت تسع عشرة ساعة.

شقت الباب في حذر، ووقفت على مقربة منه، حدق فيها متشيا، كاد يقول لها: ما زالوا صامدين !! لكنه آثر الصمت. فلا بد انها استنتجت ذلك دون ان يخبرها بد.

بدأت جفونه ترتخي، تمدد على الكنبة، شعر بحذر لذيذ يسري في اطرافه كالمدمن بعد ان يتناول وجبة المخدر. انه مدمن اذاعات ايهجه التشبيه وهو يتجه نحو مملكة النوم. ثم فكر لحظة: ترى هل يحدث ذلك صدفة، حيث لا يفعل شيئا سوى الاستماع الى الاذاعات ؟؟ كاد السؤال ان يطرد سلطان النوم من عينيه، غير ان صوت المذيع انقده ،فاختلطت الصور في وعيه، ثم غاب في اغفاءة طويلة.

واصل المذيع والمرأة تصغي اليه: اعتصمت نساء المدينة في المسجد احتجاجا على قطع الماء والكهرباء، فطنت فجأة الى انها نسيت صنبور المياه مفتوحا على الوعاء. فلا بد انه امتلأ والماء يفيض على جوانبه الان. سارعت الى المطبخ، حدقت في الصنبور متدهشة، رأته صامتا لا تنز منه نقطة ماء حدقت في الوعاء، فاذا به لم يمتلئ، حركت مفتاح الصنبور يمينا وشمالا، فأيقنت ان الماء انقطع من جديد، شعرت بالاسى، واشفقت على المدينة المحاصرة التي تبعد عن بيتها مئات الاميال. واعتقدت ان هذا الذي يجرى هنا لايحدث صدفة، فاستبدت بها الوساوس، واتجهت نحو الصالة. تأملت وجه زوجها :انه ينام الان في طمأنينة قد تمتد بضع ساعات، احضرت غطاء دثرته به، ثم اغلقت المذياع، وسارت نحو الشرفة. وقفت فيها لحظات، ارتاعت للصمت الذي مازال يملأ الارجاء. ثم جلست تتخيل الناس في المدينة التي تلفها الحصار منذ شهرين.

فجأة رن جرس الباب. وجدت ثلاثة من جاراتها يتأهبن للذهاب الى المسجد للاعتصام فيه، تلبستها الحيرة بعض الوقت، هل توقظ زوجها لتخبره انها ستذهب معهن!! حينما رأت العجلة مرتسمة على وجوههن، غادرت البيت دون ابطاء، وقدرت انه سينهض من نومه بعد ساعات بحثا عن نشرة اخبار اخرى.

غير ان الزوج لم ينهض من نومه ابدا، عادت زوجته الى البيت بعد انتهاء الاعتصام ،عجبت من استغراقه في النوم حتى هذه الساعة، حينما هزته من كتفه لتوقظه، ادركت كل شيء. صرخت في ذهول وهي موقنة ان هذا الامر لم يحدث صدفة على اية حال.

٢ ـ سطوح الاشياء :

بعد المكنسة الى مكانها، برخي نبات بنطاله فوق ساقين مسللتين، تركم انفه روائح المراحيض التي تمتلئ يوميا بأشياء زائدة، لم تعد تجدي تحذيراته اللاهثة يطلقها في وجوه الاولاد، وهم يتراكضون نحو المراحيض ،ثم يخرجون منها وقد لوثت احذيتهم وسفوح بناطيلهم، الان ايقن انه لا جدوى من كل تحذيراته، فالاولاد لا يكترثون للنظافة، لذلك آثر ان يغوص كل يوم في ركام القاذورات دون ان يفوه بكلمة.

تستقر المكنسة في مكانها وادعة مرهقة بعد ساعات من التعب، ويشعر انه بحاجة الى

Digitized by Birzeit University Library

الشمس والهواء . والى شيء من الراحة ، بصعد درجات المبنى ، ويجلس على حافة السطح: تبدو المدينة تحت ناظريه كتلة متراصة من البنايات . على الرصيف المقابل بيوت قديمة ، وثمة نسوة يتحلّقن في باحة مسوّرة : انهن مستغرقات في الحديث ، ولا بد انهن يتهامسن بكلام لايطقن ان يسترق السمع اليه احد ، انه يعرف ذلك بفطنته ، وهو واضح من حركات ايديهن ورؤوسهن ومن ملامح اجسادهن الذي يتنامى كلما اصبح الشمس اكثر انارة .

تحلق طائرة في سماء المدينة ، تطير منخفضة ، حتى اعتقد ان ركابها ينظرون اليه من خلف زجاج النوافذ ، تجمع على نفسه ، ونابع الطائرة وهي تولغ في المسافات .

حينما ابتعدت ، ولم يعد يصل اليه من صوتها سوى همهمة خافتة كالانين ، احس بالاسى : انه متروك هنا لا يأبه له احد ، مهمته اليومية : تنظيف المراحيض: اف !! اللعنة ، كان مضطرا الى نقل ابنه الصغير الى مدرسة اخرى ، هكذا نصحه بعض الاصدقاء ، وأدرك ان ذلك ضروري للمحافظة على مشاعر الولد ، فقد يتعرض لكلام مهين من بعض اقرانه .

انتبه مرة اخرى الى الباحة المسوّرة ، لم يجد اثرا للنسوة فيها ، فكأنما ذبن او طواهن خطر ما . تحاشى النظر الى بناية السجن القديمة ، وقال لنفسه انه بحاجة الى الشمس والهواء ، لكن عينه زاغت واستقرت على الاسلاك المجدولة فوق سطح البناية وعلى قمة سورها المرتفع .

في اللحظة التي همّ فيها ان يتخيّل ابنه الكبير خلف الاسلاك منذ ثلاث سنوات ، انبعث صوت الاولاد مدويّا من احد الصفوف :

موطني موطنـــي
الجلال والجمال والسناء والبهاء
في رباك في رباك

أرسل آهة طويلة ، ثم اسلقى تحت الشمس يصغي الى الاصوات البريئة العديد ، ويحلم بأيام طليقة .

٣ ـ اقليم الحليب :

حل في الدار البيضاء . فأمضى ليليها ويكره سماء الشوارع فيها ، امضى بقية ليله مع امرأة التقطها دون عناء ، اخبرها انه على سفر فانسلت من جواره مع الفجر بعد ان سرقت محفظة نقوده ، بما فيها من دنانير معدودات ، فارتحل دون ان يلوي على شيء ، قاطعا الشمال الافريقي على رؤوس اصابعه ، حفاظا على نعلين جديدين اشتراهما في طنجة ، وخوفا من ازعاج اولي الامر الذين لا يأوون الى فراشهم الا في ساعة متأخرة من الليل .

صلى ركعتين في قاهرة المعز والنعلان تحت بصره لا يتحول عنهما قيد شعرة ، ثم فك وضوءه قرب سور في مقاديشو ، فتعقبه سيّاف القصر لخروجه على الاداب المرعيّة ، ففرّ على ساقيه حتى حاذى البحر ، وهناك فكر قليلا ، فلم يشأ ان يضرب بعصاه البحر لانه لا يملك عصا في الاصل ، ولا اية اداة اخرى للاستعانة بها على مشقات الدروب او للدفاع عن النفس ، فاستعان برياضة القفز الطويل ، فاذا هو في شبه الجزيرة .

قرر ان يقضي ليلته فيها كي يعتمر ، غير ان رائحة النفط اقضّت مضجعه ، فآثر المضي فوق الرمال ، وظل كذلك حتى غادرها ، ثم وصل بيته في ظهيرة احد الايام .

Digitized by Birzeit University Library

لم تأبه زوجته لقدومه في بادئ الامر، فكأنما اعتادت اسفاره الكثيرة التي لم تعد عليها بأية فائدة. ظلت مقرفصة فوق اناء الغسيل، ينحسر ثوبها عن فخذيها والاولاد يملأون البيت صخبا وضجيجا.

جلس ساكتا كما لو انه يستمتع بالقيلولة بعد غداء ثقيل، وتذكّر المضابط التي وضع عليها بصمة ابهامه مع كثيرين من امثاله احتجاجا على سوء الاحوال حتى جلبوه مرة الى المخفر فأخبروه ان بصمته تهدد باقتلاع الحكومة من اخمص قدميها، فعليه والحالة هذه ان يكف عن ذلك، فانفجر ضاحكا كمن حلّت به الهستيريا، فلم يتوقف حتى اكرهوه على ذلك، فلاذ بالسكوت مكرهـــا.

تململ في جلسته كأنما ليطرد هذا الخاطر المزعج، ولاحظ ان ثوب المرأة قد انحسر ضعفا آخر منذ ان دخل البيت، فاعتقد ان الامر عائد الى اهتزازات جسدها فوق اناء الغسيل، ثم حينما رآها ترمقه بطرف عينيها، ايقن ان فترة غيابه قد طالت هذه المرة، فأشار عليها ان تصرف الاولاد الى الخارج لانه يريد ان يستحم.

رحبت بالفكرة فورا، ولم يبق معهما في البيت سوى الرضيع الذي ما لبث ان استفظ في وقت غير ملائم، فتحركت نحذعيها والقعد ثديها. لم يعرف الرجل انه كرر مأثرة امرئ القيس مع معشوقته، فهولا يقرأ ولايكتب، ولن تصح فعلته جزءا من التراث لانه لا يقرض الشعـــــر.

اعفى الرضيع من جديد والحليب يسيل من زاوية شدقه، سحبت المرأة ثديها، فاغتبط الرجل وهو يرمقها، واعتقد لوهلة انه يجوس في اقليم خصيب يحيا اهله على الحليب، فكر بالاقتراب من المرأة كرّة اخرى، غير ان قبضات الاولاد انهالت على الباب، ثم انتشروا في الداخل كالجراد، التهموا كل شيء في البيت حتى لم يبق سوى الملح والماء وبعض الاثاث وقليل من الحليب في ثدي المـــرأة.

امضى الرجل اياما وهو يفكر، ولان توقيع المضابط ممنوع منعا باتا، فقد حشر قدميه في نعليه، وارتحل من جديد.

Digitized by Birzeit University Library

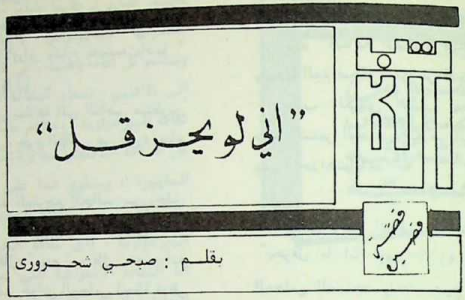

أدخل الموقوف الى داخل المحكمة وهو يرسف في اغلاله . حاول الشرطي جاهدا فتح الاصفاد فاستجاب له واحد واستعصى عليه الاخر ، عض المدعي العام على شفتيه حانقا فقد كان ذلك مخالفا للتعليمات .

غضب القاضي واخذ يقلب الاوراق بعصبية بادية تظهر عدم اكتراثه بالمسألة كلها .

كان حسن في الثلاثين بشعر اكرت اكل الصلع نصفه من امام ، ورقبة عجفاء طويلة .

دخل فرأى اباه وعمه فأظهر تجهما مقصودا فقد تلكأ ابوه في توكيل المحامي .

وقف منتصب القامة بادي العزم ، كان يتوقع ان يأمر القاضي بالافراج عنه والاكتفاء بمدة توقيفه . هكذا قال له الاخوان المجربون في الداخل .

كانت التهمة تهمة انتماء منذ زمن بعيد وبالخارج ولم يترتب على هذا الانتماء اي شيء . وتلفت فلم يجد المحامي .

أما ابوه الاكتع البدين فقد وقف بعينين محمرتين مثل قطعتي دم وبدا رجلا بائسا محطما وكأنه هوجم بالواقعة على غفلة فلم يكن يدري ماذا يفعل .

قال لنفسه " هذه ورده ، مفيش غيره اس الحرام اللي انطرد من الشركة لازم يراقي . هو اللي ور على ابيي لازم كشف اللعبة ، اكيد هو اللي ودا اخباريه . الصبي بريء واكيد بطلع معاي " .

اما العم القصير النحيف فقد رنا لاحيه وشتمه في سره . " بطّلك طول عمرك اهبل . وزة ايش يا مغفل . اسكت مسطم وملائكة السما ما بتطلعه بلا حكم . واحكي ها المحامي عالبوم لو احا سركه هداك بعس بتغبطه شوي لكن هاد اعوذ بالله . بحلف بالطلاق من شكله ابو عمره ما دخل محكمة . وبعدين وين هو لعين الوالدين ماحاس . مسكين يا حسن بدك تروح بسرعة مي " .

دخل رجل قصير مصلوع القامة وهو يحمل بجسمه الى اليمين على نحو ملحوظ فقد كان يحمل سطة كبيرة . كان بادي الخجل . طلب الاب الى الخارج بسرعة ليطمئن ان كان قد

Digitized by Birzeit University Library

احضر بقية النقـــود .

صاح الحاجب " محكمة". وقف الحضور وقلب القاضي الاوراق وصاح بعصبية بادية " ايفو يحزقل ؟".(١)

نظر الحضور ببلاهة الى القاضي منتظرين ان يظهر يحزقل ، خرج القاضي عن طوره وصاح "ايفويحزقل؟".

تدخل الولد المترجم الجالس بين رجلي القاضي فسأل صاحب الشنطة " هل انت المحامي ؟". قال " نعم" . قال" تقدم انه يطلبك". تيقظت حواس المحامي لحظة فنظر الى المنصة ، استشاط القاضي غضبا وصاح " "ايفو يحزقل؟" تقدم المحامي بخطوات واجفة . صاح القاضي " انا يحزقل ؟".(٢)

بهت المحامي لهذا الهجوم ، لكنه صاح بصوت مخنوق "اني لو يحزقل ؟" (٣) ردالقاضي "لاما!" (٤) ، "ايحكريم لخا؟" (٥) .

رد المحامي وقد زاد ارتباكه " انـــي حزقـول " (٦) .

عاد القاضي الى الاوراق يتفحصها ثم زأر مَا ؟ حزقول زه يحزقل ، انا يحزقل ." (٧)

انتفض المحامي كالملسوع وصاح " اني لو يحزقـل ".

تقدم المدعي العام يتلو اتهاماته ولكن القاضي لم يعره اهتماما وصاح بالمحامي من جديد" حزقول زه يحزقل ".(٨)

ساد القاعة الصغيرة هرج من نوع ما، وضحك العم ضحكة قمعيا من الخوف .

ضرب القاضي المنصة بمطرقته بعصبية، بينما استمر المدعي العام بالكلام دون ان يعيره احد اهتماما .

ابيض وجه القاضي غضبا وهو يصيح "يحزقل ،ما انا اومير ؟"(٩) ركب العفاريت المحامي المستجد واخذ يصرخ دون مناسبة" اني لو يحزقل " ، ارتفع صوت المدعي العام واختلط بصوت مطرقة القاضي. حن القاضي وقال كلاما لم يفهمه احد . صاح المترجم من بين رجلي القاضي " سنة سجن نعلي" صاح المحامي بجنون " اني لو يحزقل ، اني لو يحزقل" " سنتين مع وقف التنفيذ" " اني لو يحزقل". صاح حسن" يلعن ابو هيك محامي" صاح الاب " مادريناش شو صار جيناك يا عبد الـ " اني لو يحزقل " صاح العم " هيك وهيك لهيك محامي ، انجن لعين الوالدين". والمحامي يعدو في الممر الطويل ويصيح " اني لو يحزقل" ، والاب يجرى وراءه ويتمتم " راح الولد والمصاري رحن ".

هوامـــــش :

١) كلمات عبرية ، معناها اين يحزقل ؟
٢) كلمات عبرية ، معناها انت يحزقل؟
٣) كلمات عبرية ،معناها انا لست يحزقل
٤) كلمات عبرية ،معناها لماذا ؟
٥) كلمات عبرية ، معناها ما اسمـــك
٦) كلمات عبرية ،معناها انا حزقول
٧) كلمات عبرية معناها ،ماذا ؟ حزقول ، هذا يحزقل ، انت يحزقل ؟
٨) كلمات عبرية ، معناها حزقول هذا يحزقل
٩) كلمات عبرية ، معناها يحزقل ، ماذا قلت؟

Digitized by Birzeit University Library

الثقافـــة (الحضـــارة)

كل القيم الماديّة والروحيّة ـ ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها ـ التي يخلقها المجتمع من خلال سير التاريخ. وبمعنى اكثر تحديدا، فانه من المعتاد التمييز بين الثقافة المادية (اى الالات والخبرة في ميدان الانتاج وغير ذلك من الثروة المادية) والثقافة الروحية (أى المنجزات في مجال العلم والفن والادب والفلسفة والاخلاق والتربية .. الخ) والثقافة ظاهرة تاريخية ويتحدد تطورها بتتابع النظم الاقتصادية الاجتماعية . وترى الماركسية اللينينية ـ على خلاف النظريات المثالية التي تنكر الاسس المادية للثقافة وتعتبرها النتاج الروحي "للصفوة" ـ ان انتاج السلع المادية هو اساس ومصدر الثقافة الروحية. ومن هنا فان الحضارة هي نتاج انشطة الجماهير . والثقافة الروحية ـ رغم انها تتحدد اساسا بالظروف المادية ـ فانها لا تتبع تلقائيا التغيرات التي تغذى الثقافة المادية، التي تتميز باستقلال نسبي واستمرار في التطور، والتي تخضع لتأثير حضارات الشعوب الاخرى. وتتخذ الثقافة ـ في اى مجتمع طبقي ـ طابعا طبقيا سواء فيما يتعلق بمضمونها الايديولوجي، واهدافها العميقة. وتنقسم كل ثقافة وطنية ـ في ظل الرأسمالية ـ الى ثقافتين، تضمان الثقافة المسيطرة، وهي ثقافة البورجوازية، وعناصر متباينة في تطورها من الثقافة الديموقراطية والاشتراكية للجماهير المقهورة . وينطوى هذا على ضرورة التمييز بين مفهومين ـ "ثقافة المجتمع" و "الثقافة البورجوازية" (أى ثقافة الطبقة المسيطرة) اما الثقافة الاشتراكية التي تستوعب بالفعل انجازات الماضي التقدمية، فتختلف اختلافا جذريا عن الثقافة البورجوازية الحديثة، من زاوية الايديولوجية والوظيفة الاجتماعية على السواء . ولا يمكن خلق الثقافة الاشتراكية دون ثورة اشتراكية، والثورة الاشتراكية. ومن الخصائص المميزة للثقافة الاشتراكية : ارتباطها بالشعب، ايديولوجية شيوعية، نظرة عامة علمية للعالم، نزعة انسانية اشتراكية، نزعة جماعية، وطنية اشتراكية، وأمميه. ويرجع الدور القيادى في خلق وتطوير الثقافة الاشتراكية الى الحزب الشيوعي، الذى يؤثر في كل الوظيفة الثقافية والتربوية للدولة الاشتراكية، وتتضمن الاشتراكية : التطوير الكامل للثقافات القومية : شكلها، الاشتراكية في مضمونها، تبادلا كثيرا بصورة متزايدة للقيم المادية والروحية بين الامم. اثراء متزايدا للكنوز الثقافية لكل امة بقيم ذات طابع اممي، تطوير خصائص ثقافة شيوعية مشتركة تدعيم تشكيل الثقافة المشتركة للمجتمع الشيوعي في المستقبل. ويقول برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي" ان الثقافة الشيوعية اذ تستوعب وتطور افضل ما خلقته الثقافة العالمية سوف تكون مرحلة عليا جديدة في التقدم الثقافي

Digitized by Birzeit University Library

للبشرية، وسوف تجسد تجدد وتراء الحياه الروحية للمجتمع، والمثل العليا السامية والنزعة الانسانية للعالم الجديد. وسوف تكون ثقافة المجتمع اللاطبقي ثقافة كل الشعب ،كل البشرية .

الديالكتيـــــــــــك :

علم اكثر القوانين عمومية التي تحكم تطور الطبيعة والمجتمع والفكر. وقد سبق التصور العلمي للديالكتيك تاريخ طويل من التطور وبزغ المفهوم الخالص للديالكتيك من خلال تنقيح المعنى الاصلي للمصطلح، بل لقد ظهر حتى من هزيمة هذا المعنى الاصلي. لقد اكد الفلاسفة في القديم تأكيدا قاطعا تحول الوجود واعتبروا العالم صيرورة، وافترضوا تغير كل خاصية الى عكسها. ونجد في هذا الصدد هيرقليطس وبعض الفلاسفة الملطيين، والفيثاغوريين . غير ان مصطلح الديالكتيك لم يكن قد استخدم بعد . ومصطلح الديالكتيك (فن الجدل) يعني في الاصل فن النقاش والتجادل أي فن الديالكتيك بطريقة الاسئلة والاجوبة فن تصنيف المفاهيم وتقسيم الاشياء الى اجناس وأنواع. وقد اعتقد ارسطو ،الذي لم يفهم علم الديالكتيك عند هيرقليطس، ان الديالكتيك من اختراع زينون الايلي ، الذي حلل الجوانب المتصارعة في مفهومي الحركة والتعدد. وقد فرق ارسطو بين الديالكتيك ،اي علم الاراء الاحتمالية، وعلم التحليلات اى علم البرهان وفي اعقاب الايليين عرف افلاطون الوجود الحقيقي بأنه ماهوى وغير قابل للتحول، ومع هذا اشاد في محاورته "السوفسطائـــي" و" "بارمنيدس" بالمحصلة الجدلية القائلة بأن الاجناس العليا للوجود يمكن عدم تصور كل منها الا كوجود ولا وجود ،كمساوية لبعضها وغير مساوية، كمتطابقة مع انفسها وكمغايرة الى "شيء عداها ". ومن ثم فالوجود يحتوى المتناقضات، فهو مفرد وجمعي، سرمدى وعابر ،متحرك وساكن، في حالة سكون وفي حالة حركة . والتناقض هو الشرط الضرورى وهو يدفع النفس الى التأمل. وهذا الفن في رأى افلاطون هو فن الديالكتيك وواصل الافلاطونيون الجدد تطوير علم الديالكتيك . وقد استخدم مصطلح الديالكتيك في الفلسفة المدرسية ، فلسفة المجتمع الاقطاعي، ليشير الى المنطق الصوري مقابل فن البلاغة. وقد نادى نيقولاس اوف كوساوبرونو في المرحلة المبكرة من التطور الرأسمالي بالافكار الديالكتيكية القائمة على تطابق الاضداد". وبرغم تفشي الميتافيزيقا ، قدم ديكارت وسبينوزا في الفترة التالية نماذج من الفكر الديالكتيكي قدمها ديكارت في نظريته عن خلق الكون، وقدمها سبينوزا في رأيه عن الجوهر باعتباره علة ذاته. وقدم روسو وديدرو ثروة من الافكار الديالكتيكية. ففحص روسو التناقض باعتباره شرط التطور التاريخي، وذهب ديدرو خطوة ابعد ففحص التناقضات في الوعي الاجتماعي المعاصر في زمانه في روايته "ابن اخ رامو". وجاءت اهم مرحلة قبل الماركسية في تطور الديالكتيك في المثالية الكلاسيكية الالمانية التي نظرت ــ على عكس المادية الميتافيزيقية ــ الى الواقع، لا على انه مجرد موضوع للادراك، بل اعتبرته ايضا موضوعا

Digitized by Birzeit University Library

للنشاط . غير ان الجهل بالاساس المادى الحقيقي للادراك ونشاط الذات قد حد من افكار المثاليين الالمان الديالكتيك وشوهها . وكان كانط اول من احدث ثغرة في الميتافيزيقيا ، فقد لاحظ فحوى القوى المتضادة في العمليات الفيزيائية وعمليات خلق الكون ، وحذا حذو ديكارت في ادخال فكرة التطور في معرفة الطبيعة . وطور كانط ، في مضمار مبحث المعرفة ،الافكار الديالكتيكية عن ارائه الخاصة بالنقائض . ولكنه وصف جدل العقل بأنه وهم سرعان ما يتبخر بمجرد ان يرتد الفكر في داخل ذاته ، وينفذ بمعرفة الظواهر المناسبة . وفي الفترة التالية دعا فيخته الى ما اطلق عليه تعبير منهج التناقض للمقولات الاستدلالية ، وذلك في كتابه " النظرية العلمية " ويحتوى هذا المنهج على افكار جدلية هامة . وبعد كانط جاء شلنغ الذى طور الجدل ايضا ، ودعا الى الاستيعاب الجدلي لظواهر الطبيعة . وكان الجدل المثالي عند هيغل ذروة في تطور الجدل فيما قبل الماركسية . وبصرف النظر عن مفهوم هيغل الزائف فانه "قدم العالم كله الطبيعي منه والتاريخي والعقلي ، لاول مرة ، على انه صيرورة اى في حالة حركة وتغير وتحول وتطور دائم ، وبذلت المحاولة لاستخراج الرابطة الداخلية التي تشكل كلا متصلا لهذه الحركة كلها وهذا التطور كله" (انجلز "الرد على دهرينغ") . لقد آمن هيغل بأن الجدل ـ على نقيض التعريفات المجردة المختلفة للعقل ـ هو التحول من التعريف الواحد الى تعريف آخر ، كاشفا ان هذه التعريفات احادية الجانب ومحدودة ، اى انها تحتوى على نفي انفسها . ولهذا قال هيغل ان الجدل هو "حياة ونفس التقدم العلمي ، انه الدينامية التي تعطينا وحدها رابطة وضرورة كامنتين في جسم العلم" . وقد تجاوزت نتيجة جدل هيغل المعنى الذى نسبه المؤلف اليه . ذلك ان رأى هيغل عن الضرورة ، التي تصل بها جميع الاشياء الى نفيها ، احتوى على عنصر يبث الثورة في الحياة والفكر ، ولهذا السبب اعتبر المفكرون البارزون في عصره ان جدله هو "علم جبر الثورة" (هرزن) . وجاء التقدير العلمي الحقيقي للجدل على يد ماركس وانجلز . فقد استأصلا المضمون المثالي لفلسفة هيغل ، وأقاما الجدل على فهمهما المادى للعملية التاريخية ، وتطور المعرفة ، وعلى تعميمها للعمليات الواقعية التي تحدث في الطبيعة والمجتمع والفكر . ويضم الجدل العلمي اساسا القوانين التي تحكم تطور الوجود ، وقوانين المعرفة . وهاتان المجموعتان من القوانين متماثلتان وان اختلفتا في الشكل ليس الا :

ولهذا السبب ليس الجدل المادى "انطولوجيا (وجوديا) فحسب ، بل هو تعاليم "ابستمولوجية" (معرفية) ايضا . انه منطق يعتبر الفكر والمعرفة مساويين للوجود ، الذى هو في حالة حركة وتطور ، ومساويين للاشياء والظواهر ، وهي في حالة صيرورة في عملية التطور ، وهي تحدد مستقبلها او ما ستصبح عليه . وبهذا المعنى تعد نظرية المعرفة ايضا في نظر الجدل المادى تاريخا معمما للمعرفة ، ولهذا فان كل تصور ، اى كل مقولة . تاريخي بطبيعته ، برغم طابعه العام للغاية . ان التناقض هو المقولة الرئيسية في الجدل المادى . وهو فيما يتعلق بالتناقض

Digitized by Birzeit University Library

يكشف عن القوة الدافعة ومصدر كل تطور . فالتناقض يحتوى على مفتاح جميع المقولات الاخرى، ومبادئ التطور الجدلي : التطور بالانتقال من التغيرات الكمّيّة الى التغيّرات الكيفيّة، وانقطاع الانتقال التدريجي، والطفرات، ونفي اللحظة المبدئية في التطور ونفي هذا النفي نفسه، والتكرار في مستوى اعلى لبعض ملامح وجوانب الحالة الاصلية. ان الجدل المادى هو المنهج الفلسفي لبحث الطبيعة والمجتمع، وليس هناك شيء عدا التناول الجدلي السليم قادرا على فهم البزوغ المعقد والمتناقض للحقيقة الموضوعية، والارتباط في كل لحظة من لحظات تطور العلم بين عناصر المطلق والنسبي، بين الثابت والمتغير، والتحول من مجموعة لاشكال التعسم الى مجموعة اخرى للاشكال الاعمق، ان الجوهر الثورى للجدل المادى الذى لا يتجه للركود او الجمود يجعل منه اداة للبناء العلمي للمجتمع ،ويساعد على تقدير المتطلبات التاريخية الموضوعية للتطور الاجتماعي، والتباين بين الاشكال القديمة والمضمون الجديد، وضرورة التحول الى الاشكال الاعلى التي تدفع الى الامام بتقدم البشرية. وتوضع الاطر الخاصة باستراتيجية الكفاح وتكتيكه من أجل الشيوعية بحيث تتطابق تماما مع النظرة الكلية المادية الجدلية. "انظر المنطق الجدلي "

Digitized by Birzeit University Library

"قبل تشتتهم" ـ البوم صور عن الفلسطينيين قبل الشتات يغطي الفترة من ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨

● اصدرت مجلة الدراسات الفلسطينية في نهاية شهر شباط الماضي البوما بعنوان "قبل تشتتهم" يحوي استعراضا مصورا لتاريخ الشعب الفلسطيني منذ عام ١٨٧٦ الى عام النكبة ١٩٤٨ واعد هذا العمل الدكتور وليد الخالدي الاستاذ في جامعة هارفارد. ويضم الالبوم ٣٥٠ صفحة ومقسم الى خمسة اجزاء يتضمن كل جزء دراسة تصويرية ومقدمة وصفية وتحليلية وتسلسلا مفصلا للاحداث .

واوضح وليد خالدي ان هذا الالبوم يعتبر ذا قيمة فنية عالية وهو ثمرة سنوات من البحث. وقد تم جمعه من مجموعات الصورالعامة والخاصة للفلسطينيين في الولايات المتحدة وبريطانيا .

يقول المؤلف ان هذه الصور تعيد الحياة الفلسطينية لما قبل ١٩٤٨ في جوانبها المدنية والريفية ومظاهرها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية .

●

"شخص غير مرغوب فيه" ديوان جديد للشاعر سميح القاسم

● صدر عن "دار العماد" للطباعة والنشر في حيفا ديوان الشاعر سميح القاسم الجديد " شخص غير مرغوب فيه" ويحوى القصائد التالية: القصيدة المفخخة، ابي، ليلا على باب قدريكو، انت تدرى كم نحبك، مأساة هوديني المدهش، فسيفساء على قبة الصخرة، شخص غير مرغوب فيه .

وقد رسمت الفنانة تيريز نصر عزام لوحات الديوان الداخلية .

وهذا الديوان هوالكتاب الثلاثون للشاعر. ومن الجدير ذكره ان منشورات "الاسوار" في عكا ستصدر هذا العام اعمال سميح القاسم في ستة مجلدات .

●

كتابان جديدان لمحمود علي السعيد

● عن الامانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين. صدر كتابان للشاعر الفلسطيني محمود علي السعيد .

الاول مجموعة شعرية عنوانها " بالرصاص يوقع العشاق وصاياهم" مصحوبة برسوم من محمد ابو صلاح وعبد الرحمن مهنا ، والكتاب الثاني مجموعة قصص قصيرة جدا حملت عنوان " نصف البرتقالة" وفيها ايضا رسوم للفنانين المذكورين.

●

اغاني والعاب الاطفال في التراث الشعبي الفلسطيني

● عن دار الجليل بدمشق صدر كتاب (اغاني والعاب الاطفال في التراث الشعبي الفلسطيني)، للباحث الفلسطيني حسن الباش، ويحتوي على العديد من اغاني الاطفال والعابهم التي استطاع المؤلف ان يجمعها لتكون ذاكرة واقتداء لدى الاطفال الفلسطينيين من هذا الجيل او من الاجيال القادمة .

سبق وان صدر للمؤلف حسن الباش دراستان هما : الاغنية الشعبية الفلسطينية عام ١٩٧٩، الفكرة الصهيونية

Digitized by Birzeit University Library

والادب العنصرى عام ١٩٨٠، ومجموعتان شعريتان : من الجرح يبتدئ البرق عام ١٩٧٨ ،مسافر وزادي معي ١٩٨٣.

●

جديد دار الكاتب

المخيم ...
انشودة الاعصار

● عن دار الكاتب في القدس ،صدر للشاعر سميح فرح ديوان المخيم .. انشودة الاعصار..

ضم الديوان ثلاث عشرة قصيدة، تميزت بانتمائها الى المخيم وعكست المعاناة التي يعيشها ابناء الشعب العربي الفلسطيني وخاصة في المخيمات، الجدير بالذكر ان سميح فرح يعيش في مخيم الدهيشة قرب مدينة بيت لحم ، وعن نفس الدار كان قد صدر للشاعر ديوان " عباني موج البحر وقال " سنة ١٩٨١.

●

صدى الوطن

● وعن دارالكاتب ايضا ، صدر للشاعر محمد شريم ديوان " صدى الوطن " متضمنا خمس عشرة قصيدة كان الشاعر قد نشرها في الصحف والمجلات المحلية، الصادرة في المناطق المحتلة، على مدى السنوات الخمس الاخيرة.

●

لائحة سوداء في امريكا لكبار الكتّاب

● ضمّت اللائحة السوداء للممنوعين من دخول الولايات المتحدة الامريكية (٣٢٢٠٠) كاتب من العالم بينهم كتاب وشعراء عالميون كبار مثل غارسيا ماركيز وجورج امادو وغراهام غرين ومحمود درويش .

ولا عجب ان تحشى زعيمة "العالم الحر" الكلمة وترتعد فرائصها من اقلام الكتاب والشعراء ..

●

" الارهاب الاسرائيلي" كتاب بالانكليزية والفرنسية والعربية

● عمان – صرح زهدى سعيد مساعد رئيس دائرة " الوطن المحتل" التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية في عمان بأن المنظمة قررت اصدار كتاب عن " الارهاب الاسرائيلي " في الاراضي العربية المحتلة، باللغتين الانجليزية والفرنسية اضافة الى اللغة العربية .

وقال ان الكتاب يتضمن معلومات ووقائع وثقتها الهيئات والمنظمات الدولية حول ممارسات وانتهاكات اسرائيل ضد المواطنين والممتلكات في الاراضي العربية المحتلة .

واضاف زهدى ان المنظمة ستقوم بتوزيع الكتاب الذى يحمل عنوان " الارهاب الاسرائيلي" على نطاق واسع لاتاحة الفرصة امام شعوب العالم للوقوف على الحقائق بالارقام حول قضايا الابعاد والاعتقال ومصادرة الارض وتدمير المنازل واقامة المستوطنات اليهودية في الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ في الضفة وقطاع غزة .

●

تونس :

● اقامت وزارة الثقافة التونسية حفلا ثقافيا، تم خلاله منح اوسمة وشهادات تقديرية للعديد من الكتاب والادباء التونسيين .

وتم تقليد الاوسمة لكل من الروائي عمر بن سالم، والروائي محمد صالح الجبرى لروايته " ليلة واحدة منذ عشرة اعوام" ، ولكاتب القصص

Digitized by Birzeit University Library

القصيرة سامي حمام ، وللشاعر مصطفى الحبيب بحري لمجموعته الشعرية " رقص فوق البركان" وللناقد المعروف نور الدين صامود ، وكذلك للموسيقي التونسي صالح المهدي مؤلف كتاب "الموشحات العربيةالموسيقية"

●

لا مكان لـ (رامبو" في الهنـــد

● نيودلهي = " ادن" — اتخذت السلطات الهندية المختصة قرارا يقضي بحظر عرض فيلم" رامبو" التحريضي الامريكي في البلاد . والمعروف ان هذا الفيلم يتميز بمضامينه المعادية للشيوعية والافكـــار التقدميـة والانسانيـة .

●

تونـــس :ـ

اميـنـــة

● عن دار القلم التونسية صدرت رواية الكاتبة التونسية زكية عبد القادر وحملت عنوان "امينة .

وتعتبر الرواية الاولى للكاتبة التونسية والتي تكتب باللغة العربية .

كما وصدر عن دار القلم ايضا كتاب بعنوان" مشاكل الادب العربي الحديث" للشاعر السوداني المعروف محيي الدين صابير، الامين العام لمنظمة التعليم والثقافة في جامعة الدول العربية .

وفي تعقيبها على الكتاب نشرت مجلة " ابلد" قائلة " ان الابواب السبعة للكتاب تتدارس قضايا الاستراتيجية الثقافية العربية ، ومشاكل التعريب ، ومشاكل التعليم العالي ، ومشاكل نشر اللغة العربية خارج الاقطار العربية ،والعلاقات الثقافية العربية والاوروبية ،والاهمية التاريخية للحضارة العربيـــة .

●

العامـــل

● نشرة غير دورية صادرة عن نقابة عمال النجارة — الخليل ومكاتبها في اذنا — بيت كاحل — الظاهرية ويحتوى هذا العدد على مواضيع هامة جدا للعمال وللحركة النقابية ، فالمقال السياسي وعنوانه — بعد خطاب الملك .. هل من بقايا اوهام بجدوى الحلول الامريكية ؟؟ يتحدث عن انزلاق القيادة الرسمية في الركض نحو سراب الحلول الامريكية. كما يشتمل العدد على مقالة عن تاريخ الحركة النقابية في الضفة الغربية وقطاع غزة . بالاضافة الى رسائل المكاتب التابعة للنقابة والى لقاء هام مع النقابيين يونس تيم وجورج حزبون ، ولقاءات عمالية آخرى ومواضيع عديدة هامـة .

●

شخصيـة اليهـودى
في الادب الفلسطيني المعاصر

● " يقوم السيد حسان سلامة باعداد اطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الاداب. من كلية الاداب جامعة مدريد ،حول موضوع :

" شخصية اليهودى في الادب الفلسطيني المعاصر" ويشرف على اعداد الرسالة — الدكتور محمد الجعيدى استاذ الادب العربي في تلك الجامعة

●

قصائـد منفيـــة

● صدر في دمشق الديوان الاول للشاعر محمد العراقي ، بعنوان " قصائد منفية ".

الجدير بالذكر ان الشاعر من ابناء العراق المنفيين جراء قمع وتنكيل نظام صدام حسين

Digitized by Birzeit University Library

بالقوى الوطنية والتقدمية وخاصة الشيوعيين .

كان الشاعر العراقي نشر بعض قصائد الديوان في مجلة الكاتب، حيث بعث بها الينا من موسكو حيث يواصل دراسته هناك .

يقول في احدى قصائده:

خذني الى وطني
خذني الى سجني
خذني الى قبـــر
صغيـر فـي العراق

وهذه قصيدة للشاعر بعنـوان خـــوف :

خوف ...

خوفي أنا من الموت ،
مش عادي ،
بخاف متو خوف
بزيادة
بخاف وخوفي
مش أنانيّة ،
وما هو على أهلي ،
ولا ولادي ...
وما هو على تحقيق
أمنيّة ،
كل الأماني ،
إلي منقاده ...
وما هو مرض
أو زود جنّيّه
الموت زاتو ،
نوم عَ وساده ...
وما هو جُبُن من شيء
أو نيّه ،
في الهرب ،
من نيران وقّاده ...
بخاف بُكرا
آن مُتِتْ عينيّي
ما يعودوا يحظوا
بشوفة بلادي ...

●

ثورة ١٩٣٦ في فلسطين : دراسة عسكرية تقديم يوسف رجـب الرضيعيـــي

● من منشورات دار الاسوار بعكـا .

هذا الكتاب يقع في ١١٢ مئة واثنتي عشر صفحة من القطع المتوسط ويرفق معها ملحقا بالـرسومات والخرائط والصور وبعض الوثائق وهو يمثل دراسة وثائقية تحكي خلفيات وأسباب وتطور ونتائج ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ في فلسطين مركزا بشكل خاص على بعدها العسكري .

ويعتمد الكاتب على الوثائق العسكرية البريطانية، وتقارير قادة القوات والشرطة البريطانية الى وزارتي الحربية والمستعمرات وهو يرسم صورة ما جرى على مسرح العمليات، ويتناول التنظيمات العسكرية الفلسطينية بتشكيلاتها وقيادتها واستراتيجياتها وتكتيكاتها وأسلحتها .

ويدرس الكاتب طبيعة حرب العصابات مفصلا بعض العمليات التي خاضها الثوار في المدن والارياف، والاجراءات البريطانية المضادة ودور القوات اليهودية والعملاء المحليين ،ثم ينهي دراسته بخلاصة وتقييم لما حققته الثورة وما لم تحققه انتهاء بنكبة ١٩٤٨ .

Digitized by Birzeit University Library

عصر الحجارة : فيليتسيا لانغـــر .

● حكايات واقعية تمثل سيرة شعب بكامله ما بين القصة والرواية والخاطرة جمعتها وعاشتها الكاتبة الانسانة والمحامية التقدمية فيليتسيا لانغر بعنوان عصر الحجارة من القطع المتوسط في ١١٢ مئة واثنتي عشرة صفحة ضمنتها واحدا وثلاثين عنوانا لحكاياتها وروايتها وقدم لها الاستاذ ابراهيم الدقاق في ست صفحات بعنوان شمعة مضيئة في نفق مظلم وبصفها في خاتمة تقديمه بقوله :

هذه نفثات انسانية حارة تقدمها فيليتسيا لانغر لكل قارئ مادتها مأساة شعب يرزح تحت الاحتلال ويناضل من اجل حقه في الحياة .

وخلفيتها مؤامرة متعددة الاطراف تحكمها عناصر التاريخ والجغرافية والصراع الاجتماعي صاغتها الكاتبة لتكون قطعة ادبية رائعة وشهادة انسانية صادقة ورصدا تاريخيا امينا لما شاهدت وسمعت وعملت . مضمنا خاتمة حديثه تهنئته للكاتبة على انجازاتها الانسانية العظيمـــة .

وحكاياتها " سميولوجيا " عالية التقنية والفونتات " اللغوية والاستطيقا الجمالية.

من العامل العربي الذى يمسك المكنسة لتنظيف المدينة ــ وممن ؟ ــ في عصر الحجارة والى السلام المحتقر وتجليات بيكاسو العظيم في الحمامة البيضاء .

والزمان موحد في آن الانسان .

وذات الزمان من الرقم ٨٢ الى الرقم ٨٥ المحفورين في شعرسمير وخالد وقبلهما امتداد الزمان الى حيث تكون وحدة الصراع في صيف ١٩٧٩ الصغار يمتدون في اعمارهم ويدخل اخو زياد السجن يا الهي هذا الطفل قابلته في زيارته لاخيه زياد انه اليوم ابن السابعة عشـــر .

تتراكض الذاكرة تتجمع علامات الصراع: العتمة والقساة نفحة ، جرائم حرب ، نزيف حزيران الممتد ، طريق العذاب ، عالم رهيب طوبى لنا ان وصلنا الى ما نحن فيه في سلام على الجانب الاخر تقرأ سمفونية التحدى والمتمثلة في حكايات وروايات .

الارض ، والاجيال ، اشجار الزيتون والصبار تفضحهم وانسانية العالم في تأملات "تماك" على سفوح جبال "رودوفان الخضراء تفضح صمت وتآمر العالم" المتحضر" انها العائلة الانسانية الممتدة. "فالرسالة" تطلنا من ام محسن رغم الاعتراف فانا كنت هناك ايضا وكفيرى كان يومي يوما عاديا جدا الى درجة الرهبة وعدت مثل طير فارد الجناحين مع وحيد الحمدالله وابي ظاهر الى اراضي" "جبن ساقوط" لاحرر خبرا صحفيا خارج النطاق وبلتف حولنا الاصدقاء واولو امرهم فترتسم في ذاكرتي الاف الصور واكتب في مذكراتي حكاية حب بسيطة وخواطر من وحي آذار ١٩٨٥ .

●

أنـا اريـــد النهـــار

للبانـــة بـــــدر

=========

● طبعة ثانية لمجموعة قصصية للكاتبة لبانة بدر بعنوان انا اريد النهار وتقع المجموعة في "١٠٤" مئةواربع صفحات من القطع المتوسط وتضم ثمانى قصص قصيرة وهي الصورة ، والفراشة ، الحدائق ، انا اريد النهار المدارات والزواحف ، الورقة الخضراء الاخيرة،عشق ، والساحـــرة .

Digitized by Birzeit University Library

وفي تقديم هذه المجموعة للقراء لا يمكن أن أُريَ القارئَ النهارَ الواضح في هذه المجموعة من خلال هذه الاسطر القليلة غير اني سأعود ثانية الى هذه المجموعة لاعطيها حقها من الدراسة والتحليل .

فالمجموعة ملحمة متكاملة تحكي قصة عصر الانسان المتحدى لهمجية الزمان المتوحش الحالم بالفجر والنهار وشعارها انا اريد النهار وحتما ان نهارنا سيأتي .

فرغم رومنسية الاجواء التي تعيشها عناوين المجموعة فانّا نُحسّ فيها دفء اللقاء وحرارة الصراع والتفاؤل بالنهار .

فالستائر البرتقالية لا تحجب شمس آب الساطعة والفراشة واللون الارجواني لا تغطي المرايا الواضحة والشوارع ،بيروت رائحة البحر والموت لا يفقدنا صبر السيف وسيف الصبر ولا يحرمنا الحب والحياة .

والادراج المفروشة بالسجاد الاحمر والزمرد المتساقط في العينين لون الاسماك الشفاف الابيض والاحمر والاصفر والرمادي لا يحرم الصبيان من الصراخ وهم يلعبون الكرة في الحارة .

فنداءات بائع الخضار في صبرا تجعلنا نتنفس بقوة استمرار الزمن وعندها نحقق اهدافنا في انسانية الانسان وقضية الزمان ونُطلِعُ النهار .

نسمات وزوابع

● عن دار "جفرا" بالناصرة ، صدر للشاعر الشعبي سعود الاسدى ديوان " نسمات وزوابع "

يقع الديوان في ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط، وضم العديد من القصائد الرائعة التي امتزجت فيها المشاعر الانسانية والوطنية ، الجدير بالذكر ان سعود الاسدى، من ابرز الشعراء الشعبيين الفلسطينيين ، وقد شارك في العديد من المناسبات الوطنية والشعبية، وكان صدر له ديوان اغاني من الجليل عام ١٩٨٦ .

●

اتحاد العمال

● نشرة لمرة واحدة صادرة عن الكتلة العمالية التقدمية في الضفة الغربية وقطاع غزة حيث خصصت هذه النشرة للنقاش حول مشروع الكتلة العمالية التقدمية من اجل وحدة الحركة النقابية وقد ضمت النشرة العديد من المقابلات مع الكثير من القادة النقابيين الذين ايدوا مشروع الوحدة .

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

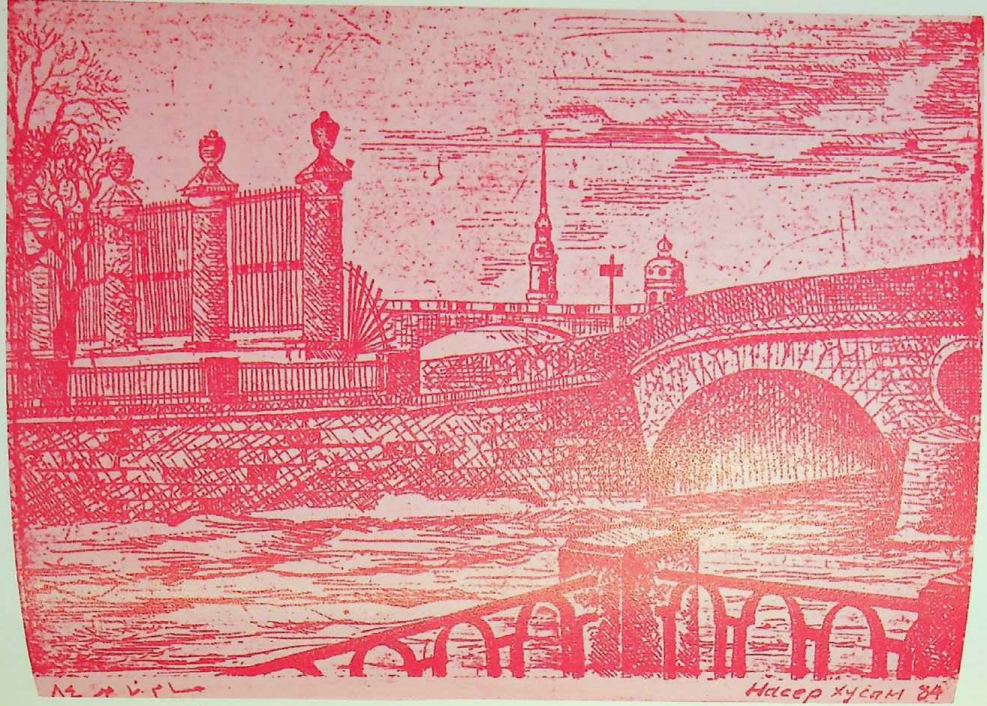

لوحة الفنان حسام ناصر في معرض عام ٨٦، الذي اقيم تحت شعار في سبيل

زيدان النعيزى
١٩٨٥

لوحة الفنان زيدان النعيزى في معرض عام ٨٦ ، الذى اقيم تحت شعار في سبيل استمرار المسيرة التشكيلية الفلسطينيـــة .

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 30409
Jerusalem
Tel:856931

72 الكاتب للثقافة الانسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library